الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران
Université d'Oran

جامعة و هران
كلية الآداب، اللغات والفنون
قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

السيميائيات التداولية
قراءة في سيميائيات ش.س. بورس

مشروع :
" السيميائيات و تحليل الخطاب الأدبي "

إعداد الطالبة
ابن يخلف نفيسة

إشراف الأستاذ
أ. د. أحمد يوسف

لجنة المناقشة:

أ. د. أحمد عزوز	رئيسا
أ. د. أحمد يوسف	مشرفا ومقررا
د. الطاهر روابنية	مناقشا
د. هواري بلقاسم	مناقشا

السنة الجامعية: 2008- 2009

إهـــــــداء

أهـــــدي هـــــذا العمـــــــل

إلـــــى مـــــاضي، وحـــــاضري، ونفـــــس مستقـــــــبلي

ثـــــــلة المعلـــــــــــمين.

والـــــدي الكـــــريمـــــين، وأستـــــاذي الفـــــاضل

"أحمـــــــد يـــــوســـــــف"

حـــــــبا، واحتـــــــراما وعـــــرفـــــانـــــا.

شكـــــــر وعـــــرفـــــان

أوجه خالص شكري وعرفاني إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل:

والدي الكريمين، الذين احترما رغبتي في البحث، وكانا خير سند وعون.

أستاذي الفاضل "**أحمد يوسف**"، الذي بث في نفسي حب المعرفة، وألزمني برّ الكتب

أستاذي الكريمين، "**ناصر اسطنبول** " و"**عبد القادر شرشار** " الذين أفدت من نصائحه ما وتشجيعاتهما.

أساتذتي بمعهد اللغة العربية وآدابها، وكل من علمني حرفا.

رفيقة الدرب وشريكة الجهد السيدة "**عدي نعيمة**"، التي ساعدتني في إنجاز هذا العمل.

إخوتي وأهلي، وكل من أسداني نصحا أو قدم لي عونا.

زملائي وزميلاتي، وكل من شاركني هموم البحث.

مسرد ألفبائي للرموز الواردة في البحث

الرموز العربية:

إش: إشراف.

إع: إعداد.

تح: تحقيق.

تر: ترجمة.

تع: تعليق.

مر.س: المرجع السابق.

مص.س: المصدر السابق.

الرموز الأجنبية:

Coll : Collaboration.
CP : Collected papers of Charles sanders peirce.
Etab: Texte (s) établit (s) par.
Tr : Traduction de.
éd : Édition.
éd : édited by.

مـــــــلاحظة:

اعتمد البحث الطريقة المستعملة في الأعمال المجمعة للاستشهاد بنصوص **بورس** الأصلية، حيث يكتب الحرفان CP اختزالا للجملة Collected Papers ويكتب رقم الكتاب ثم رقم الفقرة بين قوسين.

مثال: CP (2.112) ـــــــيعني هذا الرمز الأعمال المجمعة، الكتاب الثاني، الفقرة 112.

لقد أضحى من المسلم في عرف الدراسات اللغوية عسر الحديث عن المعنى دون إدراج عامل السياق ضمن الرؤية التداولية، وهي ذلك الضرب من الدراسات التي تبحث في علاقة العلامات بمؤوليها، و قد حظيت هذه الأبحاث بقدر هام من العناية في التقليد الغربي بلغت من خلله حد الارتقاء إلى الاستقلال بوصفه منهجا قائما بذاته، يتدارس المعنى من حيث المقام أو ما كان يسمى في التراث البلاغي العربي بمقتضى الحال، وقد انتظمت هذا المنهج تيارات متعددة اعتمدت طرائق معينة ، واسترشدت برؤى قاعدية خاصة ، قائمة في الأصل على دعاوى **بورس** السيميائية؛ فما فتئت تقدم للقارئ تصورات جديدة امتزجت بما حققته السيميائيات التداولية من استكشافات منطقية لآليات التأويل ، وبما أفرزه الواقع من متطلبات علمية، وضرورات اقتضت تفاعل الأفراد وتآزرهم.

من هذا المنطلق عمد البحث إلى تناول منزلة البعد التداولي في السيميائيات، متوخيا في ذلك تكوين الرصيد الكافي الذي سيذلل له عسر الإمساك بالمعنى ؛ فاستقر بعد لأي على العنوان الآتي: **قراءة في سيميائيات تشارلز سندرس بورس** معتمدا على المتن الأصلي وعلى الرغم من ذلك فإنني أعد هذه القراءة محاولة خجولة يتطلع من خللها البحث إلى إدراج المفاهيم في الأسيقة المعرفية التي أحاطت بنشأتها، وتقفي ما أمكن تقفيه من آراء الباحثين فيها.

تستدعي القراءة امتلاك القارئ للنص واختزال البعد الفاصل بينهما؛ لذلك كان على هذا البحث الفتي أن يقترب من النص اقترابا حثيثا يتيح له الجمع بين الفهم والتفسير، لكنه اصطدم بصعوبات عديدة، نأتي على ذكر بعضها؛ فمنها عسر تناول المتن الذي يضم جهازا من المفاهيم ثقيل الوزن يضع العلامة في مجال متداخل، ويدمج السيميائيات مع الفلسفة والمنطق واللسانيات؛ ويعكس فكرا موسوعيا يبدو الإمساك بزمامه على درجة كبيرة من العسر تتنافى مع فكرة روح الإطلاق نظرا لاتساع مصادره وعمق دعاواه التي تقوم على متصورات رياضية مجردة .

لقد خشي البحث أن يضيع في مسالك المتن المتشعبة؛ فلجأ إلى محاولة الإحاطة ببعض المتصورات الفلسفية التي أسهمت في بلورة فكر **بورس**، وفي نحت لغته الواصفة الجديدة التي تضرب بجذورها في عمق اللغتين اليونانية والإنجليزية القديمة، لكنه عاود الاصطدام

بصعوبة المتون الفلسفية القديم ة فاضطر إلى المضي في التنقيب عن كل ما يمكن استثماره من مراجع مساعدة، وكانت هذه المراجع كثيرة المداخل، متنوعة الطرائق مما أثر سلبا في القراءة من حيث التفسير طورا ومن حيث الفهم طورا آخر.

لم يكن اختيار هذا الموضوع بدافع الانحيا ز للفكر الغربي أو الإعجاب بدعاواه ، وإنما كان اختياره قائما على الاعتقا د بضرورة الإسهام ولو جزئيا في حصر تساؤلاته؛ إذ كان البحث يتطلع إلى طلب رصيد معرفي جديد يتيح له النظر في التساؤلات التي تطرحها السيميائيات التداولية نظرة تتوخى الموضوعية ما أمكن إلى ذلك سبيلا، فحرص على تجنب الاكتفاء بقراءة الجانب الإجرائي في سيميائيات **بورس**، وعمد إلى الاقتراب من المتون التي تسعى ما وسعها الجهد إلى استجلاء إرهاصات التداوليات واستكشاف مظانها، وهو موطن مركبه صعب، وبخاصة عندما تتجه القراءة إلى المنابع الأصلية للمعرفة السيميائية، بحثا عن فرع من فروعها يلتبس بالنفعية Pragmatisme من وجهة وبالتداوليات من وجهة أخرى Pragmatique، ولم تكتف باستكناه مفاهيمها؛ بل آثرت المضي قدما لتتبع آ ثارها بغية الإمساك بمعانيها وفق رؤية متنامية تتطلع إلى فتح الآفاق نحو التعديل في بعض المقاربات وتوجيهها نحو الإفادة توجيها مجديا ورافعا.

أسهمت السيميائيات التداولية في ملء الفراغ الذي خلفته الدراسات اللسانية ذات النزوع الشكلاني في مقاربة المعنى؛ من حيث إهمال فضيلة الاستعمال التي تبها إليها فتيجنشتاين؛ فراحت تقدم اقتراحات تجيب عن تساؤلات ما فتئت تطرحها رؤاها المتجددة، ولإبراز المنزلة التي تشغلها السيميائيات التداولية من الفكر، والمهام التي تحمل تبعتها، والدور الذي ينبغي أن تؤديه في دراسة الخطاب الأدبي، حاول البحث أن يستعيد عرضا وشرحا أهم التساؤلات التي أثارها **بورس**؛ لأن أي مقاربة لمثل هذه التساؤلات التي لم يحسم أمرها ستؤكد محاباة النظرية دون الولوج إلى الممارسة، لاسيما وأن الموضوع العام الذي تدرسه السيميائيات التداولية وهو العلامات في علاقتها بالمستعملين والشركاء ، إن هذا النزوع قد فرض على السيميائيات التداولية دور التابع المتواضع للفلسفة والمنطق واللسانيا ت، و لكي يثير البحث هذه الأسئلة من جديد ، رسم خطاطة منهجية عامة، ووزعها على ثلاثة فصول نظرية ، ليشمل مقدمة ومدخلا، وخاتمة.

حاول البحث الوقوف على الدراسات التي صرفت وجهها عن البعد التداولي في المدخل، ليتساءل حول إمكان استثمار هذا الضرب من الدراسات في قراءة جديدة ترسخ الاعتقاد بانفتاح النص و تعدد المعنى؛ على غرار ما رسخ ته قراءة **قريماس** من دعوى إلى الانصراف عن المعنى القار الذي كانت تنتصر له و التوجه نحو قراءة تتجاوز حدود النسق المغلق.

أما الفصل الأول فقد اختص بعرض الأصول الفلسفية و المنطقية للسيميائيات التداولية، ليبرز إسهام الفلسفة والمنطق في إثراء دراسة الأنساق الدالة بمفاهيم جديدة ر سخت الاعتقاد بالتأويل المفتوح وبسلطة العلامات؛ بينما ركز الفصل الثاني على رص د عناصر السيميائيات التداولية، وتحديد أدواتها الإجرائية، فتم فيه التطرق إلى دعاوى **بورس** بشيء من العرض و التفصيل بغية استكناه العلامات، واستجلاء الطبيع ة التداولية في علاقاتها واستكشاف عوامل تناسقها، ثم التفت البحث إلى فحص آليات إنتاجها و تأويلها؛ لينتقل من ثم إلى عينة من الأبحاث التي تناولت آلية الانفتاح و إنتاج المعنى، فأضفت عليها معان جديدة وقد حاول البحث تجريب الإسقاط المنهجي ما أمكن إلى ذلك سبيلا.

خصص الفصل الثالث لمعاينة الأبعاد التداولية للتمثيل، وقد آثر البح ث التركيز على الأيقونة؛ لأنها تمثل أكثر المستويات يسرا من حيث الإدراك، وأكثرها استثمارا من حيث التطبيق؛ فأجملت فيه بعض الفروع المعرفية التي ركزت على التمثيل الأيقوني ، وعرضت بعض تصوراتها مع توكيد إسهاماتها الأكثر أهمية، ليتجه البحث بعد ذلك إلى بعض الدراسات التي أضحت الأيقونة موضوعها الأساس متوخيا الوقوف على أهم مفاهيمها وإجراءاتها التطبيقية، مع محاولة إبراز محدوديتها أو قصورها في استكشاف بعض مظاهر التأويل.

رصدت الخاتمة القضايا التي أثرت في تمايز مختلف مقا ربات التحليل التداولي والدراسات التأويلية؛ مثل تباين تفسير مفهوم الدلالات المفتوحة و ما خلفه من سوء فهم واختلاف طرائق دراسة العلامات الأيقونية التي أضحت تحتل مركز اهتما م الأبحاث المعرفية.

بهذه الصيغة انتهى البحث جزئيا، وهو يأمل مع كل ذلك أن يكون قد حقق بعضا مما كان يصبو إليه إسهاما في البحث اللغوي و نفعا للدارسين؛ مع ترشيد الباحثين في التصدي للخطاب الإبداعي ومواجهة الصعاب التي تطرحها لغته، ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أتقدم بجزيل شكري إلى أحد أهم مراجع البحث، أستاذي الفاضل أحمد يوسف الذي تبنى هذا العمل، ورافقه في كل مراحله، منذ لحظة البدء إلى لحظة التشكل الجزئي؛ فذل ل بجميل صبره معاناة القراءة وعسر الكتابة، وأسهم برصيده المعرفي الوافر في مواجهة عنت الخطاب الفلسفي، ولم يدخر جهدا في توفير مادة البحث وبعث المناخ الملائم له من خلل توجيهه ومناقشة متصوراته، والحث على مغالبة الذات.

نحمد الله الكريم ونسأله حسن التوفيق لما يحب، سبحانه استكفى الزّلل في القول والعمل.

لقد كانت الدارسات اللغوية قبل ظهور اللسانيات تهمل النسق ، و ذلك ما حذا ب **دوسوسير (F.DE. Saussure)** إلى وصف المحاولات التي سبقته بكل ما حققته من مكاسب و ما شابها من قصور بـــ "الأرضية السيئة التحديد"[1]؛ ليؤسس على أنقاضها صرح مشروع جديد يشكل انعطافا مغايرا ويكس ب اللغة الدقة التي كانت تنقصها؛ فما هي الوضعية الإبستيمولوجية للسانيات؟

I – الوضعية الإبستمولوجية للسانيات:

ارتبط اسم **دوسوسير** بتلك الفترة التي تعزز فيها مصير الانعكاس الدقيق الذي تمخض عنه الفكر اللساني متمثلا في مؤلف نشر سنة 1916 موسوما بـــ " **دروس في اللسانيات العامة** " [*]؛ وهو كتاب تضمن تلك المحاضرات التي ألقاها **دوسوسير** بباريس سنة 1888 ثم بجنيف سنة 1891، والتي ما كان لها أن تظهر للوجود وتلقى ما حظيت به من عناية لولا اثنين من أساتذة جنيف هما **تشارلز بالي (Charles Bally)** و**ألبير سيشهاي (A.Séchehaye)** قررا جمعها ونشرها بمعية **ألبير ريدلنجر (A. Riedlinger)**[2]، والمتتبع لمسار أبحاث **سوسير** لابد أن يلاحظ تردده حيال صياغة أفكاره في شكل نظرية أو مؤلف وقد يكون هذا التردد ناشئا عن " نقص الحماس "[3]، كما قد يكون سببه اعتياص موضوع اللسانيات.

أكد **دوسوسير** من خلال نقده للفيلولوجيا المقارنة على "استحالة تأسيس منهجية متسقة بمعزل عن التنظير للموضوع المراد دراسته، فالمدرسة المقارنة لم تتمكن – على الرغم مما كان لها من فضل في فتح مجال جديد وخصب– من بناء علم لساني دقيق؛ لأنها لم تتطرق يوما إلى العملية الأساسية التي لا يمكن أن يؤسس أي علم دونها، والمتمثلة في تحديد طبيعة الموضوع المراد دراسته "[4]، فقد قدمت الدراسات التي سادت قبل ظهور اللسانيات مجالا مفتوحا ومادة مكثفة للباحثين حالت دون اعتمادهم وجهة نظر خاصة تمكنهم من حصر الموضوع المراد دراسته كما فعل **دوسوسير** الذي اعتمد اللسان "موضوعا واقعيا متكاملا"[5]

---

[1] - F. Gadet, Saussure. , Cours de linguistique générale Préf, T DE Mauro, Paris, éd. Payot, 1972, P 118.

[*] - F. De. Saussure, Cours de linguistique générale, Préf. Edit. Ch. Bally – Alb. Séchehaye, Paris, éd. Payot, 1ére éd. 1916, 5éme éd. 1962, 1972. Edition critique présenté par. T. De. Mauro.

Voir aussi. F. De. Saussure, Ecrits de linguistique générale, texte établit et édité par. S. Bouquet – R. Engler, Paris, éd. Gallimard, 2002.

[2] - F. Gadet, Saussure. Une science de la langue, Paris, éd. P.U.F, 1991, p. 10.

[3] - F. Marty, La bénédiction de Babel. Vérité et communication, Paris, éd. Du. Cerf, 1990, pp. 23 – 24.

[4] - F. De. Saussure (1972), Cours de linguistique générale, op.cit., p. 16

[5] - Ibid., p.23.

وحاول مستعينا باستراتيجية سلبية تقوم على الثنائيات تمييز مشروعه القاضي بتشييد علم لساني عن الأعمال والجهود التي سبقته، فتضمنت ثنائياته نقدا لمجمل القضايا الجدلية التي تطرقت لها الجهود السابقة في محاولة منه لتوضيحها أو لإقصائها.

فكر **دوسوسير** مليا فيما يميز توجهه عن التوجهات التي سبقته، فحاول إنتاج البعد الذي يفصله عنها ويجعل منه "مجددا (...) ومؤسسا للمسعى العلمي في اللسانيات"[1]، وبما أنه كان يعي أن الخطأ الذي ارتكبه الدارسون المقارنون يكمن في عدم ميز النسق من التاريخ [2] طرح في مقابل **التطورية(Diachronie)** إبستمولوجيا مادية للسانيات تنتقل من **الآنية (Synchronie)** بوصفها نسقا من المفاهيم المتمفصلة وتتخذ منها محورا للتنظير، فغدت الثنائية **آنية / تطورية** مركزا نظريا في اللسانيات كونها تمثل مجموع المسائل الأساسية التي ساهمت في التحول اللساني على الرغم من أن الآنية كانت قد حظيت سلفا بأهمية بالغة لدى **وايتني** الذي أكد خلافل**دوسوسير** أن "اللسان يتعلق بمستعمليه"[3]، ولم يحل اعتماده الآنية دون استحضار عنصر الاستعمال، فبماذا يختص مشروع **دوسوسير** إذا وما هو التصور الذي اقترحه لتحديد موضوع اللسانيات ؟

لقد كان **دوسوسير** يتطلع إلى إقصاء البعدين التاريخي والطبيعي عن مجال دراسة اللسانيات من خلال تعيينه الثنائية **آنية / تطورية**،لأن اللسانيات لا ترتكز على موضوعات معطاة في الطبيعة؛ كما أنها تتمنع عن الخضوع للدراسات المقارنة التي لاتتضمن خصوصية اللسان ولا تتعدى تحليلاتها وصف تطور الألسن[4]، فاللسان "لا يستمد خصوصيته من موقعه ضمن سلسلة تاريخية، بل يحفظها له الترتيب الداخلي للكلمات "[5]، وبما أن **دوسوسير** كان يحاول تفسير كيفية التفكير في الثابت والمتغير معا[6] اعتمد الآنية موضوعا نظريا كونها تمثل التجريد أو بمعنى آخر البناء.

لقد كانت اللسانيات تتطلع إلى بناء أنساق صورية للألسن انطلاقا من الواقعات اللسانية لأنها "لا تتصل بالواقع (...) بل تمثل علاقات الترابط والتمفصل التي يقتضيها النسق "[7]، وقد

---

[1] - C. Fuche- P. Goffic, Initiation aux problèmes des linguistiques contemporaines, Paris, éd. Hachette, 1975, p. 10.
[2] - F. De. Saussure (1962), Cours de linguistique générale, op.cit., pp. 16 – 17.
[3] - A. Jacob, Genèse de la pensée linguistique, op.cit., p. 155
[5] - شبه " **سوسير** " المقارنين في تعاملهم مع الظواهر اللغوية وفي مقارنتهم الألسن بعلماء الأحياء الذين يعتمدون ملاحظة النباتات معيارا لدراساتهم وأبحاثهم.

Voir. F. De. Saussure (1962), Ibid., p. 128.

[6] M. Foucault, Les mots et les choses, Paris, éd. Gallimard, 1966, p. 104
[7] - L. Althusser, Lire le capital, T1, Paris, éd. Maspero, 1968, p. 134

أفضى ذلك إلى بحث جدي عن موضوع يدرس في ذاته ولذاته ؛ انتهى بالعثور على اللسان بوصفه الموضوع الأمثل لبناء أنحاء تكون بمثابة نماذج دقيقة لدراسة الألسن لأن "الهدف العام الذي يتوخاه اللساني، ليس العثور على أصول المعنى وإنما هو بناء الموضوع النظري المؤسس للعلم والمتمثل في اللسان الذي يعد موضوعا يشترك فيه أعضاء الجماعة اللسانية الواحدة "[1] ؛ وبذا يغدو الموضوع اللساني قرارا يتخذه الباحث ليتعامل مع النص على أنه نسق معزول، إذ "توجد خارج النص موضوعات يجوز التعامل معها من زوايا مختلفة، على خلاف اللسانيات التي تتضمن وجهات نظر وحسب، يتم من خل لها إبداع أشياء معينة، سواء كانت صحيحة أو خاطئة (...) ويفترض في اللسانيات سلفا وجو د موضوعات معطاة، وأشياء يستمر وجودها أثناء الانتقال من مجموعة أفكار إلى أخرى"[2]، ومعالجة النص دون الاستعانة بما يخرج عن نطاقه سرتضمن له الدقة.

بدا الجهد الذي بذله **دوسوسير** رهينا بالمفارقة التي تميز ا للسانيات عن باقي العلوم، لأنه "كان يطمح إلى بناء علم دقيق ل لغة على غرار الفيزياء (...) كما كان يحاول إبدال الفلسفة وتعويضها بعلم يكون كفؤا لموضوع المعرفة الذي يكشفه ويبنيه في الوقت ذاته "[3]؛ فلا شيء طبيعي في الواقعات المراد دراستها التي تمثل شبكة من التقابلات والعلاقات غير المادية، ولا وجود لها بمعزل عن هذه الشبكة؛ إذ تكمن خصوصية اللسان في خضوع هذه الواقعات للنسق حيث لا قيمة لعنصر في حد ذاته؛ بل يرتبط وجوده بالمكانة التي يشغلها في النسق، وبمعنى آخر فإن مشروع **دوسوسير** يقدم اللسان على أنه شكل فارغ يكون فيه حضور مفهومي النسق والقيمة قويا.

يسمح مفهوم القيمة بالإحاطة بالو ضعية الخاصة للعلوم الإنسانية في مقابل العلو م الوضعية وعلوم الطبيعة، لأن آليات القيمة تصف معرفة جديدة تعارض فكرة الماهية وتصف مقاربة العلامات من خلل الفراغات والتباينات؛ حيث إن دلالة العلامة تتعلق بلتباينات التي تتمخض عن علامات أخرى، وهذا يعني أن واقع العلامة اللسانية لا ينفصل البتة عن وضعه

[1] - G. Vigneaux, Entre linguistique et cognition des problématiques de l'énonciation à certains développements de l'œuvre d'Antoine Culioli, in. Langue et langage. Problèmes et raisonnement linguistique, sous direction de. J. Bouscarène et al ., Paris, éd. P.U.F, 1995, p. 565.

[2] - F. De. Saussure (1962), Cours de linguistique générale, op.cit., p. 116.

[3] - A. Hénault, Saussure et la théorie du langage, in. Questions de Sémiotique, sous direction de. A. Hénault, Paris, éd. P.U.F, 2002, p. 56.

في النسق؛ إذ ترتبط مكانة العلامة بشبكة من المشابهات والتباينات تضعها في مقابل علامات مغايرة.

لا تكتسب العلامة قيمتها إلا في صلب حركية تشوب اللسان كله لأن "اللسانيات لا تفسح أي مجال للمعطيات الطبيعية "[1]؛ فالعلامة تقاس وفقا للتباينات ولا تحمل في ذاتها أي محتوى وضعي؛ بل تدل على غياب العلامات المحتملة في الموضع الذي تشغله، لأن خاصيتها الدقيقة تكمن في قدرتها على التواجد حيث تغيب علامة غيرها، وهذا ما يضفي عليها سمة التباين، وبناء عليه فإن العلاقة بين العناصر يؤكدها اللسان الذي " لا وجود فيه إلا للتباينات "[2]، حيث لا يوجد أي كيان إلا من خلال التفاعلات السلبية، وعلى الرغم من أن التباين يفترض حدودا إيجابية يتموضع بينها، فإن اللسان لا يحتوي إلا التباينات لأنه "لا يتضمن الأفكار أو الأصوات التي تسبق النسق اللساني؛ بل يحوي فقط تلك التباينات المفاهيمية الناتجة عن هذا النسق، مما يعني أن فكرة العلامة أو مادتها الصوتية ليست مهمة بقدر أهمية ما يحيط بهذه العلامة من علامات أخرى "[3]، فالمعنى يحكمه البعد بين العلامات، والعلامة إذا كانت تستقي قيمتها من وضعها الذي تتخذه في علاقتها بباقي العلامات، فإن قيمتها تلك ستتغير حالما تتكامل علامات أخرى في النسق.

تعكس طبيعة المفاهيم التي صاغها **دوسوسير** استحالة الاستغناء عن عنصر من عناصر النسق أو تحاشي سمة التباين لأن خصوصية العلامة تكمن في اختلافها عن غيرها وهذا يعني أن اللسان نسق قيم، والنسق هو الخاصية البنائية للسان، إنه مجموع أرقى من الفرد يتحدد فيه الكل من خلال شبكة من العلاقات القائمة على التباين.

لقد قدر لشرط انصهار مفهومي القيمة والنسق أن يدعم دراسة اللسان بوصفه "نسقا مغلقا ومنسجما وذو قابلية فهم متبادلة يجب أن تدرس في ذاتها ولذاتها فتشكل بذلك الموضوع الوحيد للسانيات"[4]، وأن يساهم في تطوير اللسانيات البنيوية التي تمخضت عنها تلك الأهمية التي أوليت للبنية بوصفها وحدة من العلاقات الداخلية "تجمع في الوقت ذاته فكرة الآنية (أولوية حالة اللسان على التاريخ) وفكرة النظام (اللسان بوصفه وحدة من الكليات التي تتضمن الأجزاء)، وأخيرا فكرة التركيب (اللسان بوصفه ترتيبا محدودا من الوحدات

[1] - F. De. Saussure (1962), Cours de linguistique générale, op.cit., p. 162.
[2] - Ibid., p. 162.
[3] - Ibid., p. 166.
[4] - F. Fagaro, Le Langage, op. cit., p. 26.

الضمنية) "[1]، لكن على الرغم من أن الحد **بنية** لم يرد في الدروس الذي آثر فيه صاحبه الحديث عن نسق اللسان ؛ فإن العثور على مبدأ للتحليل يقوم على اختزال التفسير، و وحدة الحل، وإمكان إعادة بناء النص انط لاقا من عنصر دقيق، قد وجد ضالته في ال لسانيات التي تختص بدراسة الألسن وتستهدف في الوقت ذاته الآليات القاعدية أوالعناصر البسيطة.

تعد اللسانيات إذا مشروعا بنويا ومنهجيا لأن **دوسوسير** كان يسعى إلى استنباط الأحكام وإلى إنتاج علم يقوم على قاعدة برهانية واستنتاج ية، وبما أن بنية اللسان كانت صورية ومجردة، بدت المستوى المفضل بالنسبة له، لأن اللسان كما ثب ت عنه هو نسق من العلامات، إنه "فتيل تباينات سلبيتها دائمة"[2]؛ ولا تحتمل وجود أي كيان ثابت أو منفصل ، لكن أليس التعامل وفقا لهذه التباينات في الواقع دنوا من خصائص تشكل ولو ضمنيا تغييرات الصيغ الملاحظة وتؤمن الانتقال المستمر من صيغة إلى أخرى ؟

تبدو محاولة الإحاطة بعنصر وحيد دون وساطة باقي العناصر أمرا غير ممكن في الأنموذج الذي صاغه **دوسوسير**؛ لأن "حالة اللسان تقدم لدراسته موضوعا واحدا فقط هو العلاقة بين الصيغ وبين الأفكار التي تحملها هذه الصيغ "[3]، إلا أن اللسان ليس مثال مستوى صوري ومجرد وحسب، بل هو مكان يقطنه اللاوعي الذي يكتنفه غموض جدير بأن يضفي على الدرس اللساني قدرا كبيرا من العسر.

لقد أصيب **دوسوسير** بالإحباط من جراء مجاراته هذا الغموض النظري، وذلك ما يبرره قوله: "لقد كان البحث اللساني يحاول (...) تضييق الخناق على شبح "[4]، مما يفسر اقتراب أنموذجه التحليلي من تجسيد "فكرة اعتياص اللغة التي تقوم على حوار دائم بين التبسيط والتعقيد "[5]؛ حيث كان "يضع اللسانيات في موضع حرج ومتذبذب بقدر ما كان له من فضل في إضفاء الطابع العلمي عليها، و في تحديد موضوع دقيق لها ؛ كونه أقصى –ولو إجراء– الكلام عن مجال دراستها "[6]، وهذا يعني أن الانشغال بضمان استقلالية اللسانيات وبإدراجها ضمن السبيل الصحيح للعلم كانت الدافع الأساس إلى انصراف **دوسوسير** ومن

---

[1] - P. Ricœur, le conflit des interprétations. Essais d'herméneutique, Paris, éd. Du. Seuil, 1969, p. 83.
[2] - F. De. Saussure, Cahier Ferdinand De Saussure, 12 (1954), p. 63, cité par E. Benveniste, Problèmes de linguistique générale, Paris, éd. Gallimard, 1966, p. 41.
[3] - F. De. Saussure (2002), Ecrits de linguistique générale, op.cit., p. 86.
[4] - F. De. Saussure (1962), Cours de linguistique générale, op.cit., p. 130.
[5] - E. Morin, La méthode. Connaissance de la connaissance, Paris, éd. Du. Seuil, 1986, p. 120.
[6] - G. Vigneaux, Entre linguistique et cognition. Des problématiques de l'énonciation à certains développements de l'œuvre d'Antoine Culioli, op.cit., p. 565.

والاه من البنيويين عن الكلام وإلى إقصائهم كل ما يتعلق به من ظواهر فردية، وعدم إدراجهم إياه ضمن مجالات اهتماماتهم؛ إذ استعملوا مبدأ **نصل أوكام** [*] **(G. D'Ockham, ou Ockam, ou Occam)**، فتعاملوا إزاء الظواهر اللغوية بتعسف، لكن هل يمكن الجزم باقتناع **دوسوسير** بهذا القرار المنهجي؟ ثم كيف يمكن تفسير موقف البنيوية التي كانت "تنطلع إلى العثورعلى تكامل جوهري بين المنهج والواقع يعكسه التكامل المنهجي للشكل والعمق "[2] من ناحية، وترفض كل ما يتعلق بالواقع من ظواهر فردية وثقافية من ناحية أخرى؟

II- مفارقة الإقصاء الإجرائي للكلام:

لقد كان لرغبة **دوسوسير** الملحة في تشييد اللسانيات على أسس نه ائية وحاسمة أن دفعت به إلى البدء بتقويض كل ما يحول دون هذا التشييد ؛ بغية انتشال الدرس اللغوي من محيط دراسة الواقعات لوضعه في محيط نسقي مجرد يخلو من التراتبية ويخضع لسلطة العلاقات المنطقية المجردة، وقد تمكن **دوسوسير** من تحديد الانعطاف اللساني بدقة متناهية.

لقد هيأ **دوسوسير** أرضية خصبة للدراسة التقنية للغة من خلال التحديدات التي قدمها في الدروس ،وقد أدى ذلك إلى "الاقتصار على التحليلات التقنية التي لا تولي أي أهمية للعلاقات القائمة بين اللسان والفكر و الأدب والثقافة والتاريخ "[3]؛ ومن أهم هذ ه التحديدات تعريفه اللسان بأنه "مجموعة من الصيغ المتلائمة التي تتمثلها مجموعة من الأفراد "[4]، مما يعني أن اللسان ناتج اجتماعي لملكة اللغة يتبناه أعضاء الجماعة اللسانية الواحدة، إنه ما يمكن تحديده بوصفه موضوعا اجتماعيا قحا، فهو "نتاج اجتماعي لملكة اللغة، ومجموعة من التعاقدات الضرورية ا لتي يتبناها المجتمع ليؤم ن ممارسة هذه الملكة لدى الأفراد "[5] أو بالأحرى مجموعا نسقيا من المصطلحات الضرورية للتواصل، أما الكلام فلا يمكن فهمه قط دون التسليم باشتراك الأفراد في امتلاكهم نسقا يربط الأصوات بالمعاني.

---

[*] - إن " نصل أوكام " (Ockam's Razor) أو بمعنى آخر مبدأ " الاقتصاد في الفكر " هو مبدأ قال به " أوكام " الذي كان اسمي النزعة، يؤمن بالتجريبية المطلقة، و يؤمن باعتماد كل معرفة علمية على التجربة، ويعد مبدأ " الاقتصاد في الفكر " الذي يقوم على ثلاث قواعد هي عدم افتراض الكثرة إلا عند اقتضاء الضرورة، وعدم إنجاز الشيء بالكثير من الفروض إذا كان من الممكن إنجازه بالقليل منها وعدم الإكثار من الكيانات دون اقتضاء الضرورة، السمة المميزة للتجربة حيث يتم ربط الضرورة بالتجربة وفقا لهذا المبدأ الذي اعتمده أوكام ودعا إليه.
ينظر : J. Quillet, Ockam, Encyclopedia universalis, Corpus 16, Paris, éd. France Sa, 1990, pp. 760 – 764.

[2] - Cl. Lévi-Strauss, Le totémisme aujourd'hui, coll. Mythes et Religions, dirigée par. G. Dumézil, Paris, éd. P.U.F, p. 131.

[3] - H. Meschonnic, Préface de « Traduction de Humboldt », par. J. Trabant, tr. M. Rocher-Jaquin, Paris, maison des sciences de l'homme, 1999,p. XII.

[4] - F. De. Saussure (2002), Ecrits de linguistique générale, op.cit., p. 129.

[5] - F. De. Saussure (1962), Cours de linguistique générale, op.cit., p. 25.

يبدو هذا التحديد وجيزا للغاية؛ إذ كان من الممكن أن يحتمل مزيدا من الدقة، لكن **دوسوسير** ما كان ليضمن للسانيات استقلال ها دون هذا الحصر الذي يسمح بدراسة اللسان بوصفه نسقا مغلقا من العلامات والقيم ، ويجعل المساعي المشكلنة ممكنة، ومع ذلك فقد أدى هذا الانتقاء المنهجي إلى وجوب التخلي عن تل ك الظواهر التي ستخل بمبدأ نسقية الدرس اللغوي إن هي أدرجت في إطار دراسة اللسانيات، وكان الكلام إحدى الظواهر التي فصلت عن الدرس اللساني لأن ذلك بدا ضروريا لتأسيس علم جدير بحيازة السمة العلمية.

تأثرت اللسانيات بدقة العلوم وبتحليلاتها المجردة؛ فأسهم ذلك في بعث فتنة بنوية تأثر بها بعض اللسانيين من أمثال **يامسليف (L.Hjelmslev)** الذي ألفى في الدقة والموضوعية طموحا إلى جمال يفوق الأبحاث الجمالية السطحية عمقا ونبلا [1]، وتبعا لذلك فإن تمييز **دوسوسير** بين اللسان والكلام قد سمح بتأسيس علم يقوم على قواعد النسق ، وأوحى بإقصاء الكلام الذي يمثل مجال الانجاز الفردي من الدرس اللساني.

لقد اقتصرت اللسانيات في تحليلاتها على اللسان؛ وأهملت الكلام على الرغم من أنه يقدم ملاحظات متباينة يصعب حصرها ، وهذا يعني أن " فصل اللسان عن الكلام، هو فصل للاجتماعي عن الفردي، أو فصل للضروري عن الملائم، أو بالأحرى فصل للافتراضي عن المحقق "[2]؛ إذ يتعلق الأمر بالمقابلة بين السنن العام الذي تختص به كل جماعة لسانية ويستقل عن المستعملين، وبين فعل استعمال الذوات الحر للسنن، إلا أن اعتماد نسق مثالي يتميز عن الآليات القاعدية للاستعمال يقتضي تقديم سنن مثالي يكون موضوعا لدراسة اللسانيات أويكون سننا حياديا معزولا عن الواقع، وهذا ما كان يتطلع إليه **دوسوسير** الذي تبنى قرارا يقضي بإقصاء الكلام، لكن هل يمكن فعلا إدراك العلاقة التي تربط الذوات المتكلمة باللسان دون الاستعانة بالظواهر الفردية ؟

إن اللسان والكلام مرتبطان ويستدعي أحدهما الآخر، فاللسان يفترض الكلام سلفا لأنه يسعى لأن يكون مفهوما، والكلام ضروري لتأسيس اللسان، ولعل ذلك ما يبرر تحديد **دوسوسير** اللسان بوصفه "كنزا وفرته ممارسة الكلام ل لذوات التي تنتمي إلى الجماعة

[1] - L. Hjelmslev, « Entretien sur la théorie du langage », in. Nouveaux Essais, Paris, éd. P.U.F, 1985, p. 86.
[2] - F. De. Saussure (1962), Cours de linguistique générale, op.cit., pp. 30 – 31.

نفسها"[1]، وهذا يعني أن اللسان نسق من التقابلات ا لمتلائمة، أما الكلام فيمثل مجالا للتغيرات الحرة أو بالأحرى مجال إبداع غير محدود للجمل انطلاقا من السنن.

يبدو إذا أن هذا التحديد يقدم تدرجا واضحا تتجلى من خلله وظيفة اللسان التي تتمثل في توليد الكلام ووصف وحداته وقواعده التركيبية، لكنه مع ذلك لا يقدم مبر را مقنعا لدعم مقولة الإقصاء لأن اللسان ليس إلا سيرورة إبداع بطيئة ينعشها الكلام الذي يساهم في تعديل مختلف مكونات اللسان الصوتية والدلالية والتركيبية، ويعد حدثا يختزل إلى راهنية زمن بثه إنه حدث فردي ينماز بخصوصيات فردية والإحاطة به تتعلق بوجهة نظر تطورية لأ ن "أثر التطور يسبقه عادة أثر معين، أو بالأحرى تسبقه مجموع ة آثار متشابهة في سيرورة الكلام "[2] أما اللسان فإن ثباته يؤهله لأن يكون أثرا اجتماعيا، فهو ينتمي إلى ما يسمح بإنتاج التعبير وهذا ما يثبت وجود اللسان ويبرر فاعليته.

لقد قدم **دوسوسير** قاعدة فحواها أن اللسان هو اللغة منقوصا منها الكلام "[3]، وهذا يعني أن اللغة تجمع بين اللسان والكلام، وأن ولوج صعيد الكلام لا يتم إلا من خلل اللسان "فاللغة واللسان معطيات مجردة تمثل شروط إمكانات الكلام"[4]، ويبرز من خلل هذه التحديدات اهتمام **دوسوسير** الشديد بالعلاقة التضمينية التي أولاها لكل من اللسان والكلام، مما قد يوقع قارئ الدروس في وهم فحواه أن **دوسوسير** كان مترددا حيال إقصاء الكلام، إلا أن نصوصا وردت في الدروس تفند هذا الرأي بل و تؤكد مقولة إقصاء الكلام الذي لم يكن حضوره إلا ثانويا "فالحديث عن لسانيات الكلام ممكن، لكن لا يجب ا لبتة الخلط بينها وبين اللسانيات التي موضوعها اللسان"[5]، وهذا يعني أن القول بإمكان الحديث عن لسانيات موضوعها الكلام ليس في الواقع تبنيا للكلام أو قبولا به ب وصفه موضوعا قاعديا في اللسانيات؛ حيث ثمة "فصل جلي في التصور السوسيري بين اللسانيات التي موضوعها اجتماع ي مستقل عن الفرد هو اللسان و بين لسانيات الكلام على منوال الفصل بين اللسان والكلام"[6]، وتبعا لذلك فإن الكلام لم ينل مكانة مميزة في اللسانيات ولم يتعد استدعاؤه النظري إثبات فاعلية اللسان لأنه يرتبط

[1] - Ibid, p. 30.
[2] - Ibid, p. 138.
[3] - Ibid, p. 112.
[4] - G. Gusdorf, La parole, Paris, éd. P.U.F, 1990, p. 05.
[5] - F. De. Saussure (1962), Cours de linguistique générale, op.cit., pp. 38 – 39.
[6] - J–M. Auzias, Clefs pour le structuralisme, Paris, éd. Seghers, 1967, p. 31.

بالذوات المتكلمة وبالاستعمال وبالسياق، لكن ما مدى خصوبة مقول ة الإقصاء إذا كان **دوسوسير** لا ينفك يستدعي الكلام بإلحاح نظريا ؟

أقر **دوسوسير** بأهمية الكلام وبأولويته على اللسان فيما يتعلق بالتعلم لأنه "مركب فردي للغة، وفعل إرادة وذكاء"[1]، فاللغة الأم "يتم تعلمها سماعا، وهي لا تسكن الأذهان إلا بعد خضوعها لعدد غير محدود م ن التجارب، وهذا يدل على أن الكلام هو الذي يمظهر اللسان أما العادات اللسانية فتعدلها تلك الانطباعات التي تستقى من سماع الآخرين، وعليه فإن ارتباطا وثيقا يوجد بين اللسان والكلام الذي يعد في الوقت ذاته أداة اللسان ونتاجه"[2]، فهل هذا يعني أن استحضار الكلام ينم عن عدم اقتناع **دوسوسير** بمقولة الإقصاء، أم أن استحضاره كان مجرد إجراء تعزيزي غايته تحصين المشروع اللساني من القصور النظري؟

لم يكن القرار المنهجي القاضي بإقصاء الكلام ناشئا عن خ طإ فلسفي أو عن قصور نظري، لأن "الكلام قد يعد لباسا للفكر"[3]، كما إن فهم الواقع تحكمه بنى المعنى والإدراك وبما أن مفهوم الواقع يشكل كلا، استدعى ذلك وجوب التسليم بوجود نسق سيميائي وحيد يتضمن جميع الأسنن ويقع في لاوعي الفكر الإنساني، وهو ما كان يثق به **دوسوسير** الذي كان يعي أنه قد أرسى من خلل تأسيس اللسانيات قواعد مشروع واسع سماه السيميو لوجيا وهو مشروع يتسم بقدر كبير من الش مولية التي تكفل له احتواء جميع أ نساق العلامات اللسانية وغير اللسانية [4]، وقد توسم **دوسوسير** في هذا العلم العام تكفله بمجال اختصاص العلامات واستكشافه القوانين التي تحكمها، وهذا يعني أن هذا العلم العام سيضم بالإضافة إلى اللسانيات كل ما أقصي من الدرس اللساني، لكن ما مدى خصوبة اللسانيات إذا كانت النصوص الأدبية تأبى الخضوع للتحليلات اللسانية التقنية وترفض المراوحة في الحدود التي رسمتها اللسانيات؟

لقد كان هاجس تأسيس علم دقيق يتناول النصوص الأدبية بقدر كبير من الموضوعية فيكفل لتحليلاتها نتائج دقيقة على غرار ما تقدمه العلوم الدقيقة لمجالات دراستها سببا في اعتماد **دوسوسير** اللسان موضوعا وحيدا للسان يات، و في تعامله مع الكلام الذي يجسد الفردانية بكل م عانيها وأبعادها بتعسف وبعدوانية؛ حيث أقصى بإقصائه الكلام ثلاثة مفاهيم أساسة هي: الذوات المتكلمة والسياق والاستعمال، فسمح بذلك بدعم مقولة النسق لأن اللسان

---

[1] - J. Dubois, Dictionnaire de linguistique, Paris, éd. Larousse, 1973, p. 359.
[2] - F. De. Saussure (1962), Cours de linguistique générale, op.cit., p. 37.
[3] - J. Derrida, De la grammatologie, Paris, éd. De. Minuit, 1967, p. 52.
[4] - F. De. Saussure (1972), Cours de linguistique générale, op.cit., p. 33.

الذي يعد كنز السنن؛ إذ يمثل في مقابل الكلام "الجزء الاجتماعي للغة، فهو خارج عن الفرد الذي لا يمكن خلقه أو تعديله، ودراسته تقتضي بالضرورة التخلص من باقي العناصر"[1]، وهذا يعني أن التخلي عن الكلا م وعن " تمظهراته الفردية والمؤقتة"[2] ليس التزاما بقواعد المحايثة وضمانا لنسقية اللسان وحسب، بل هو تبرير لإقصاء الذوات المتكلمة، حيث نلمس من "تمييز اللسان بوصفه نسقا تواصليا ينتمي إلى الجماعة اللسانية عن ال كلام الذي يعد تحيينا لهذا النسق"[3] اهتماما بإبراز العلاقة بين اللسان والمجتمع وإهمالا للكلام والأفراد يتضمن إقصاء لكل ما هو ذاتي "ويمارس على اللغة اختزالا يجعل منها تصنيفا بح تا تعوزه الإنتاجية"[4]، لأن إقصاء الأفراد أو الذوات المتكلمة هو رفض صريح للذاتية، و هو من ثم رفض للإبداع (**Créativité**) الذي يعد أساسا لكل عمل فني.

لقد تجاوزت مقولة إقصاء الذوات المتكلمة حدود المشروع السوسيري لتطال اللسانيات التوليدية التي أرسى قواعدها **تشومسكي** (**N. Chomsky**) الذي "عرف بتبني تصور متميز فحواه أن المقاربة الأكثر إجرائية هي تلك التي تع تبر اللغة جزء من العالم الطبيعي "[5] وطورالتمييز بين اللسان والكلام إلى تمييز بين الكفاية (**Compétence**) والإنجاز (**Performance**)؛ ليؤثر إسناد الكفاية إلى متكلم مثالي أو نظري على الرغم من وعيه التام بالعلاقة التضمينية التي تقتضي "استحالة وجود الكفاية دون وجود الإنجاز "[6] وذلك ما يدعو إلى التساؤل عن مدى إمكان إقصاء الإنجاز الذي يمثل الذوات المتكلمة بامتياز إذا كان يرتبط قسرا بالكفاية؟

أقصى **جاكبسن** (**R.Jakobson**) المتكلمين في نظرية التواصل، لأنه كان يتطلع إلى تعريف فعل التواصل أثناء محاولة دراسة القصيدة من خلل شكلها ومن خلل الموضوعات التي تناولتها، ونتيجة لسعيه إلى تفسير الوظيفة الشعرية التي كانت سببا في اقتراحه ترسيمة وظائف التواصل حاز تفسير الوظيفة مكانة مركزية في اهتماماته لأنه كان يسعى إلى وضع القصيدة في مركز المرسلة كما كان على اقتناع بأن "هدف الأدب هو أدبيته أو بالأحرى

---

[1] - Ibid., p. 31.
[2] - Ibid., p. 38.
[3] - A. Martinet, La linguistique synchronique, Paris, éd. P.U.F, 1965, p. 12.
[4] - J. Kristéva, « Epistémologie de la linguistique » in. Langage, n. 24, Paris, éd. Didier – Larousse, 1971, p. 113.
[5]- محمد غنايم ، النحو التوليدي ومقاربة اللغة ، دراسات مغاربية . مجلة البحث والبيبليوغرافيا المغاربية ، ع . 09 ، 1999 ، ص ص 40– 41.
[6] - N. Chomsky, La linguistique cartésienne. Suivie de la nature formelle du langage, Tr. E. Delamoe et D. sperber, Paris, éd. Du. Seuil, 1969, p. 125.

العناصر المحددة التي تجعل منه عملا أدبيا"[1]، وبأن الغرض الوحيد للغة هو التواصل أو تبليغ المعلومات.

لقد وافق معظم اللسانيين على قرار إقصاء الكلام الذي يملك آثارا تعليلية قوية ويساهم إلى حد بعيد في تصحيح اعتباطية اللسان التي تجسد القيمة التقابلية للوحدات اللسانية فخاصيتي الاعتباطية والتباين تتضمن إحداهما الأخرى، وذلك ما تبرره الدروس التي تبدو في مجملها صراعا لإثبات نسقية اللسان وانتصارا للاعتباطية التي تعارض أي تمثيل للعلامات من خلال اعتقاد المواضعة أو علاقة الضرورة.

يتضمن القول بالاعتباطية قولا بمحايثة اللغة التي تتعلق بإيثار قوانين التوازن على قوانين التطور وبالتحرر من العناصر الغريبة عن النص للتوجه نحو النسقية التي تعتمد خصائص المحايثة، فالتفسير الشائع للاعتباطية يؤكد عدم وجود علاقة ضرورة بين الفكرة وبين مجموع الأصوات الدالة عليها وهو ما لم يقتنع به **بنفنيست** (**E. Benveniste,**) الذي لاحظ أن الاعتباطية تقتصر على علاقة الدال بالمرجع، وهما عنصران يتعلقان بمادية معينة إذ يمكن أن يشتق أحدهما من الآخر، وبالمقابل فإن بين الدال والمدلول –بوصفهما ينتميان إلى رتبتين غير متناظرتين ويمثلان جانبا العلامة– تلازما دائما تبينه الصيغ الدلالية التي تكون دالة ومدلولة في الوقت ذاته، كما يبينه انتقاء الألفاظ والأفكار الذي يتم مع أكبر قدر من الضرورة ودون أدنى شعور بالاعتباطية [2]، وتبعا لذلك فإن العلاقة بين الدال والمدلول علاقة ضرورة لأن حضورهما في الفكر تضميني، فبمجرد استدعاء أحدهما يحضر الآخر وجوبا وهذا يعني أن في الوعي يتماهى المدلول بقوة مع الدال مما يجيز التساؤل عن إمكان تقويض الاعتباطية –التي يرى فيها **سوسير** "الخاصية السيميولوجية بامتياز "[3]– أو عن إمكان خضوعها لبعض التعديلات التي تخرجها من الإطار الذي رسمته الدروس وتتيح لها مواتاة العلاقات بين التركيب والمنطق، وبمعنى آخر ألا توجد بنى عميقة أو منطق عام تبدو الألسن الطبيعية في مقابله تعبيرات أو بنى سطحية ؟

[1] - R. Jakobson, Questions de poétique, Paris, éd. Du. Seuil, 1973, p. 15.
[2] - E. Benveniste, « Nature du signe linguistique », in. Problèmes de linguistique générale, Op.cit., pp. 49 – 55.
[3] - R. Godel, Les sources manuscrites du cours de linguistique générale de Ferdinand de Saussure, Genève, Librairie Droz, 1969, pp. 193 – 203, cité par A. Rey, Théorie du signe et du sens, Lecture II, Paris, éd. Klincksieck, 1973, pp. 253 – 261.

لقد نحت اللسانيات منحى توليديا تحويليا بعد المدخل إلى التوليدية الذي قدمه **تشومسكي** وحاول من خلله مناقشة علاقة اللسانيات التوليدية بالمشروع الديكارتي وبنحو مدرسة **بور–رويال** ومجادلة الافتراضات التي طرحتها اللسانيات التوزيعية والسلوكية وأخذت تع نى بالجانب الإبداعي للغة وبالفكرة التي فحواها ارتكاز النحو على الفطرة فالملفوظات تشتق من ملفوظات مركزية ثابتة ذات أصول منطقية مما يضفي على اللغة دقة متناهية و يجردها من كل ما ه و دلالي، لأن "مفهوم القواعدية لا يمكن تشخيصه بأنه كل ماله معنى أو كل ما هو ذو مغزى وفق أي مفهوم دلالي (...) وأي بحث عن تعريف للقواعدية يعتمد على الدلالة يكون عقيم ا"[1]، إلا أن اللسانيات التوليدية انتقلت بعد النقد الذي تعرضت له من مرحلة ملاحظة الظواهر ووصفها إلى محاولة تفسيرها والتقعيد لها.

عدل **تشومسكي** عن رفضه للبعد الدلالي، واعتمد على قواعد الإسقاط التي تقتضي المقارنة مع المكون التركيبي [2] مصرا على منح اللغة التي تستند في تحليلاتها إلى المنطق طابعا إبداعيا على غرار **ديكارت (R. Descartes)** الذي يعد كل من الكلام وا لعقل البشريان في تصوره أداة عامة يجوز التعامل معها واستعمالها في جميع أنواع ال تعارف بما في ذلك تلك الأنواع أو المصادفات التي لا يمكن أن تحيط بها التفسيرات السلوكية[3]، وهو ما يجعل من الإبداع ميزة تخص اللغة.

طور **همبولت** الحدس الديكارتي للإبداع؛ فقدم تحديدا وراثيا مزدوجا للغة يهدف إلى جعل الصوت تعبيرا للفكر، ويتضمن فكرة المقابلة بين العمل المنجز **(Ergon)** وبين العمل المتجدد**(Energeia)**[4]، مما يعني قولا بمحدودية الأصل واستمرار المنجز، فاللغة قادرة على معالجة عدد غير محدود من التشكيلا ت غير المتوقعة انطلاقا من آليات مح ددة تمثل شكلها وهي فكرة استعارها **تشومسكي** * الذي كان يتوخى "العثور على حدس يتيح الإحاطة ببن ية عميقة تشترك فيها جميع الألسن "[5]، وقد ح ذا به ذلك إلى التسليم بوجود نحو عام يشترك فيه

---

[1]- نعوم جومسكي، البنى النحوية، تر. يوئيل يوسف عزيز، مر. عزيز الماشطة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1987، ص ص.19 – 20.

[2]- ينظر، ميشال زكريا، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983، ص ص.31 – 38.

[3] - N. Chomsky, La linguistique cartésienne, op.cit., p. 21.

[4] - Voir, H. Arvon, La philosophie allemande, Paris, éd. Seghers, 1970, p. 113, et P. Caussat, Introduction à l'œuvre sur le kavi et autres éssais, Paris, éd. Du. Seuil, 1974, p. 184, cité par B. Malmberg, Histoire de la linguistique. De Summer à Saussure, Paris, éd. P.U.F, 1998, p. 261.

*- أشار " **تشومسكي** " في مؤلفه " اللغة والفكر " إلى أنه استعار مطارحة " **همبولت** " ومفاهيمها، وفحوى هذه المطارحة أن المحاور ينتج استعمالات غير محدودة انطلاقا من معطيات لغوية محدودة.

Voir N. Chomsky, Le langage et la pensée, op.cit., p. 48.

[5] - N. Chomsky, La linguistique cartésienne, op.cit., pp. 76 – 77.

البشر، وبانفراد كل لسان بتركيب مميز، كما اهتدى إلى الفصل بين بنيتين للغة إحداهما تشترك فيها جميع الألسن بوصفها البنية العميقة لها والأخرى تختلف باستنادها إلى نسق التحويلات من لسان إلى آخر وقد نعتها بالبنية السطحية، وهذا يعني أن الملكة اللغوية وحدها كفيلة باستخدام المعطيات اللغوية بصورة متجددة بغية توليد عدد غير محدود من الصيغ والنماذج.

لقد ولد الاهتمام الشديد بالجانب التركيبي للغة وعيا بعسر العمليات التركيبية تمخض عنه قول بفطرية اللغة، حيث "تفترض النظرية التوليدية أنه عند ولادة الأطفال فإنهم يبرمجون وراثيا لاكتساب اللغة، ويحصل هذا بصورة عفوية "[1]، وقد أعلن **تشومسكي** رفضه للسياق في حوار مع **بياجيه**[2] **(J. Piaget)** وأكد على ضرورة وجود قاعدة عقلانية تجسد الحضور الضمني للقواعد الفطرية التي يتمتع بها الفرد وتؤمن جمع التمثيلات الصوتية بتطبيق القواعد النحوية للسان، فاللغة "ليست شيئا نتعلمه، وإنما هي شيء يحدث لنا، كما يحدث أن نمشي أو أن نصل إلى سن البلوغ أو أن تنبت لنا أذرعه بدلا من أجنحه، وأما الاستعداد والخبرة والبيئة، كل ذلك ليس سوى حافز أو قادح لكي يعمل النظام اللغوي الفطري وفقا لما صمّم له أو وفقا للكيفية التي صنع بها"[3]، وهذا يعني أن المفهوم التوليدي قد تحول إلى مجرد إجراء حسابي يخلو من الإبداعية، فالقول بفطرية اللغة ليس إلا قولا "بتعذر تشكيل الأفكار تبعا للرغبات"[4] يتضمن نفيا لواقع اللغة الذي ينعشه النشاط الإبداعي للعقل البشري.

تحدث **تشومسكي** عن الإبداع مفترضا أنه يرتكز على قاعدتين إحداهما تحويلية **(Changing Creativity)** والأخرى حاكمة أو منتجة**(Governed Creativity)**، وجعل من القاعدة المرتجة حجر الزاوية، كونها تؤمن صوغ المبادئ الثابتة للغات، أو القواعد العقلانية لها، كما تفسر آليات تحويلها إلى قواعد خاصة [5]، وعلى هذا الأساس يتم التعامل مع العقل البشري في إطار البرنامج التوليدي بوصفه معطى بيولوجي يخضع لمعايير الوراثة وللقواعد

---

[1]- علي حسين فياض، نظرية النحو التوليدي التحويلي و اكتساب اللغة، مجلة . المعلم / الطالب، ع. 01 – 02، حزيران – كانون الأول، الأردن، 2001، ص.113.

[2] - Centre de Royaumont, Théorie du langage. Théorie de l'apprentissage, Le débat entre Jean Piaget et Noam Chomsky, Organisé et recueilli par. M. Biattelli – Palmarini, paris, éd. Du. Seuil, 1979.

[3]- نعوم تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة، تر. حمزة بن قبلان المزيني، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 1990، ص ص. 148 – 149.

[4] - G. Pascal, Descartes, coll. Pour connaître, Paris, éd. Bordas, 1986, p. 55.

[5] - N. Chomsky, Current Issus in linguistic theory, in. The structure of language. Reading in the philosophy of language, (dir). J. A. Fodor & J.J. Katz, Englewood cliffs, Prentic Halle, 1964, pp. 51 – 118.

القبلية التي تمليها ملكة طبيعية مجردة تتحكم بأنحائها العامة في جميع اللغات وتفسرها بصورة آلية تنفي كل نشاط مستمر.

لقد أقصى **تشومسكي** بتبنيه مقولة النحو العا م كل ما تنتجه اللغة من نشاط فني وصدف عن التعامل مع الو اقعات اللغوية بوصفها نشاطا توليديا خلاقا ليرتبق في الاعتقاد الفطري وفي مجارات سر المظه ر الإبداعي الذي "يظهر تعنتا إزاء التفسير والوضوح "[1] فجاء إلحاحه على التمسك بمقولة النحو العام تقويض ا للاستمرارية وللتجدد من حيث هما خروج عن المألوف، وتأكيد ا على عدم فاعلية الذوات المتكلمة وعلى ركود التحليل الذي لا يتعدى فرز المفاهيم القبلية.

لقد أثار ارتباط الذوات المكتملة باللسان العادي فكرة تغييب الاستعمال اللساني، حيث دأبت اللسانيات التي كانت ت توخى العثور على نسق صوري يندرج ضمن حدود المنطق العلمي وتدرس وفقه النصوص الأدبية بصورة دقيقة على "التعامل مع اللسان بوصفه مجموعة قواعد لا يطاولها الاستعمال"[2]، لأن صرامة النسق الذي اعتمدته لا تتيح التعامل مع الو افعات التي تعكسها الممارسات المتجددة، كما لا يتيحه الاعتقاد **بالمعرفة الموحدة (Sapienta Humana)** الذي يقتضي البحث عن **لسان شامل (Lingua Universalis)** تشترك فيه الألسن العادية[3]، وهو اعتقاد ارتهن له بعض المفكرين من أمثال **ديكارت**، لجوا في البحث عن لسان عام وموحد يكفل للفكر الإنساني التخلص من مخاتلة الألسن العادية ومن تعددها.

افتتح **ديكارت** إمكانيات جديدة للتفكير انضوت تحت مقولة **الكوجيطو**؛ فحوّرت تراتبية الوجود، وفصلت بين الأنا أفكر وبين اللسان العادي، وقد كان يتوسم العثور على "لسان عقلاني وكامل يتمخض عن الفلسفة البحتة ويرتقي من حيث الشمولية والسلاسة والدقة عن اللسان العادي، فيكفل له ارتقاؤه بلوغ الحكم الصادق على الأشياء، وهذا اللسان ممكن نظريا لكن تداوله يبقى أمرا غير وارد "[4]، مما يعني أن الألسن العادية على الرغم من تعددها واختلاف تمظهراتها تقوم على قاعدة لسانية مشتركة وواضحة، سيتيح الكشف عنها التخلص من التباس دلالات الألسن العادية ، فـقد اعتاد الإنسان – كما أشار **ديكارت**– "التعبير عن

[1] - N. Chomsky, Le langage et la pensée, Op.cit., p. 22
[2] - L. J. Calvet, L'écologie des langues, in Sciences humaines, n° 162, Paris, 2005, p.36.
[3] - E. Cassirer, La philosophie des formes symboliques, T 1, Le langage, Tr. J. Lacoste, Paris, éd. De. Minuit, 1972, p. 73.
[4] - Descartes, Lettre à Mersenne, in. Œuvres philosophiques, T 1 (1618–1637), Textes établis et présentés par F. Alquié, Paris, éd. Garnier – Bordas, 1988, pp. 231 – 232.

أفكاره بكلام خفي مأخذه ومعناه "[1]؛ وما فتئ يوكل أمر تمثيلها إلى لسان يعجز عن التعبير عنها بدقة متناهية، لذلك كان حريا به الشروع في البحث عن لسان بديل يخلو من النقص الذي يشوب اللسان العادي ويمكنه من الانصراف عن المسلمات اللغوية التي أفرزتها الألسن العادية واعتاد الفكر الإنساني على تصديقها.

تضمن اعتقاد **ديكارت** بوجود لسان شامل يفوق في ارتقائه الألسن العادية التي تقدم "دلالات مبهمة"[2] تأكيدا على مبدأ **الكوجيطو** الذي "انتصر له نحاة **بورروايال (Port Royal)** دون أن ينشغ لوا بأبعاده الميتافيزيقية"[3]؛ حيث ناقش هؤلاء في مؤلف "**المنطق أو فن الفكر**"[*] فكرة "الغموض الذي يغشى أفكار البشر وخطاباتهم"[4] محاولين مقاربة اللغة بالمنطق.

رأى نحاة **بور–رويال** أن اللغة وسيلة للتعبير عن الفكر ، وأن الفكر يقوم على قواعد المنطق، ومن ثم أكدوا على وجوب استناد المنطق إلى تحليل الفكر وإلى نحو عام للغة ، وقد وجدوا هذا النحو مخبوءا تحت الألسن العادية فسعوا إلى استكشافه و تحديد علاماته، فغدت العلامة في تصوّرهم حامله لفكرتين هما "فكرة الشيء الممثل **Qui représente**، وفكرة الممثَل **Représentée** "[5]، لينشأ تفرع آخر على مستوى التمثيل يتراوح الممثل بموجبه بين كونه شيئا أو علامة، فيكون شيئا حينما يمثل ذاته ويدل عليها حاملا طبيعة وثيجة أو معتمة ويكون علامة حينما يمثل شيئا آخر مكتسيا طبيعة شفافة.

وبناء على ذلك فإن العلامة "تخفي كشيء ما تبرزه كعلامة، تماما مثلما يخفي الرماد الساخن النار بوصفها شيئا ويجليها بوصفها علامة "[6]، وهذا يعني أن العلامة بدت في تصوّر نحاة **بورروايال** "أشبه بمصفوفة رباعية الحدود "[7]، حيث تكون إما ممثلة أو ممثَلة، فحينما يتعلق الأمر بالدلالة على الشيء ذاته تكون وثيجة وظيفتها الحجب والإخفاء، وحينما يتعلق

---

[1] - R. Descartes, Principes IX – 2, in. Œuvres de Descartes, Paris, éd. J. Vrin, 1989, § 74, p. 60

[2] - R. Descartes, Œuvres et lettres, édité par. A. Bridoux, Pleïad, Paris, éd. Gallimard, 1953, p. 915.

[3] - Saint–Beuve, Ecole de Port–Royal, 4éme livre, in. Port–Royal II, édité par. M. Leroy, Pleïad, Paris, éd. Gallimard, 1954, p. 484.

[*] - Port–Royal (A. Arnauld – P. Nicole), La logique ou l'art de penser, Paris, éd. Flammarion, coll. « Champs », 1970, 1ére édition. 1662.

[4] - B. Malmberg, Histoire de la linguistique. De Summer à Saussure, Op.cit., p. 200.

[5] - Port – Royal (A. Arnauld – P. Nicole), op.cit., première partie, Ch. I, Cité par. A. Rey, Théorie du signe et du sens, Lectures I, Op.cit., p. 112.

[6] - Port – Royal (A. Arnauld – P. Nicole), Ibid., Cité par. F. Récanati, La transparence et l'énonciation. Pour introduire la pragmatique, Paris, éd. Du. Seuil, 1979, p. 33.

[7] - J. Kristéva, Le langage cet inconnu. Une initation à la linguistique, Paris, éd. Du. Seuil, 1981, p. 160.

الأمر بالدلالة على شيء مغاير تصير شفافة وتتحوّل وظيفتها إلى الكشف والإجلاء، فهل هذا يعني أن العلامات دوما مخاتلة، ألا يمكن أن تكون بيّنة وواضحة ؟

يرى **كوندياك (E. De. Condillac)** أنّ العلامات دائمة الوضوح، وشفافيتها تتيح تطوير تحليل حسي للفكر، فالانتقال المباشر من الإحساسات التي تعد "تعديلات للروح"[1] إلى الأفكار لا يتم إلا بمعية "اللغة التي تتيح تثبيت الأفكار "[2]؛ وبما أن تحليل الفكر يتجلى في الخطاب، فإن درجة دقته سترتهن بجودة الألسن وبصواب تفكير متكلميها، مما يقتضي بالضرورة قولا بوجود لسان جيّد يع بيّ عن الواقع بدقة ولن يكون إلا "المعرفة التي تؤمّن التعرف على الإحساسات وتسمح بأزر المعارف "[3]، وعلى هذا الأساس اقترح **كوندياك** مجانسا **لوك (J.Lock)** الذي وصف الألسن العادية بأنها "غيوم تحجب الرؤية وتراوغ الفاهمة بغموضها وإبهامها"[4]، البحث عن لسان جيد يتيح التخلص من الأفكار "السيئة التحديد"[5] التحديد"[5] التي تسوقها الألسن العادية، ويعبّر عن الفكر بدقة محاولا بذلك "تجديد الفاهمة البشرية"[6] وإخضاع كل ما يتعلق بها إلى المبدأ الذي فحواه ربط الأفكار بالعلامات، ف "بدون العلامات لن يكون ثمة انعكاس أو تطور"[7] لأن العلامة تختص وحدها بتثبيت الأفكار وبجمعها وبجمعها وبالانتقال من الأفكار البسيطة إلى الأفكار المعقدة.

لقد سادت فكرة اللسان العام، حتى بات هذا اللسان رغيبة يصبو إليها كل بحث يرى في الانجياب عن الألسن العادية معيارا دقيقا، لكن هذا لا يعني أن هذه الأبحاث تجمع اتجاهاتها على إسناد طبيعة معينة لهذا اللسان، بل إنها تعكس على النقيض من ذلك تباينا منهجيا نشأ تعدد المحاولات وتنوعها، ومثل تلك المحاولات ما قدمه **فيكو(G.Vicco)** من ضبط لمفهوم اللسان العام* تضمن دعوى حثيثة لـــ "توحيد التعبير" وتجاوز إطار اللغة ليمتد إلى بحث في الأصول اللاهوتية، حيث نوّه **فيكو** باللسان الألماني في بحثه عن "لسان عقلي

---

[1] - E. B. De. Condillac, Traité des sensations, Paris, éd. Arthème Fayard, 1984, 1ére édition. 1754, p. 304.
[2] - S. Deragon, Condillac et le sensualisme radical, in. Les grandes figures du monde moderne, Dirigé par. J. Boulad _ Ayoub; F. Blanchard, Presse de l'université Laval, Paris, L'Harmattan, 2001, p. 370.
[3] - A. Weber ; D. Huisman, Histoire de la philosophie européenne. Tableau de la philosophie moderne. De la renaissance à 1850, Paris, éd. Fishbacher, 1965, p. 375.
[4] - J. Lock, Essai philosophique concernant l'entendement humain, Tr. Coste, édité par. E. Naert, 4éme tirage, Paris, éd. J. Vrin, 1994, CH. III. 21, p. 396.
[5] - E. B. De. Condillac, Essai sur l'origine des connaissances humaines, Paris, éd. Ch. Porset, 1973, 1ére édition. 1746, p. 269.
[6] - E. B. De. Condillac, Traité des sensations, Op.cit., p. 285.
[7] - R. Lefèvre, Condillac ou la joie de vivre, coll. Philosophes de tous les temps, Paris, éd. Seghers, 1966, pp. 23 – 24.

* - للغة ثلاث مستويات في تصور " فيكو "، أرقاها لغة الألهات التي تمتاز بالصمت ، وتليها في التدرج لغة الأبطال التي تعد تركيبا متساوي النسبية من اللغتين الصامتة والمنطوقة ، وآخرها لغة البشر أو اللغة العادية وهي لغة منطوقة.

Voir. G. Vicco, La science nouvelle (1725), Tr. Ch. Trivulzio, Préf. P. Raynaud, Paris, éd. Gallimard, 1993, p. 172.

مشترك"[1]، وأشار إلى ضرورة اعتم اده لسانا أصليا وإنزاله منزلة "اللسان البطولي الحي "[2] لأنّ اعتياصريه عن التملك سيؤمّن له هذا الامتياز.

بالمقابل نزع **دلغرانو (G. Dalgrano)** إلى محاولة العثور على لسان رمزي يكون بمثابة تعبير أنموذجي يوازي التدرج الطبيعي للمفاهيم، فصنّف إثر ذلك مفاهيم اللسان العادي إلى مقولات عدادها سبعة عشر، مصنفة نوعيا تندرج ضمنها مقولات فرعية تشترك فيما بينها من حيث النوع، ومثّل المقولات الأساسية برموز خاصة، كما مثّل المقولات الفرعية برموز تابعة لها، وشاكله في ذلك **ويلكنز (J.Wilkins)** الذي حاول تنقيح هذا النسق، فاقترح توسيع دائرة التصنيف إلى أربعين مقولة أصلية، يُعبَّر عن كل واحدة منها بمقطع صوتي مميّز يتفرع بدوره إلى وجهين أحدهما صامت والآخر صائت [3]، بيد إنّ محاولتيهما ابتداع قاعدة لسانية رمزية حوّلتا اللسان إلى نسق من الرموز؛ وجعلت التعقيد خصيصة ملازمة لأبحاثهما.

مع بحوث من هذا النوع، يبدو من غير الممكن تجاهل جهود **ليبنيز** الذي "سارت أبحاثه في اتجاهين مختلفين، اتجاه مستوحى من الأنموذج الرياضي وآخر ينطلق من تحليل اللغات الطبيعية في محاولة لعقلنتها "[4]، حيث اعتام الخوض في محاولة تأسيس لسان علمي وشامل انطلاقا من الألسن الموجودة على الرغم من إيناقه بالتعدد اللساني و بـــ "قدرة التغيّر العجيبة التي تحدث على مستوى العمليات اللسانية"[5]، فحاول تأسيس لسان فلسفي دقيق وشامل ومميّز يرقى إلى مستوى الكتابة العقلانية لأنه كان يعتقد أن "امتلاك اللغة يرتهن بامتلاك فكر واحد"[6]؛ وهذا ما سيختزل احتمال صدور الأخطاء على خلاف الألسن العادية التي "توسع مجال صدور الأخطاء الاستدلالية"[7]ولا تتيح الضبط الدقيق للاستدلالات.

إذا وقفنا على إسهامات الفطنة الديكارتية في بعث الاعتقاد بوجود لس ان كامل ألفيناها تتعدى حدود الخطاب الكلاسيكي لتجد لنفسها مرتكزا في دعاوى المنطق الحديث، حيث ميّز

---

[1] - U. Eco, L'œuvre ouverte, T. Ch–R. De. Brézieux, Paris, éd. Du. Seuil, 1965, p. 263.

[2] - G. Vicco, La science nouvelle, Op.cit., p. 170.

[3] - E. Cassirer, La philosophie des formes symboliques, T1. Le langage, Op.cit., p. 74.

[4]- روبير بلا نشي، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، تر. خليل احمد خليل، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1980، ص. 279.

[5] - G. W. Leibniz, Nouveaux essais sur l'entendement humain, Paris, éd. Garnier – Flammarion, 1966, Livre III., Chap. VII., Sec. 9.

[6] - G. W. Leibniz, Recherches Principes de la nature et de la gracefond en raison. Principes de la philosophie ou Monadologie, Publiés par. A. Robert Paris. Ed. P.U.F, 5ème éd. 2002, P 146

[7] - G. W. Leibniz, Recherches générales sur l'analyse des notions et des vérités, 24 Thèses métaphysiques et autres textes logiques et métaphysiques, Int. J–B. Rauzy, Tr. E. Cattin et al., Paris, éd. P.U.F, 1998, p. 167

فريج (G. Frege) بين "لسان عادي كاشف للسيرورة الانفع الية ولحركية الفكر الفردي من خلل صيغة خطابية مشتركة ، وبين لسان مفاهيمي ينظم القوانين التي تحكم إنتاج القض ايا الصحيحة المختصة بالمفاهيم "[1]، وهذا يعني أن اللسان العادي ليس أهلا لإنتاج القضايا أو الاستدلال عليها لأنه لا يتيح الفصل بين الجانبين الانفعالي والفكري، على خلاف اللسان المفاهيمي الذي ينأى عن الجانب النفسي فيكون لسانا مختصا وموضوعيا يعبر بدقة عن الفكر الإنساني، ولتوضيح هذا التمايز ساق **فريج** مثالا وازن من خل له بين وضعية المنطق الكلاسيكي الذي يقوم على حدود اللسان العادي وعلى مقولاته إزاء المنطق الذي اقترحه بوضعية العين المجردة إزاء المجهر؛ "فمن حيث اتساع المجال البصري تنال العين المجردة الكفاءة، أما من حيث ال دقة والوضوح تتحوّل الأولوية للمج هر"[2]، وكذلك اللسان العادي هو أوسع نطاقا لكنه أقل دقة وانضباطا، مما يستدعي وجوب ابتداع لسان مفاهيمي يعوّض هذا النقص.

استهوت فكرة اللسان البديل **هوسرل (E. Husserl)** الذي انتهى إلى الاعتقاد بالقبلي وإلى أنّ منطقا قبليا يحكم السيرورة الفكرية للبشر، فالقبلي "يكتنفه حدس ماهوي مميّز يضعنا في مقابل الماهيات الكلية "[3] مما يجعله مسؤولا عن اليقين فيصير النحو بمقتضاه سيرورة صادقة، وليس بإمكان المنطق الكلاسيكي أن يرق ى إلى مستواه لأنّ حدوده ومقولاته معبّر عنها باللسان العادي، لذلك فإنّ "إدراج القبلي المنطقي ضمن حدود القبلي العام للغة ليس إلا دلالة على دقة المعيار وعلى جوهر القصد "[4]، مما يعني أنّ الحرص على الدقة هو ما حفّز إلى البحث عن هذا المنطق القبلي.

لقد أثبتت هذه الأبحاث على اختلاف اتجاهاتها، بدء ا من الخطاب الكلاسيكي إلى المنطق الحديث أنها تتفق على قصور اللسان العادي، فسواء كانت تؤمن بوجود لسان كامل مخبوء تحت الألسن العادية أو كانت تعتقد بوجود لسان قبلي أو بضرورة إبداع لسان دقيق ومجرّد، فإنها في مجملها تدعم مقولة إقصاء الاستعمال من خلل اعتمادها موقفا عدائيا حيال

---

[1] - T–J. Reiss, " Peirce, Frege, La vérité. Le tiers inclus et le champ pratiqué", in. Langage, Paris, n° 58, 1980, p. 111.

[2] - Ibid., p. 110.

[3] - Equipe rédactionnelle de Garzantr, Encyclopédie de la philosophie, dir. G. Vattimo, Paris, éd. Librairie générale française, 2003, p. 02.

[4] - J. Derrida, La voix et le phénomène. Introduction au problème du signe dans la phénoménologie de Husserl, Paris, éd. P.U.F, p. 07.

اللسان العادي، فهل تكفي الدلالات المبهمة لتكون حجة على اللسان العادي، ثم كيف يمكن للسان مبتكر ومتطلّب أن يؤمّن التعبير عن الباطن، وبمعنى آخر إذا كان الفكر البشري يتعدى حدود المفاهيم الدقيقة فكيف يمكن للسان رمزي أن يتحمل بعاع الإبداع ويجاري هرمسية الخيال وحصافة الأسلوب، ثم هل يسوّغ ارتباط اللغة الجزئي بالمنطق وقيام صيغها على قواعد دقيقة إقصاء اللسان العادي؟

يبدو أنّ التحليلات التي دأبت على الخوض في مجاراة الدقة والنسقية قد أجمعت على إقصاء كل ما من شأنه الخروج عن إطار النسق، لأنها لم تؤمن البتة بقدرة السياق على فتح إمكانات جديدة لرصد المعنى، كما أنها لم تلتفت إلى الدور الفعّال الذي يمارسه السياق في ترسيخ تفاعل التأويل و الواقع؛ إذ تضمن قرارها عزل الكلام والذوات المتكلمة والسياق والاستعمال، على خلاف السيميائيات التداولية التي اختصت بدراسة العلامات وبتأويلها من خلل استثمار البعد التداولي استثمارا منطقيا، فما الذي يقدمه هذا الضرب من السيميائيات؟

لا يحيل مفهوم الذر ائعية إلى اتجاه واحد؛ بل تتدرج ضمنه نظريات متباينة لا يمكن التمييز بينها بوضوح؛ إذ تعني كلمة **براغماتية** الفعل أو كل ما هو قابل للتطبيق الفعال، وهي مشتقة من الجذر الإغريقي **براغما(Pragma)** الذي يعني الفعل [1] **(Action)**، أما الذرائعية بوصفها ممارسة فلم تكن أصولها واضحة؛ إذ يمكن أن تمتد أصولها إلى البلاغة الإغريقية [2] كما يمكن أن يتجلى حضورها في مجالات مغايرة كالتاريخ، وذلك ما تعكسه مساهمة المؤرخ الإغريقي **بوليب(Polybe)** الذي "حاول كتابة تاريخ براغماتي "[3] يتيح فهم الزمن فيكون بذلك مفيدا من الناحية العملية لرجال الدولة ولقادة الجيش على حد سواء، ويمكن أن نجد اللفظ **براغماتية** مقترنا بالجزاء **(Sanction)**[4] في القانون المدني الذي صاغه القائد الروماني **جوستيتيان(Justinien)** فيما يتعلق بحق الانتفاع.

يبدو أن أكثر تعريفات التداوليات دقة وشيوعا كانت تلك التي صاغها **كانط (E.Kant)** بإيحاء فلسفي حينما قابل بين القيمة التطبيقية للقانون الخلقي وبين الخاصية الذرائعية للوضعيات التي تحمل الناس على التعامل وفق التبادل، والتي تقوم على المبادئ التجريبية، فهذه الوضعيات التي ترتبط في مجملها بالخير تداولية؛ لأنها ترهن التع امل بشرط التبادل القائم على احترام الغايات المشتركة، وبناء عليه يسمي **كانط** معرفة ذرائعية كل "معرفة يتبصر صاحبها في أفعاله، بحيث يكون تبصره قائما على الأخلاق "[5] وهذا ما يضفي على الذرائعية صبغة خلقية، أما من الناحية الأنثروبولوجية [6] فقد حاول **كانط** تفسير أنماط الحياة البشرية وفق رؤيا نفعية.

يصف **فان دايك (T.Van Dijk)** التداوليات بأنها "أكبر مكون ثالث لأية نظرية سيميوطيقية ينبغي أن تكون مهمتها دراسة العلاقات بين الرموز والعلامات والمستعملين "[7]؛

---

[1] . Pragmatique in. Dictionnaire des sciences humaines, sous direction de G.Thimès et A. lempreur, éd .universsitaire, paris, 1975, P. 750.

[2].C.W.Morris, Foundation of the Theory of signs. International Encyclopedia of science, Vol.1,N.2,Chicago, Univercity of Chicago Press, 1938, P.108.

[3] . Cl.Leplley, Polibe.in Encyclopedia Universlis,Corpus.18,Paris,France.SA,1992,P.631.
voir aussi . Polybe, Histoire, Tr. D.Roussel,Introd. D. Vincent, éd. Gallimard, 1970.

[4] . جوستينان، مدونة جوستينيان في الفقه الروماني، تر. عبد العزيز فهمي، إش. جابر عصفور، القاهرة، المج لس الأعلى للثقافة، 2005، ص. 58.

[5] . E.Kant, fondement de la métaphysique des moeures, éd. Delagrave, P.129.
voir aussi.Critique de la raison pure, Théorie transcendantale de la méthode, paris, éd .P.U.F, PP. 504-541.

[6] . E . Kant, Anthropologie du point de vue pragmatique,Paris,J.Vrin,1994.

[7] . فان دايك، النص والسياق، استقصاء في الخطاب الدلالي والتداولي، تر. عبد القادر قنيني، المغرب، بيروت، إفريقيا الشرق، 2000، ص.255.

ويحيل إلى أن **موريس** هو الذي صاغ على نحو أساسي مهام عناصر التداوليات ويشاركه هذا الرأي **ليفنسون**[1] **(S.C.Levinson)** الذي يؤكد أن استعمال هذا المصطلح يعود إلى **موريس** كونه حدد الإطار العام لعلم العلامات.

اعتمد **موريس** في تحديده للتداوليات على دعاوى **بورس** حتى كاد يغدو "أفضل السيميائيين وأكثرهم وفاء له "[2] لولا الارتياب الذي أحدثه مفهوم **المؤول(Interpretant)**[3] في تصوره، فقد قابل **موريس** بين الجانب التداولي الذي يختص بمميزات الاستعمال (الحوافز النفسية للمتحاورين، والنمط الاجتماعي للخطابات)، والجانب التركيبي (الخصائص الصورية للبنى اللسانية)، والجانب الدلالي (العلاقة بين الكيانات اللسانية والعالم)[4]، وبهذا المعنى بدت التداوليات في تصوره دراسة تجمع بين اللغة، والمحفزات النفسية، والسلوكات الاجتماعية.

رأى **إيلوار(R.Eluerd)** أن تصنيف **موريس** الثلاثي الذي يجمع الأبعاد التداولي والدلالي والتركيبي قد حقق مبتغاه في المجال اللساني؛ إلا أن هذه الثلاثية تحوي اضطرابا من حيث الانسجام[5]؛لأن المقاربة السلوكية **(Behavorist)** تقابل سلوكات معنية بوصفها دوالا دوالا إزاء سلوكات أخرى على أنها مدلولات، لكن العلاقة بينها لم تحدد بل بقيت موضع استفهام.

قدم كل من **ديللر (A.M. Diller)** و **ريكاناتي (F.Recamati)** تحديدا للتداوليات، وقد استندا في تعريفهم ا لها إلى دعاوى **موريس**؛ إذ ربطاها من الناحية المنهجية بمسألة التلفظ [6] حيث أسندت لها مهمة دراسة استعمال اللغة الخطاب، ودراسة الخصائص المميزة التي تبرز القصد.

إن ما نعته **بوفراس(J.Bouvresse)** بتداوليات **فيتجنشتين(L.Wittgenstein)** فهي ذلك "اليقين الذي يحدد تبعا له تصورنا للفكر و الحساب و الاستنباط وفق تلاؤم لا تحققه معطيات التجربة التي لا نقاش فيها كما لا تحققه المعطيات المتعالية، ولا يحقق أيضا بفعل

---

[1]. S.C.Levinson, Pragmatics, Cambridge,CambridgeUniversity Press, 1938, P.01.
[2]. G.Deledalle, Commentaire . in.Ecrits sur le signe, Par.C.S.Peirce,tr.G.Deledalle,Paris, ed. Du.Seuil,1978,P.249.
[3].C.W.Morris, Signification and significance.A Study of the relation of signs and values, Cambridge-Massachussetts, The M.I.T. Press, 1964,P.06.
[4] .C.W.Morris, Foundation of the Theory of signs, Op.cit.,PP.84-87.
[5].R.Eluerd, La pragmatique linguistique, Paris, ed.Fernand Nathan, 1985,P.05.
A.M.Diller &F.Recanati, Présentation de la revue Langue francaise, N.02.La pragmatique, 1979, PP 03-05.
[6] . A.M.Diller &F.Recanati, Présentation de la revue Langue francaise, N.02.La pragmatique, 1979, PP 03-05.

التحديدات البسيطة؛ بل تحققه أشكال النشاط "[1] ؛ وبهذا المعنى فإن **فيتجنشتين** يتصور القصد التداولي نمطا من أنماط الحياة.

لقد تطرق **فيتجنشتين** إلى حالات التعسف النحوي التي تسبب الغموض، ودعا إثر ذلك إلى اللجوء للألعاب للغوية التي "تبرز حالات التشابه والاختلاف في اللغة"[2]؛ فتصرف القارئ عن الطرق النحوية التي لن تكون إلا "محاولة لإثبات القياس في جميع الحالات "[3]؛ وتدعوه إلى الاحتكام إلى السياق في تمثيل المسائل التي يطرحها الواقع؛ لأن قواعد النحو تحصر المعنى في حدود التراكيب المنتظمة وذلك ما يسبب الغموض، لذا على القارئ أن يلجأ إلى استنباط معاني الأنماط المكونة للعبة اللغوية بشكل مستقل عن القياس النحوي ما أمكن إلى ذلك سبيلا.

وعلى هذا الأساس فإن **فيتجنشتين** يرى أن قواعد اللغة ليست اعتباطية لأن "اعتماد قواعد لغوية مغايرة لقواعد النحو لا يعني الوقوع في الخطأ؛ بل يعني أن ثمة حديث في سياق آخر؛ لأن المعنى في اللغة ليس ثابتا كما هو الحال في فن الطبخ "[4]، وهذا ما يسوغ اللعب بشيء آخر مجاراة للاستعمال وابتغاء رصد المعنى في سياقه اللغوي.

لقد شهد تعريف التداوليات بوصفها دراسة للغة في استعمالاتها حضورا في تلك الدراسات التي اهتمت بالتفاعل اللغوي على مستوى التخاطب، والبحث عن المعنى في سياق التواصل، ومن أهمها تعريف **ليتش(G.Leeche)** للتفسيرات التداولية بأنها "وظيفية أساسا"[5]؛ كونها تنزع إلى دراسة الخطاب في تفاعله مع الواقع؛ كما أنها "دراسة للمعنى التواصلي "[6] تختص في البحث عن معنى المتكلم الذي يحاول تبليغ قصده للمتلقي وفق أساليب ترتقي عن المعنى اللفظي، وهي تصورات تقترب من تصور **تشارلز سندرس بورس(Ch.S.Peirce)**

---

[1] .J.Bouveresse, Le mythe de l'intériorité. Expérience, signification et langage privé chez wittgenstein, Paris, ed. Minuit, 1976, P.557.

[2]. L.Wittgenstein, Investigations philosophiques; in.Tractatus logico-philosophicus, Tr.P.Klowssowski, Intr. B.Russel, Paris, ed. Gallimard, 1961, PP.168-169.

[3]. L.Wittgenstein, Cahier bleu- cahier brun, Etudes préliminaires aux investigations philosophiques, Suivi de.Ludwig Wittgenstein ; Par. N.Malcom,Tr.G.Durand, Préf. J.Wahl, Gallimard, 1965, PP.169-170

[4]. L.Wittgenstein, Grammaire philosophique, édition posthume due aux soins de. R. Rhees, Tr. M-A.Lescouret, Gallimard, 1980,P.49.

[5]. G.Leeche, Principles of pragmatics, London, Longman, 1983,PP.03-04.

[6] .G.Yule, Pragmatics, Oxford University Press, 1996, P.03.

الذي اعتمد في تحديده للتداوليات على دعاوى **كانط(E.Kant)** ووسم بها نظريته السيميائية [1] التي ترتبط بمفهوم العادة.

ارتبطت التداوليات بالسيميائيات[2] ضمن تصورات الفيلسوف الأمريكي **بورس(Peirce Ch.S.)**، وهي تصورات تقوم على مفهوم العلامة الذي يتسم بدرجة غير قليلة من التعقيد؛ إذ تتأسس العلامة في صلب مشروع فلسفي وسمه **بورس** بالذرائعية**(Pragmatism)** ثم اقترح تغييره إلى الذرائعانية **(Pgragmaticism)** ليكون بمنأى عن الانتحال[3] فلا يستعمل إلا في المحل الذي انتقاه له، لكن ما الذي جعل **بورس** ينحو هذا المنحنى؛ ثم ما هي الأصول التي اعتمدها أو التي تجاوزها، أو بمعنى آخر ما هي أهم المحطات التي أسهمت في بلورة السيميائيات التداولية كما يتصورها ؟

لا شك في أن كتابات **بورس** تعكس حضور فلاسفة كان لهم أثر فعال في توجيه فكره، وبلورته على الشكل الذي انتهى إليه، و من أهم هؤلاء يتجلى حضور كل من **أفلاطون (Platon)**، و **أرسطو (Aristote)**، و **أوكام (Ockham)** و**دونيس سكوت (Duns Scot)** و**هيغل (Hegel)**، و**بركلي (Berkley)**، و**كانط (Kant)**.

سنحاول في هذا الفصل اقتفاء آ ثار أهم الأصول التي استند إليها **بورس** لبلورة سيميائياته التداولية، وسنبدأ بالحديث المركز عن الفلسفة الأفلاطونية .

1.1. أفلاطون، بورس؛ والأفكار:

يتجلى تأثر **بورس** ب**أفلاطون** في فلسفة الحساب ؛ حيث يعرف **بورس** الأعداد بوصفها "أفكارا تنتمي إلى عالم الصيغ الخاصة "[4]؛ إنها بهذا المعنى "عالم داخلي"[5] قريب من عالم الأفكار كما يتصوره **أفلاطون**، وفي هذا العالم الداخلي "يتم تطوير نظرية الأعداد

---

[1] .سيتم الحديث عن مفهوم العادة وعلاقته بالسيميائيات التداولية في الفصل الثاني من البحث.

[2] . رفضت **آن روبول (A. Reboul)** النظر إلى التداوليات بوصفها عنصرا من عناصر السيميائيات؛ فهي ترى أن التداوليات مكملة للسانيات كونها تشكل الحلقة الرابطة بين التركيب والدلالة، ينظر:

A. Reboul – J. Moeschler, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Paris, éd. Du. Seuil, 1994, PP. 503-504.

[3] .ذكر **بورس** أن "اللاحقة**(ism)** تختص بتحديد موضوع البحث ، واللاحقة **(icism)** تختص بالتحديد الدقيق له (...) لذلك فإن ميلاد المصطلح**(Pragmaticism)** الركيك سيضمن الدقة التي أتوخاها له ، كما سيجعله بمنأى عن الانتحال " ، وهو يشير في حديثه إلى **ويليام جيمس (W.James)** و**جون ديوي (J.Dewy)** اللذين استعملا المصطلح **(Pragmatism)** بمعنى مغاير للمعنى الأصلي الذي منحه إياه.

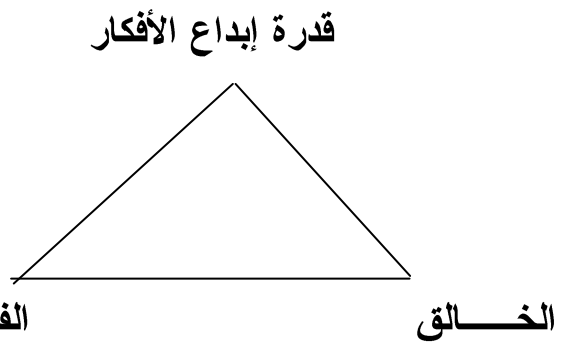
Voir. Ch.S.Peirce, Pragmatisme et sciences normatives, Œuvres philosophiques, Vol.II, Tr.Cl.Tiercelin, P. Thibaud & J-P.Cometti, éd.Du.Cerf, 2003, P.28, P.29.

[4]. Ch.S. Peirce CP (4.118).

[5] CP (4.161).

انطلاقا من عدد صغير من القضايا الابتدائية"[1] التي "لا يبتكرها الرياضي"[2]؛ بل تعد قضايا أولية مجردة ومتعالية، لكن هل هذا يعني أن **بورس** أهمل الواقع؟

قد يلاحظ القارئ حضورا قويا ل **أفلاطون** في كتابات **بورس** حول الواقعية يعكسه التصور الميتافيزيقي للواقع، وبمعنى آخر يمكن القول إن هذا التأثير يتجلى في تصور **بورس** للواقعية؛ حيث إن القدرة الإبداعية للأفكار أو الحب الموجه[3] **(Agapisme)** كما سماه **بورس** قد حدت به إلى الإقرار بوجود "أفكار حية غير مجردة تتيح مقارنتها بالفكر البشري"[4]؛ وتبرر وجود استمرار بين هذا الفكر البشري وخالقه، ويمكن التمثيل لذلك بهذا المخطط الثلاثي الذي استنتجناه من نص* **بورس** الوارد في الأعمال المجمعة.



***Cf Ch.S.Peirce, CP (6.307)**

من المعلوم أن النزعة الأفلاطونية تفصل بين مجالي الأفكار و الموجودات؛ فهي تقول باستقلال الأفكار، لكن **بورس** لم يستسغ هذا التصور؛ بل صدف عنه وانتقده من منطلق فهمه الرياضي للواقعية، ليولي وجهه شطر **الواقعية المدرسية**[5] ذات الصبغة السكوتية التي

---

[1] . CP. (2.361/6.595).
[2] . CP. (4.161).
[3] . CP. (6.289/6.303).
[4] . CP. (6.319).
[5] . الفلسفة السكولائية أو المدرسية (Philosophie solastique) هي فلسفة نشأت في العصور الوسطى، و قد سميت بالمدرسية لأنها كانت تدرس في المدارس في العصور الوسطى، و تلك المدارس أمر بإنشائها "شارلمان" في بلاد دولته، و هي إما مدارس للقصر تنتقل بانتقاله و توجد غالبا في باريس، أو مدارس خارج العصر، و هذه قسمان : مدارس رهبان و مدارس أسقفية، فأما الأولى فهي تلك التي توجد داخل الأديرة، و أما الثانية فكانت توجد خارجها و كان الغرض منها تثقيف رجال الدين غير المترهبين.

ينظر عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى ط03، الكويت وكالة المطبوعات، لبنان دار القلم 1979، ص43.

* نسبة إلى **دونيس سكوت** (Duns Scot) الذي يعد أحد أهم أوجه الفلسفة المدرسية إلى جانب كل من : **سكوت أوريجان** (Scot Eurigène) القديس **أنسلم** (St Anselme) ، **أبيلار** (Abelard) و القديس **توماس** (St Thomas) .

دفعته إلى القول بأن "حل مشكل الكليات لا علاقة له بالأفكار الأفلاطونية؛ لأن الخطأ يكمن في تصور الواقع بوصفه مستقلا عن العلاقة التمثيلية "[1]، وعلى هذا الأساس يكون الواقع هو ما يدل على شيء واقعي لا ينبغي أن يبتعد عن حدود التمثيل؛ بل يجب إثبات واقعية الكليات والبرهنة عليها، لأن الكليات "لا يمكن أن تختزل إذا لم تكن ذات طبيعة حملية "[2]، وهذا يعني أن "الواقعي ليس ما سيتم التفكير فيه "[3]؛ بل هو ثابت، ولا يمكن البتة أن يخضع لتغيرات صيغ التفكير أو لإمكاناته.

بناءا على ما سبق يتضح أنّ الفلسفة المثالية ليست فلسفة تأملية رافضة للواقع وبعيدة عنه؛ بل هي بعيدة كل البعد عن تجاهل العالم المادي المحسوس فهي تبدأ من الواقع الخام لتثور عليه في محاولة حثيثة لأسر مجامعه والإحاطة به.

وعلى هذا الأساس يحاول المثالي الاقتراب من الواقع مجهزا بإطارات عقلية ابتغاء السيطرة على الوجود؛ لأنه يرى أنّ الأفكار أكثر كمالا ورفعة من الوجود الواقعي للأشياء أو الظواهر؛ مما يعني أنّ ما يختمر في الأذهان أهم مما يبدو ويتجلى في الواقع؛ لأن العقل يمتلك الكمال الذي لا يمكن أن يكون من سمات الواقع، لكن إذا كان العقل أعدل قسمة وكانت له هذه القدرة على الاحتواء؛ فكيف يمكن تفسير فشل بعض المخططات العقلية في تفسير تأويل صيغ التمثيل وسيرورته الدالة؟ وهل يجب إثر ذلك ا لاحتكام إلى المنطق في تفسير حركية التأويل؟ وأي منطق سيضطلع بمثل هذه المهمة؟

2.1. المنطق الأرسطي واللغة:

عبـّر **بورس** عن إيناقه ب**أرسطو**؛ ونعت نفسه بـ **الأرسطي المشاء**[4] لأن **أرسطو** كان يمثل بالنسبة له رجل علم يمتلك الفطرة العلمية التي تمتد إلى جميع مجالات المعرفة؛ كونه صنف الميتافيزيقا وضمنها المنطق؛ كما أنه صاغ منطقا عاما يمكن الاحتكام إليه في بعض مسائل الاستدلال، لكن هذا لا يعني أن **بورس** يتصور المنطق الأرسطي كاملا؛ بل إنه

---

[1] . Ch.S .Peirce CP (1.27).
[2] . CP (5.120).
[3] . Ch.S.Peirce, Pragmatisme et Pragmaticisme, Œuvres philosophiques, vol I, tr Cl Tiercelin et P.Thiband, Paris, éd. Du. Cerf, 2002, p, 139.
[4] Ch.S.Peirce , Le raisonnement et la logique des choses, Tr.Ch.Chauviré & Cl.Tiercelin, Paris ,éd.Du.Cerf, 1995,P.153.

لم يستسغ قيامه على التصورات وابتدع منطقا جديدا قائما على العلاقات [1] استوحاه من أعمال **بـــول(G.Bool)** و**دي مورغان(A.De. Morgan)** في الجبر.

تبرز إشكالية اللغة إلى جانب المنطق في عدد هام من أعمال **أرسطو** وبخاصة في تلك الأعمال التي وصل تنا في شكل رسائل جمعت وصنفت ضمن عنوان مشترك هو **الأورغانون*** الذي يعني الآلة، وقد يكون سبب اختيار ه لهذا العنوان، هو أنه "كان يرى في المنطق علما ذهنيا إعداديا أكثر مما كان يرى فيه فرعا من فروع الفلسفة "[2]، ولعل هذا ما جعل **بورس** يستسيغه.

يقتضي كون المنطق علما وجوب اختصاصه بتصورات محددة تتيح تحديد موضوعه والعثور على أدواته؛ لأن العلم يزداد دقة كلما أمكن اختصاصه بمفهوم محدد ومتى تم ذلك، تم تجنب الكثير من الأخطاء التي قد تلتبس هذا التعريف ما لم يتم التوصل إلى مني هذا العلم من العلوم القريبة منه؛ ولعل **أرسطو** كان يتطلع إلى اختصاص المنطق بتعريف يتيح ميزه من باقي العلوم، خاصة علوم اللغة التي تشترك وإياه في الموضوع، وهذا يعني أن المنطق واللغة يتداخلان ويتفاعلان ليحدث تفاعلهما تواشجا معرفيا عميقا.

لقد عالج **أرسطو** موضوعات المنطق بالاستناد إلى ما قام به من تحليل للغة **(Logos)** فاشتغل على الواقع القولي وجعل من القول فصلا مميزا للجنس البشري ؛ "فالإنسان حيوان ناطق عبارة دأب بعضهم على مقابلتها بحيوان عاقل أو حيوان مفكر في حين أنها تدل على أن الإنسان هو الذي يملك خاصية الكلام "[3]، وقد كان هدف **أرسطو** من تحليل اللغة هو تحديد أفكارها الأولية؛ وتحديد ما هو خاص من المبادئ و ما هو عام باستخدام هذه الأفكار الأولية، ولما كانت العلوم تشترك في أنها تبدأ بأوليات سواء في حدود المفاهيم أو القضايا

---

[1] . سيتم التطرق إلى منطق العلاقات في الفصل االثاني من البحث.

* يتركب الأورغانون (Organon) من مجموعة رسائل أرسطية قدم لها "بورفوريوس"بتقديم عام للمنطق، وقد جاء ترتيب هذه الرسائل على الشكل الموالي: يبدأ الكتاب برسالة المقولات وهي تختص بالمقولات العشر التي بمقتضاها يمكن لمحمول أن يكون مسبوقا بموضوع، ثم تليها رسالة التأويل التي تتضمن نظرية تعارض المقدمات مع مناقشة للحالة التي تكون فيها المقدمات محمولة على احتمالات مستقبلية و بعد ذلك تأتي التحليلات في فرعين يتضمن كلا منهما جزأين فتتناول التحليلات الأ ولى نظرية القياس و تتنوال التحليلات الثانية نظرية البرهان أو القياس القائم على المقدمات الضرورية، وتأتي أخيرا الحجج في ثمانية أجزاء لتختص جميعها بالمجادلة و تختتم برسالة التهافت السفسطائي.

[2] . روبير بلانشي، المنطق و تاريخه من أرسطو حتى راسل، تر.د. خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980، ص37.

[3] . E.Kant, Logique, Paris, éd. J.Vrin ,1966, P.21.

نزع **أرسطو** نحو المقولات بوصفها الأساس المشترك لل معرفة المنطقية؛ لأن السيرورة المنطقية التي تنطلق من مفاهيم أقل عموما إلى مفاهيم أكثر عموما لا تتم إلا من خلل **المقولات** التي توجد في قمة التدرج المفاهيمي كونها تمثل المفاهيم الأكثر عموما؛ إذ يمكن أن تدرج باقي المفاهيم ضمنها، وهذا يعني أن المقولات تتضمن جميع أنماط الوجود وتفسرها.

المقولات "كلمة يونانية (...) معناها الحمل والإضافة"[1]، وهي تؤسس المفاهيم العامة بحيث يماثل كل موضوع من مواضيع التفكير إحداها، وقد قدم **أرسطو** في كتابه المقولات جردا يتضمن عشر مقولات، "فمنها ما تدل على الجوهر وعلى الكم، وعلى الكيف وعلى الإضافة، وعلى الأين وعلى الحتى وعلى الموضوع وعلى أن يكون له وعلى أن يفعل وعلى أن ينفعل"[2]؛ واللافت للانتباه هو أن هذه المقولات راسخة في اللغة.

لقد بحث **أرسطو** في نظرية المقولات المنطقية في اللغة وسعى إلى استخلاص الصور المنطقية من الصور اللغوية والقياس عليها ؛ لأن المقولات اللغوية تحجب المقولات المنطقية وتحيط بها؛ وهذا يعني أن **أرسطو** توصل إلى المقولات من خلل دراسة العلاقات اللغوية لذلك تلبست لبوسا لغويا ومنطقيا وذلك ما أخذه عليه **بورس** الذي "حاول تأسيس معارفه العلمية من خلل فلسفة دلالية خارجة عن إطار اللغة "[3]؛ لكن الصبغة الوجودية لهذه المقولات جعلت **بورس** يولي بعضها اهتماما بارزا مثل مقولتي[4] **الجوهر** و**الوجود.**

تمثل المقولات الأرسطية المفاهيم الأصلية الأولى وذلك ما يوجب انتماءها "للمنطق لا إلى نظرة الوجود (الأنطولوجيا)"[5] ،وقد استعمل **أرسطو** حد **المقولة** للدلالة على الحمل في الأحكام والقضايا؛ ولعل ذلك ما جعل **ترندلنبرغ (Trendelenburg)** يعتقد أن لائحة المقولات الأرسطية تقوم على تصنيف لأقسام الخطاب على الرغم من "عدم وجود أثر دال في هذا الرأي في المدونة الأرسطية "[6] ، لكن هذه المقاربة لقيت قبولا لدى **بنفنيست**

---

[1] .P.Aubenque, Aristote et le lycée, Paris, éd. Gallimard, 1969, P.638.

[2]. Aristote, Organon, Catégories.T.I, De L'interprétatoin. T.II, tr.J.Tricot, Paris, éd.J.Vrin, 1989,4.25.2a, PP. 05-06. voir aussi. A.Makovelski, Histoire de la logique, tr. Dupond, URSS Moscou, éd. Du .Progrès, 1978, P.143.

[3] .A. Henault, Saussure et la théorie du langage, in. Questions de sémiotique, Paris, éd.P.U.F, 2002, P. 56.

[4] .ينظر الفصل الثاني من البحث.

[5] . أرسطو ، المقولات. الأقوال المختتلفة ضمن منطق أرسطو، تح. عبد الرحمن بدوي،الكويت وكالة المطبوعات، ج1 ،1980، ص 35.

[6]. O. Hamelin, Le système d'Aristote, Parie, éd. J. Vrin, 1985, P.101 .

(E.Benveniste) الذي اقتنع بأن **أرسطو** قد "وضع كل المحمولات التي يمكن أن تستند للوجود؛ لأنه كان يتطلع إلى تحديد الوضع المنطقي لكل منها (...) و يبدو أن هذه المحمولات تماثل تصنيفا صادرا عن اللغة ذاتها"[1]، مما يعني أن الإحاطة بالفكر لا تتم إلا في إطار اللغة.

يرى **بنفيست** أن التلفظات اللغوية تعد انعكاسا لعلاقات الأفراد؛ فالتلفظ هو "الفعل الذاتي في استعمال اللغة، إنه فعل حيوي في إنتاج نص ما كمقابل للملفوظ باعتباره الموضوع اللغوي المنجز والمنغلق والمستقل عند الذات التي أنجزته، وهكذا يتيح التلفظ دراسة الكلام ضمن مركزية نظرية التواصل وظائف اللغة"[2]؛ وهذا يعني أن الخطاب يستلهم المعنى من التجارب الفردية على الرغم من أنه قدً من كيان لغوي، ومن ثم يمكن تعديل المقولات اللسانية المثقلة بنسق يستقبله كل محاور تبعا لتلفظات الأفراد، وقد شدد **بنفنيست** على علاقة المعاني بالألفاظ حينما تصور أن "لائحة المحمولات تحيل إلى لائحة خاصة"[3]، فاقترب بذلك من تصور **أرسطو** الذي يرى أن "المقولات ليست ألفاظا وإنما هي معاني"[4]، وتعد هذه نتيجة مهمة استخلصها من التمييز بين الألفاظ المترادفة والألفاظ المشتركة.

اعتمد **الفارابي** وجهة نظر **أرسطو**؛ وصاغ إثر ذلك تعريفا للمنطق على سبيل المشابهة بالنحو ورد فيه : " قصدنا النظر في صناعة المنطق وهي الصناعة التي تشتمل على الأشياء التي تسدد القوة الناطقة نحو الصواب في كل ما يمكن أن يغلط فيه، و تعرف كل ما يتحرز به من الغلط في كل ما من شأنه أن يستنبط بالعقل، ومنزلتها من العقل منزلة صناعة النحو من اللسان؛ فكما أن علم النحو يقوم اللسان عند الأمة التي جعل النحو لسانها، كذلك علم المنطق يقوم العقل حتى لا يعقل إلا الصواب فيما يمكن أن يغلط فيه، فنسبة علم النحو إلى اللسان والألفاظ كنسبة علم المنطق إلى العقل والمعقولات، و كما أن النحو عبارة اللسان (...) كذلك علم المنطق عيار العقل" [5]، لكن هذه المشابهة كان غرضها التحديد وحسب لأن **الفارابي** ألحً في موضع آخر على فصل اللغة عن المنطق من خلل إخراج الألفاظ من عناية

---

[1] .E. Benveniste, Problèmes de linguistique générale ,T1, Paris, éd. Gallimard, P.66.

[2] . سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، الدار البيضاء، المركز الثقافي، ط.03، 197، ص.19.

[3] . Ibid, P.70

[4] . عبد الرحمن بدوي، أرسطو، الكويت، وكالة لمطبوعات، ط.02، 1980، ص.83.

[5] . أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ المعروف بالفارابي، نص التوطئة أو الرسالة التي صدر بها المنطق عند الفرابي، تح. تع. رفيق العجم، بيروت، دار االمشرق، 1968، ص. 100.

المنطق بحجة أن "الألفاظ إنما ترتب عن اللسان فقط "[1]؛ وبذلك حصر الشغل المنطقي في المعاني وصرفه عن الألفاظ ؛ لكن "كون المعاني هي موضوع المنطق، لا يدل البتة على أن هذا العلم بغنى عن دراسة الألفاظ؛ وربما أثرت أحوال في اللفظ في أحوال المعنى؛ فلذلك يلزم المنطقي أيضا أن يراعي جانب اللفظ المطلق من حيث هو كذلك؛ بل أحيانا يكون تصنيف الألفاظ أسهل من تصنيف المعاني "[2]، وهذا يدل على أن الألفاظ تحمل دلالة في ذاتها وأنً الشغل المنطقي لا ينحصر في المعاني .

يبدو إذا أن دراسة اللغة هي التي أوحت ل **أرسطو** باستكشاف المقولات المنطقية وسيكون حريا القول بأن المقولات أسسها **أرسطو** من خلال دراسة العلاقات اللغوية و لم يستنتجها من هذه الأخيرة، و مع أن مسألة أصول نظرية المقولات تبقى غامضة[3]؛ إلا أن ثمة رابطة تجمع بين المقولات المنطقية واللغوية في النسق الأرسطي المقولي.

يختص نص المقولات في فحص الحد الذي "يمثل اللفظ البسيط الدال الذي يشار به الشيء بما هو وصفه فيؤول البحث إلى مختلف الأ وصاف التي يو صف بها الشيء أو الموجود، و هذه الأوصاف هي التي سماها **أرسطو** مقولات"[4]، إنها أجناس الوجود التي تصنف الوجود القائم؛ فيندرج ضمنها كل ما هو موجود كونها تمثل "التحديدات الفعلية التي تتمتع بأكبر قدر من الصورية "[5]، وعلى هذا الأساس بدت اللغة في تصور **أرسطو** سبيلا للدلالة على معرفة الوجود والموجودات ليكون التصنيف المقولي "تحليلا للعلاقة التي تربط الفكر باللغة "[6]؛ فتمثل المقولات إثر ذلك كل المحمولات التي يمكن إسنادها إلى موضوع معين.

لقد كان غرض **أرسطو** من تحليل اللغة هو تحليل الأفكار الأولية لها، وبالتالي تحديد ما هو خاص من المبادئ و ما هو عام باستخدام هذه الأفكار الأولية ؛ فالعلوم تشترك في أنها تبدأ في أوليات سواء في حدود المفاهيم أو القضايا، و يبدو أن هذا الاشتراك في الا ستهلال

---

[1] .الفارابي، كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، تح. محسن مهدي، بيروت، دار المشرق، 1968ن ص.83.

[2] .عادل فاخوري، منطق العرب.من وجهة نظر المنطق الحديث، بيروت، دار الطليعة، ط.02، 1981، ص.38.

[3] . ذكر الباحث **"أحمد يوسف"** أن المقولات الأرسطية العشر ليست إلا تطويرا لمقولات الجوهر، الكيف و الفعل التي قال بها **"فايسيشكا"** الذي يعود إليه استخدام مصطلح **"مقولة"** و المقولة تعني في اللغة الأغريقية البيان أو التأكيد من الناحية المعجمية.
للإطلاع ينظر: أحمد يوسف القراءة النسقية، سلطة الهنية و وهم المحايثة، الجزائر، مفشورات الاختلاف، بيروت، الدار العربية للعلوم ، 2007 ،ص111.

[4] .L.Robin, La pensée grecque et les origine de l'esprit scientifique, paris ed, Alain Michel,1948, P,298.

[5] J.Chevalier, Histoire de la pensé, T1, Pensé antique, Paris, éd. Flammarion, 1955, P.282..

[6] .B.Malmberg, Histoire de la linguistique, Paris, éd. P.U.F, 1991, P.66.

بالأوليات هو الذي ح دا بـأرسطو إلى النزوع إلى المقولات التي بدت بالنسبة له الأساس المشترك للمعرفة المنطقية.

و يتبين من ذلك أن استخدام **أرسطو** للحد **مقولة** كان قائما على أنها معنى كلي يمكن أن يدخل محمولا في قضية؛ لأن كل قضية قابلة للاختزال على نحو "**س** هو **ع**" بحيث يرتبط المحمول (ع) بالموضوع (س) بفعل وساطة فعل الكينونة (**être**)؛ فاللغة "تتألف من أقوال تكون إما بسيطة أو دون تأليف، و إما مركبة أو بتأليف ؛ فأما التي تقال بتأليف فهي كقولك: الإنسان يحضر، الثور يغلب، و التي تقال بغير تأليف كقولك : الإنسان، الثور يحضر يغلب"[1]، و على هذا الأساس تنشأ مختلف صور الحمل التي تسمح بتصنيف المحمولات، على أن المحمول هو القول، والموضوع هو ما قيل عنه القول.

يتميز منطق **أرسطو** بكونه منطقا، من حيث أن ال قضايا التي يعتمدها في نظريته الاستدلالية تكون إما صادقة أو كاذبة، و بذلك فقد اهتم بنوع واحد من الأقوال في تحديده وهي الأقوال التي تحتمل الصدق أو الكذب ؛ إذ "ليس كل قول بجازم وإنما الجازم القول الذي وجد فيه الصدق أو الكذب، وليس ذلك بموجود في الأقاويل كلها ومثال على ذلك الدعاء فإنه قول ما لكنه ليس بصادق و لا كاذب؛ فأما سائر الأقاويل غير ما قصدنا له فنحن تاركوها "[2] ويظهر من ذلك اهتمام **أرسطو** بالقضايا من حيث الصدق والكذب ويبدو أن هذا الاهتمام يمس جوهر الاستدلال الرياضي لأن العلم إنما يتعامل مع القضايا و ليس مع الجمل الإنشائية ؛ فتحليل **أرسطو** للقضايا هو تحليل للعلم باعتباره مجموعة من القضايا ؛ وهذا يعني أنه منطق حملي.

لم يستسغ **بورس** هذه الفكرة لأنه رأى أن العلاقة التي تجمع بين الموضوع والمحمول يجب أن لا تكون علاقة ماهية؛ بل علاقة تضمين لأن" فهم الموضوع لا يتم إلا في إطار ما يشير إليه المحمول "[3]؛ فحينما نقول "رجل ذكي" سيحيل المعنى إلى فكر الرجل لكن حينما نقول على سبيل المثال: "سقراط عقلاني" فهذا سيعني أن سقراط هو أحد الموضوعات التي تكتسي صبغة العقلانية؛ و على هذا الأساس فإن المحمول لا يكون دالا إلا إذا ارتبط

[1] . أرسطو، المقولات. الأقوال المختلفة ضمن منطق أرسطو، تج عبد الرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات، بيروت، دار القلم، 1980 ،ص34.
[2]. Aristote, Interprétation, 71 a 1-5.
[3]. Ch. S. Peirce,CP(2.415).

بالموضوع، ثم "إن المحمول والموضوع ليسا من زمرة المفاهيم بل هما فرضيتان يمكن من خللهما تحديد الموجودات "[1]؛ وهذا يعني أن منطق **بورس** لا يعنى بالتصورات؛ بل ينشغل بالعلاقات، و لعل ذلك ما يبرر قوله بوجود تكافؤ بين القضايا الحملية والقضايا الشرطية يتيح التعبير عنها جميعا وفق رابطة التضمين، وهذا يعني أن **بورس** "اعتمد منطق العلاقات الذي يقوم على بروتوكول رياضي "[2]؛ ليصوغ منطقا لا يولي مسألة صدق القضايا أو كذبها مكانة مركزية؛ بل يعنى بالعلاقات وبتمثيلها في الواقع.

ترك **أرسطو** العبارات التي ليست بقضايا وانحصر عمله في التمييز بين القضايا المنطقية و الجمل اللغوية، ولما كان العلم لا يبدأ إلا عندما ينص ب الاهتمام على الممارسة ليخرج منها النظرية لج أ **أرسطو** إلى القياس بالمعنى التقني الدقيق الذي اتخذه في التحليلات الأولى؛ حيث يقتضي القياس الأرسطي أن تكون المقدمات التي يستخدمها قابلة للتحول، أي أن يكون الموضوع و المحمول قابلين للتبادل و هذا لا يكون ممكنا إلا إذا كان حد الموضوع يدل على مدرك وليس على فرد، و لإظهار وجوب الترابط بين محمول النتيجة و موضوعها نفى **أرسطو** إمكان الاستعانة بمفهوم يسودهما ليعتمد في المقابل مفهوما توسطيا يجمعهما.

يبدو إذا أن كل قياس يجب أن يتألف من ثلاثة حدود وأ ن يكون واحدا من هذه الحدود حدا مشتركا يربط الحدين الآخرين، و بذلك فإن اختلاف وضع الحد الأ وسط في هذه العلاقة هو الذي جعل **أرسطو** يحصل على الأشكال القياسية الثلاثة.

إن نظرية القياس هي سلسلة من القضايا الصادقة المتمثلة في القضايا الكلية والجزئية والموجبة والسالبة، والقضايا الصادقة في النظام الاستدلالي هي قضايا إلزامية أي بمعنى آخر صدق المقدمات يؤدي إلى صدق النتائج ، وقد استعان **بورس** بالقياس في صوغ صور الاسرتدلال؛ لكنه أبدى تحفظا حيال مفهوم الرابطة **(Copula)**[3] التي رأى فيها علاقة إسناد قوامها **التضمين**.

---

[1]. Ibid.,CP (1.548).
[2]. G. Deledalle, Théorie et pratique du signe. introduction à la Sémiotique de Charles. S. Peirce, collab. Rhéthoré. J., Paris, éd. Payot, 1979, P.198.
[3] .Ch.S.Peirce, CP(2.415).

يتصور **أرسطو** العلم كليا [1] فقد اقترح تحديدا للعلم بوصفه خطابا يتناول الكليات و يتغاضى عن الفرديات؛ و ذلك ما تبرزه أعماله التي تكاد تشمل جميع مجالات المعرفة ويمثل البره ان معرفة علمية ذات درجة عالية، و هو يبدأ باختيار مجموعة من الحدود الأولية غير إن عملية اختيار هذه الحدود تخضع لشروط تميز ها عن باقي الحدود وبواسطة هذه الحدود الأولية التي تمثل منط لق المعرفة العلمية سيكون م ن الممكن تحديد الحدود الأخرى وعلى هذا الأساس فإن العلم البرهاني لا يسلم بأي حد من هذه الحدود ما لم يكن حدا أوليا في ذلك الحقل الخاص من المعرفة، و الآلة التي يستعين بها البرهان لإتمام ذلك هي التعريف؛ وبذلك فإن للتعريف دورا مهما في بناء حدود العلم البرهاني.

يختلف التعريف عن القياس ، فالتعريف "يعني تحديد ا لموضوع و هو لا يحيل إلى القول بوجود الشيء المعرف "[2] ، لكن تحديد الموضوع يتيح التساؤل عن سبب وجود هذا الموضوع، وتبعا لذلك فإن "تحديد الموضوع يعني التعرف على سبب وجود هذا الموضوع" وسبب الوجود هذا سيكون وسيطا في الاستدلال القادر على استقراء وجود الموضوع المحدد.

إذا افترض أن نوعا معطى س يمكن أن يحدد بوصفه ص، فسيكون ص السبب الذي لأجله يمتلك ص الخصائص التي تجعله ع، و لتوضيح الفكرة يمكن ا لاستعانة بمثال مستعار من أعمال **أرسطو** هو مثال الحيوانات ذات القرون.

الحيوانات ذات القرون (س)، لديها صف واحد من الأسنان (ع) لأنها (ص) يتبين من المثال أن (ص) قد تم إدراجه بوصفه حدا وسيطا، و على هذا الأساس يمكن ان يصاغ المثال على الشكل الموالي:

[2])- كل ص هو ع.

[3])- كل س هو ص

[4])- كل س هو ع.

إذا سيكون استعمال الخطاطة الاستدلالية بوصفها أداة تنبؤ سببا للتحقق من أن النتائج المستنتجة واردة بالفـعل، وبناء عليه فإن التعريف و القياس متباينان ؛ لكن هذا لا ينفي

---

[1]. Aristote, La métaphysique, tr, J Tricot, Paris ,éd, J vrin, 1981, M10,32-3.

[2]Aristote, Seconde analytiques,II, 92b20.

اتصالهما، فالتعريف لا يمكن أن يبرهن عليه بوصفه نتيجة لقياس، بل هو قياس متتالي يتيح التأكد من وجود علاقة تماثلية أو وجود عنصر مشترك.

لقد كان **أرسطو** يبحث عن فرضية قادرة على أن "تبدل عدة محمولات بمحمول وحيد يتضمنها جميعا" [1]، أو بمعنى آخر كان يتطلع إلى معرفة ما إذا كان التعريف يقدم سببا يمكن أن يوظف بوصفه حدا وسيطا في قي اس ممكن، و ذلك ما تبينه تلك الدراسة التي تتعلق بتصنيف الحيوانات [2] وهي دراسة خص بها **أرسطو** التحليلات الثانية.

يعتمد القياس الأرسطي ثلاثة حدود، أولها قاعدة وثانيها جزء من الأولى أو حالة مقتطعة منها، وثالثها نتيجة أو حد يجمع الحدين السابقين.

مثال: كل الحيوانات المجترة ليست لها قواطع عليا. **(قاعدة)**.

كل الحيوانات ذات القرون تجتر حالة.**(حالة مقتطعة)**

كل الحيونات ذات القرون تفتقر لقواطع عليا.**(نتيجة)**

تفسر النتيجة إذا على أنها حالة مقتطعة من القاعدة؛ و سبب النتيجة هو الحد ا لأوسط للقياس الذي تمخض عن التحديد، وبناء عليه فإن التعريف و البرهان ركيزتان أساستان في النظرية الاستدلالية كما يتصورها **أرسطو**؛ لأن معرفة الشيء لا تحصل إلا بوجهين فتكون إما عن طريق التعريف أو عن طريق البرهان، و قد حدد **أرسطو** التعريف بوصفه "عبارة تشير إلى جوهر الشيء أو بمعنى آخر تدل على ماهية الشيء "[3] مما يعني أن التعريف يتألف من حدود كالجوهر **(Essence)** والشيء **(Chose)**، و هما المحمولان الوحيدان لما هو موجود أو لما هو ممكن " [4]، وبالإضافة إلى ذلك فقد اشترط **أرسطو** في التعريفات أن تتألف من حدود واضحة؛ وذكر أن "التعريفات تتطلب أن تكون مفهومة فقط"[5]، وبذلك فإن التعريف ينص على الطبيعة الجوهرية للموضوع، و هو يتألف من حدود يجب أن تكون بسيطة ومفهومة، ويشترط في هذه الحدود أن تكون من جنس ذلك العلم ؛ إذ إن كل علم يضع تعريفات لحدوده.

---

[1]. C.S .Peirce, CP (5, 276).

[2] .Cf Aristote, Secondes analytiques, Op. cit, (663b-664a), (663a-664b) (674a,b) (642 b.20) (664 a .10) (663b.31 et suive),(674 b et suive).

[3]. Aristote, Topiques, 101b.21-22

[4] Ibid, 101b.38-39.

[5]. Ibid, 76b.37-38.

يمثل التعريف إذا عملية تركيب تتألف من جنس **(Genre)** وفصل**(Diffrentia)** ويعني هذا أن تعريف الشيء يجب أن يتألف من جنسه الذي يشترك به مع أشياء أخرى ثم يضاف إليه فصله الخاص الذي يميزه عن الأشياء الأخرى، و إذا لم يكن واحدا من هذه الحدود موجودا فهو بالتالي عرض، و الأعراض يمكن أن يقال هي تلك الحدود التي تتعلق بخواص الموضوع من دون وجود لتعريفها أو بمعنى آخر من دون وجود لجنسها أو لفصلها وهذا يعني أن التعريف يمثل عملية تركيب للمبادئ التي تؤلف جوهر الشيء، وإن الجنس والفصل هما المبدآن الوحيدان اللذان يؤلفان جوهر الشيء، وبذلك فإن تعريف شيء معين هو في الواقع تركيب من هذين المبدأين اللذين يؤلفان جوهر هذا الشيء ؛حيث إن للشيء المراد تعريفه جنس يشترك به مع الأشياء الأخرى.

يتضح إذا أن **أرسطو** يتصور الجوهر علاقة؛ لأن العلاقات تمثل "محمولات ملازمة للموضوعات"[1]؛ وقد اعترض **بورس** على هذا التحديد لأنه كان يرى أن مقولة العلاقة تستمد خصوصيتها من كونها تلازم جوهرا وتحيل إلى جواهر أخرى في الوقت ذاته؛ وثمة معيار خارجي* سيتيح الاقتراب جزئيا من الجوهر هو **التجريد(Abstraction)**.

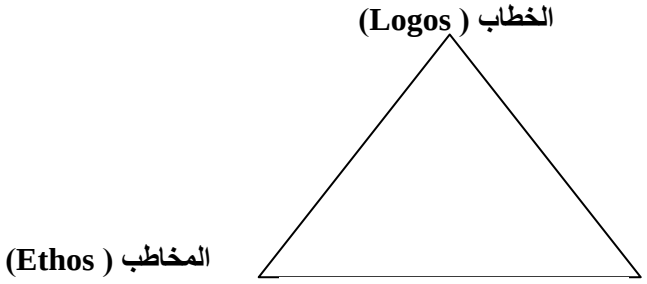
أكد **أرسطو** حضور البعد الثلاثي في القياس والتعريف؛ واقترح علاقة ثلاثية تصور ارتباط أقسام الخطاب [2] أو عناصره المتمثلة في المتحدث، المتلقي، و الموضوع؛ وقد سبق بذلك **بورس** في اعتماد العلاقة الثلاثية لكنه لم يستثمرها في التحليل المقولي للوجود وتعكس؛ بل استعملها في تصنيف الخطابات، وتعكس هذه العلاقة الثلاثية ارتباطا وثيقا بين سلوكات المخاطب أو أخلاقياته **(Ethos)** وبين ما يس تدل به القاضي بوصفه متلقيا **(Pathos)**، وبين الخطاب **(Logos)** الذي يمثل جامع المخاطب والقاضي.

---

1. Aristote , Catégoriees, Op.cit, 6a35, P.29.

*. سيتم التطرق للتجريد لدى **بورس** في الفصل الثاني من البحث.

2. Aristote, Rhétorique, tr, Médéric Dufour Paris, éd les belles lettres, 1991, livre I, 3, p.44.



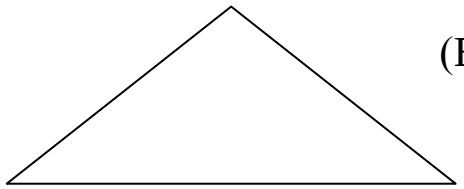
Cf Aristote (1991), I,2

تبعا لذلك اقترح **أرسطو** تصنيفا ثلاثيا آخر ضمنه الأنماط الخطابية و الأزمنة التي تلازم لكل نمط خطابي؛ و كذا القيم والمواضيع التي ترتبط بكل نمط من هذه الأنماط ؛ فالخطاب في تصور **أرسطو** ثلاثة أنواع[1]، أولها استشاري **(Délibératif)**، والثاني قانوني **(Judiciaire)**، والثالث توجيهي **(Epidéctique)**، فأما الخطاب الاستشاري فهو خطاب يتم تبعا له التشاور فيما قد يكون ملائما في المستقبل، والغاية منه تحديد الناجع وغير الناجع وأما الخطاب القانوني ففيه يتم الحكم على الأفعال والأحداث الماضية و الغاية منه ميز الشرعي من غير الشرعي، وأما النوع الثالث و هو الخطاب التوجيهي ؛ فهو خطاب يتناول مدح الأفعال الحاضرة أو ذمها فيكون بذلك سببا في التمييز بين الجيد والرديء ، ويمكن أن تمثل هذه التصنيفات الشكل المقابل.

القانوني (Judiciaire)

الماضي(Passé)

الصحيح (Le juste)



التوجيهي (Epidéctique) الإستشاري (Délibératif)

الحاضر (Présent). المستقبل (Futur)

الجيد (Le beau) الناجع (L'utile)

Cf, Aristote (1991), I ,3 , 1358b 36-37, PP 83-84.

يعد التصنيف الخاص للخطابات ثلاثي ا؛ حيث تصنف الخطابات إلى ثلاثة أنواع مصاحبة بالأزمنة المتضمنة فيها و بالقيم التي يميز كل منها النوع الخطابي الذي تنتمي إليه

[1]Aristote, Ibid, I, 3, 1358b, 36-37, PP 83-84, 1358b.-12, P84, 1358b.13, P.84, 135b.20-25-27-29-33, P84, 1359 a38 b85, 1359a.6-16,PP 85-86.

لكن **أرسطو** لم يكن الوحيد الذي اعتمد التصنيف الثلاثي ؛ بل يمكن أن يلمح حضور هذا النوع من التصنيف في النسق الرواقي لكن على مستوى العلامات؛ حيث يتجلى تصورهم للعلاقة بوصفها ثلاثية تعكس ثلاثة أبعاد مترابطة، وهو تصور نجده حاضرا بقوة في فكر **بورس**؛ فما الذي تعينه العلامات في ا لتصور الرواقي، ثم لماذا هذا ا لإصرار على اعتماد البعد الثلاثي؟

3.1 الرواقيون وعالم العلامات:

ظهرت الفلسفة الرواقية في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، أي في الفترة الهلينستية وقد "استمدت اسمها من الرواق **(Stoi)**، وهو بهو ذو أعمدة اتخذه **زينون** الكيتوي مكانا يعلم فيه، ويعد **زينون** مؤسس الفلسفة الرواقية، إذ تعزى إليه جميع النظريات الأساسية "[1] وعلى الرغم من وجود بعض الإضافات التي صاغها آخرون من أمثال **أقريسيبوس**؛ إلا أن الرواقية ظلت في جوهرها محافظة على بصمات "**زينون**" الذي كان شديد التأثر **بأفريطس الكلبي** فأنشأ فلسفته مستندا إلى القاعدة الأساسية في المذهب الكلبي؛ و هي تلك التي تختص بالاكتفاء الذاتي للفضيلة.

أقام الرواقيون فلسفتهم على تصورهم للطبيعة فكانت السعادة بالنسبة لهم تتعلق بالطبيعة لأن العلم الطبيعي هو الذي يبرر سيادة العقل الأخلاقي، فالسعادة تتوقف على معرفة الإنسان بما ينبغي فعله في أي لحظة معينة و هي معرفة تهيء للإنسان سبيلا لاتخاذ الموقف الصحيح الذي يبلغه غايته، لكن معرفة الإنسان لا تكون كاملة إلا إذا استطاعت أن تشمل الكون لأن الإنسان ليس إلا جزءا من أجزائه؛ و إذا تمكن من فهم عمل العقل في الكون فإنه سيحقق دون شك توازنا بين الطبيعة والكون ويعيش إثر ذلك في وفاق مع الطبيعة، وبهذا فإن التصور الرواقي يبدو قريبا من تصورات **بورس** التداولية التي تختص بتثبيت الاعتقادات وتسند للعقل وظيفة تمثيل الواقع.

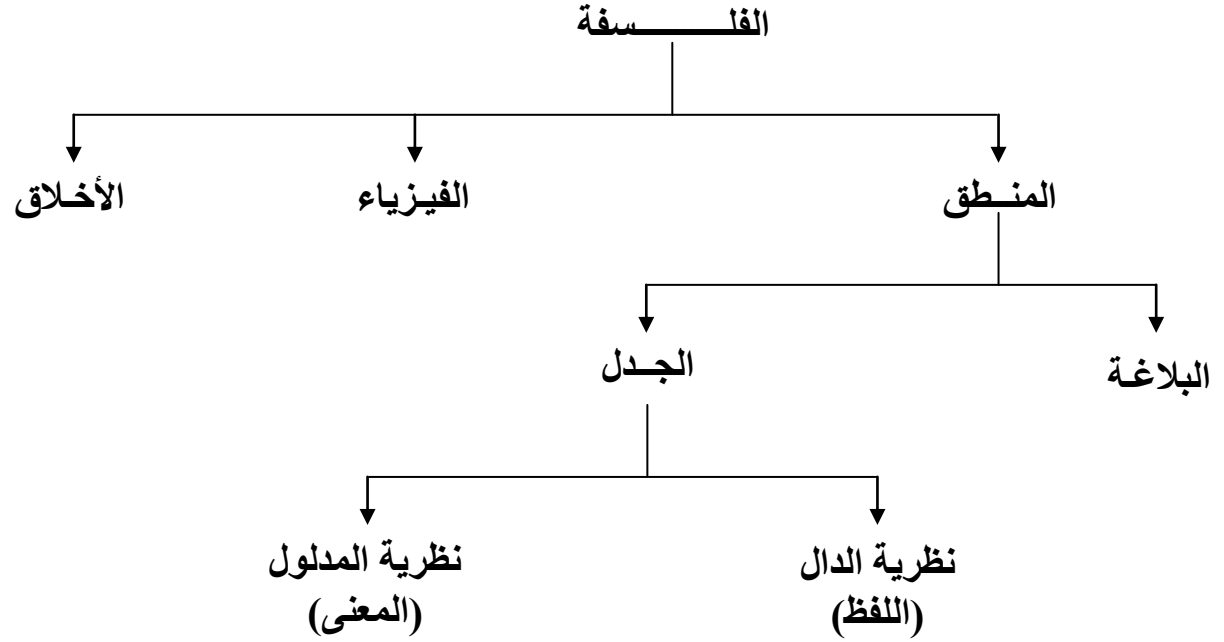
صنف الرواقيون فلسفتهم إلى المنطق والفيزياء والأخلاق، وكانت هذه الأقسام مرتبطة ارتباطا وثيقا بحيث كان يتوقف كل منها على الآخر؛ و لتفسير العلاقة المتبادلة بين هذه الأجزاء لجأ الرواقيون إلى ا لتشبيه فشبهوا الفلسفة بالبيضة وبالحديقة وبالمدينة و بالإنسان؛ فالجزء الأساسي للفلسفة هو الأخلاق ودفاعها المنطق و غذاؤها الفيزياء أو الطبيعة؛ لأن

[1] الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، مر . -إ ش. زكي نجيب محمود، بيروت، دار القلم، ص 218.

العلاقة بين الأخلاق والمنطق والفيزياء تماثل العلاقة التي تربط في البيضة بين القشرة والأح والمح؛ كما تماثل العلاقة التي تربط في الإنسان بين العظام و اللحم والروح، و هذا يعني أن الأخلاق تعلو في مراتب التصنيف في الفلسفة الرواقية حيث تمثل روح هذه الفلسفة، أما الفيزياء فتمثل المرتكز الذي تستند إليه الأخلاق والمنطق يمثل الأداة التي تتيح الحكم الصحيح.

اقتصر اهتمام الرواقيين بالمنطق على الدفاع عن مذهبهم، و هذا يعني أن "المنطق لم يكن سوى حصن تحتمي به الفلسفة أو كان بمثابة السور يحمي الحديقة أو بمثابة القشرة تصون البيضة"[1]، فلازال المنطق في المذهب الرواقي يؤدي دور العاصم من الخطأ، إنه تلك الأداة التي تؤمن الحكم الصحيح وتسرهم في بعث الثقة بالعثور على اليقين وفي تحرير الفكر.

أدرج الرواقيون علم اللغة في المنطق ؛ فجاءت دراستهم للغة من أجل المنطق، و لعل ذلك مرده اعتقادهم بتطابق الفكر و اللغة، وقد كان هذا الا عتقاد سببا في تقسيم الجدل إلى مبحثين أحدهما يختص بالدال (نظرية العلامات الفعلية) والثاني يختص بالمدلول (نظرية المعرفة)؛ فمبحث الدال يبحث في اللفظ أو ما يدل به، ومبحث المدلول يختص بالمعنى.



التصنيف الرواقي للفلسفة

Cf A Makovelski (1978) , P223.

[1] Epictété Marc -Aurel, Les stoïciens, tr.E.Brehier, Paris, éd. Gallimard, 1962, P.30.

يرتكز النسق الفلسفي الرواقي على النزعة الحسية، فقد صرح أصحاب الرواق بالمبدأ الحسي وأعلوا من شأنه حتى صار يمثل "أول مراتب المعرفة وعمادها"[1]، وهذا يعني أنهم لم يسلموا بالحدس أو المعرفة المباشرة، فكل المعاني أصلها حسي، والمعرفة برمتها لا تحصل إلا باستعمال الحواس؛ و هذا ما يؤكد مركزية المبدأ الحسي في الفلسفة الرواقية ؛ حيث إن "النزوع المادي للفلسفة الرواقية قد دفعهم إلى تبني الرؤ ية الحسية في المعرفة العلمية ومعاداتهم للأفكار الفطرية التي وجدت صداها لدى **جون لوك** الذي طور تشبيههم للنفس بالصفحة البيضاء"[2]، وهو تشبيه صاغه الرواقيون لتصوير الحالة البد ائية للنفس قبل ورود الإحساسات عليها ؛ فبالنسبة لهم يعزى محتوى النفس كله للأثر الذي يمارسه عليها العالم المادي على شكل إحساسات (**Sensation**)، أما مسألة اعتماد الفكر وتوظيفه عمليات مختلفة كالتجريد والتأليف فلا تعني البتة إبخا س الإحساسات حقها أو التقليل من شأنها؛ بل إنها تؤكد ارتباط الفكر بالإحساس.

يعد العقل في تصور أصحاب الرواق منبعا للأحاسيس، وتلك فكرة يعارضها **بورس** الذي يرى أن "التوجهات النفسية غير مفيدة لاستثمار المسائل المنطقية"[3]؛ فالاستبطان لا يمكن أن يكون معيارا للمعرفة لأن الحواس وسيلة للمعرفة أما العقل فهو الموجه والمسيطر؛ لذلك فإن "**الماهية**" لا تدرك إلا بالعقل، والحقائق الأكيدة هي تلك التي يدركها العقل و يصوغها في نسق علمي"[4]، وتبعا لذلك فإن مهمة العقل هي إدراك حدوث الظواهر والإحاطة بها، إن العقل هو تلك القوة التي تتيح الكشف عن الأسباب و التنبؤ بالنتائج كما تتيح ربط الأفكار بالمعاني ومقارنة المتشابهات لفهم الحاضر والتخطيط للمستقبل.

رأى الرواقيون أن العلوم نسق يؤسس حقيقة نهائية ومطلقة لا قبل للشك بها، وقد ساقهم ذلك الاعتقاد الوثوقي إلى الإقرار بأن المعرفة العلمية هي المعيار النهائي للحقيقة، علما بأن الحقيقة كانت هاجسا راود الفلسفة الرواقية؛ إذ إن السؤال الأساسي الذي كان يزمع الرواقيون على طرحه كان التأكد من المعرفة، أو بمعنى آخر كان التساؤل عن السبل التي تتيح التيقن من صحة المعرفة.

---

[1] . ع. آمين،الفلسفة الرواقية، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، 1971، ص95.

[2] . أ. يوسف، الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، الجزائر منشورات الاختلاف، المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الد ار العربية للعلوم 2005، ص28.

[3]. Ch.S. Peirce, CP (2.70).

[4]. A.Makovelski, Histoire de la logique, Op. Cit, P.223.

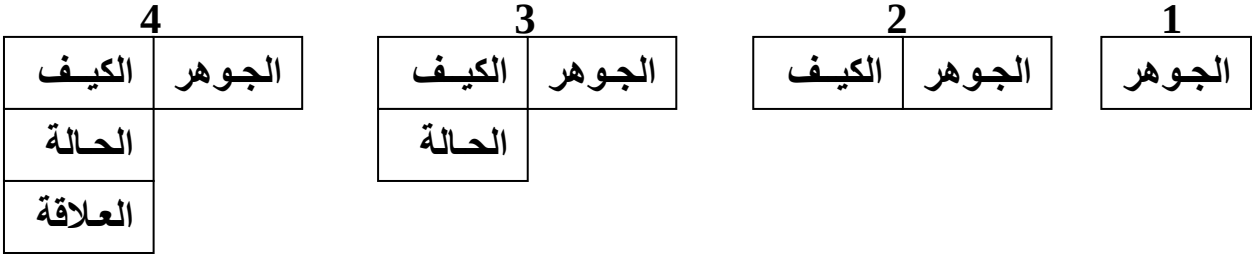
لقد كان الرواقيون دوغمائيين لأنهم اعتب روا نسقهم الفلسفي حقيقة مطلقة و رأوا أنهم حملة لواء الحقيقة، فقد كان فهمهم للحقيقة قائما على الطريقة المادية ؛ حيث إن المهم بالنسبة لهم كان الوعي بالتأكد من صحة طرح فيما عداه، إنه اليقين الراسخ بأن الإدراك أو ال تمثيل يتوافق وواقعية العالم الموضوعي ذاته، و لتعيين معيار الحقيقة اختلفت وجهات نظر الفلاسفة الرواقيين[1] حيث تبنى **زينون (Zenon)** المدرك معيارا للحقيقة، علما أن المدرك **(Kathakalis)** قد تلبس تأويلات متباينة تراوحت بين ثلاثة تصورات فكان "التمثيل المدرك هو التمثيل الذي يحيط بموضوعه فيعكسه بدقة و وضوح، أو التمثيل الحقيقي الذي يعكس الحقيقة التي تم إدراكه ا إزاء الموضوع، أو ا لتمثيل الذي يثير الفرد فيأسره و يجبره من ثم على القبول به و اعتماده "[2]، و قد لجأ **بوسيدونيوس (Posidonius)** و **أرستون (Ariston)** إلى العقل الصائب بوصفه معيارا للحقيقة، أما **أقريسيبوس (Chrisippe)** فقد اعتمد الأحاسيس و التوقعات **(Protesis)**؛ فالحقائق الراسخة التي يمكن الوثوق بها تعتمد على التحقق من مدى صحة التمثيلات، ولا يتم هذا التحقق إلا بفعل التمثيل المدرك و التوقع في آن واحد، ذلك أن معيار الحقيقة هو الا شتراك في الإدراك والتوقع؛ فالمعارف الحقيقية هي تلك المفاهيم الكلية التي تتبدى متماثلة طبيعيا لدى المجموعة وهي فكرة سيتبناها **بورس** في صوغ معنى الحقيقة.

بناء على ما سبق، يتبين جليا أن الرواقيين لم يتركوا مجالا للقول بنسبية حقيقة نسقهم الفلسفي حيث كانت لديهم ثقة مفرطة بأنفسهم ضمت فلسفتهم إلى "الفلسفات الوثوقية التي لم تكرر مقولات الفلسفة السابقة "[3]، ولعل ذلك ما يبرزه مفهوم "**المقولة**" في التصور الرواقي؛ حيث يختلف دورها في السيرورة المعرفية عن الدور الذي أسنده لها **أرسطو**؛ ففي النسق الرواقي للمقولات تدخل كل مقولة مجال المقولة التي تعقبها ب غية اكتساب تحديد جديد، و قد "سجل المنطق الرواقي بعض الا ختلاف عن منطق **أرسطو** حول قضية المقولات و اكتفوا بالمقولات الأرسطية الآتية : الجوهر،والكيفية و الحالة والعلاقة، وتبعا لمنطلقا تهم الفكرية فقد تعاملوا مع المقولات تعاملا اسميا من غير أن يعدوها أجناسا للكائن "[4]، وبذلك خالف الرواقيون التصور الأرسطي فيما يتعلق بمقولة الجوهر التي بدت في تصورهم مقولة كلية

[1] A.Makovelski, Histoire de la logique, Op. cit, P226.
[2] Ibid, P225.
[3] أ. يوسف الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ، م س، ص26.
[4] أ. يوسف، الدلالات المفتوحة، م.س.ص33.

مطلقة تتضمن الكائن العيني ومظاهره، وتشمل بالمقابل المجسد و غير المجسد أو بمعنى آخر تتضمن في آن واحد الموجود والمتخيل.

تبعا لذلك يمكن عرض مقولة الجوهر كما وردت في التصور الرواقي على أربع مراحل؛ إذ يمكن أن يكون الجوهر بحتا، أو يكون مصاحب ا بكيفية محددة أو يكون جوهرا يتضمن كيفية وحالة محددتين، أو أن يكون جوهرا محدد الكيف و الحالة و العلاقة.



لائحة المقولات في التصور الرواقي

إن المقولات إذا ليست إلا صيغا للتفكير ؛ إذ يمكن النظر إلى أي جسم بوصفه جوهرا أو بوصفه شيئا ذو خاصية محددة ، أو بوصفه شيئا يوجد في حالة محددة ويم لك خاصية محددة ويرتبط مع أجسام أخرى.

لقد أكد الرواقيون أن الفكر المسلح بالإجراءات المنطقية هو الوحيد الذي يمكن الوثو ق به؛ فدليل كل طرح صحيح هو إمكان البرهنة، لذلك فـإن القسم الأساس في المنطق الرواقي هو البرهان، وكل برهان يتألف من استدلالات و أحكام هي الأقسام المكونة للاستدلال و وحدها الأحكام تملك صفة الصدق أو الكذب في تصور الرواقيين، لذلك صنفوها إلى أحكام بسيطة و أخرى مركبة، فتضمنت البسيطة منها: الكيف والكم و الصيغة، في حين تضمنت الأحكام المركبة: الفرض والفصل والوصل وغير ذلك.

يبدو الفرق بين المنطقين الأ رسطي والرواقي واضحا، و يتجلى هذا التباين في مسألة التعريف، فبينما نجد **أرسطو** يعقد مقاربة بين التعريف والتصور، يرفض الرواقيون الانشغال بالنوع والفصل و الماهية؛ لأنهم يرون في التعريف تعدادا للعلامات الملازمة للشيء، و هنا تتجلى المقاربة السيميائية كما يتصورها **بورس** في المنطق الرواقي؛ فقد ذكر **أقريسيبوس** أن "التعريف ليس إلا عرضا لما هو موجود كما ذكر **أنتيباتروس** أنه خطاب يفسره

التحليل"[1] وهذا يعني أن الرواقيين قد عقدوا ربطا إلزاميا بين وجود العلم و وجود الفرد، فلا علم إلا بالفرد، و التعريف العام ليس إلا وهما ؛ و بناء عليه فإن التعريف خطاب وظيفته إحصاء المميزات الخاصة بكل كائن وتعدادها.

صاغ الرواقيون تصورا للحكم يختلف عن التصور الأرسطي الذي ينطلق من الحكم المقولي فاعتمدوا الحكم الشرطي وانطلقوا من القضايا المركبة ليؤولوا القضية بوصفها كلا أو بوصفها اتحاد جملتين تربطهما علاقة التزام منطقية، وهذا التصور اقتضته الخاصية الاسمية للمنطق الرواقي الذي أنكر الكينونة الواقعية للمعاني الكلية وانصرف عن تصنيف الموجودات إلى أجناس وأنواع؛ فالرواقيون لا يسلمون بالتصورات ولا بالتخيلات؛ بل يسلمون بالأفراد والأشياء لذلك؛ لأنهم كانوا يتطلعون إلى توظيف أقل عدد ممكن من المفاهيم الكلية.

انتهى الرواقيون إلى الاعتقاد بأن الأحكام لا تختص بالأنواع التي تشمل الفصول ؛ بل تختص بالأفراد و بمجموع الخصائص التي ترتبط فيما بينها تبعا لقواعد محددة، و قد ذكر **شيشرون** أن " التماثل بين الأشياء غير موجود؛ إذ لكل شيء خاصيته المميزة **(Sui generis)** [2] ثم إن إسناد الخصائص المعبر عنها بلفظ معين إلى موضوع معين، يقتضي ضرورة امتلاك هذا الموضوع لهذه الخصائص فعلا، ففي قضية مثل : إذا كان سقراط إنسان فهو فاني، لا يكون القول بأن سقراط فاني إلا إذا كان يمتلك الخصائص التي يعبر عنها اللفظ إنسان، أو بمعنى آخر لا يكون سقراط فانيا إلا إذا كان إنسانا ؛ حيث تتجلى العلاقة بوصفها علاقة التزام أو ضرورة؛ لكن اهتمام الرواقيين بالأحكام التي تختص بالأفراد لم يدفعهم إلى إبخاس جدوى الأحكام المقولية؛ بل إنهم أحالوا دور هذه الأحكام إلى معاينة معطيات الإدراك الحسي المباشر وإثباتها.

لقد أنزل الرواقيون العلامات منزلة خاصة؛ فكان الاستدلال في تصورهم قائما على نظرية العلامات، وبدت العلامة كل ظاهرة أو موضوع يرتبط منطقيا بظواهر أخرى ؛ بحيث تستعمل الظواهر السابقة في معرفة الظواهر اللاحقة؛ و بناء عليه فإن "العلامة في قياس شرطي صحيح هي الشرط اللازم لإبراز النتيجة، إنها الجزء السابق الذي ينتج عنه الجزء

[1] A.Makovelski , Histoire de la logique, Op.3 cit, P.230.
[2] Cicéron, Premiers académiques, lucullus XXVI, cité par J.Brun, les stoïciens. Textes choisis, paris, éd. P.U.F, P.48.

اللاحق"[1]، ويمكن أن يعبر عن مثل هذه القضية بالصيغة الموالية: "إذا كانت ق فإن ن" بحيث تكون ق علام ة لـــ ن، و هذا ما قد يتيح ا لقول بأن العلاقة التي تتضمنها القضايا الشرطية وتقتضيها هي علاقة ذات طبيعة عقلانية تلتبس لبوس الضرورة وذلك ما تعكسه سلسلة العلاقات العلية التي تشمل كل الموجودات التي يبدو إثرها كل شيء ضرورة.

لقد صاغ الرواقيون نظرية للعلامات لا تنفك عراها عن منطق الشرطيات ؛ فكانت لهم "قصبات السبق في أن تكون لهم قدم راسخة في تاريخ التفكير السيميائي القديم"[2]؛ حيث عرفوا العلامة استنادا إلى القياس الشرطي الصحيح ؛ و الأحكام الشرطية تؤكد أن "حضور معطى معين يقتضي بالضرورة حضور معطى آخر "[3]؛ مما يعني أن بين العلامة والشيء الذي من وظيفتها الدلالة عليه علاقة التزام لأن "مهمة العلامة هي الكشف عن المدلول "[4]، والعلاقة بينهما شديدة الوثوق بحيث لو ضاع أحدهما كان سببا في ضياع الآخر وجوبا، ولعل ذلك ما يبرر مكانة المنطق الشرطي في الفلسفة الرواقية.

ألفى الرواقيون في القضية الشرطية التعبير المنطقي لعلاقة الضرورة التي تحكم الكون لذلك طوروا نظرية الا لتزام؛ فحسب التصور الرواقي ثمة علامة التزام بين العلامة وبين الشيء الذي تدل عليه، وهذا الالتزام لا يمكن إدراكه بالحواس فقط؛ لأن السبيل إلى معرفته لا تؤمنه الحواس وحدها، وهكذا "قدر الرواقيون الحواس ولج ؤوا إلى التجربة؛ فاستدعوا عنصر الملاحظة لبلوغ المعنى، وم ن أهم الأمثلة التي صيغت لديهم أن اللبن في ثدي المرأة دليل على الوضع، وأن الدخان دليل على النار "[4]، وهو ما ينعته **بورس** بالعلامة **القرينية**؛ لكنه يرفض إدراج الحواس في عمليات الإدراك على الرغم من اعتماده عنصر التجربة.

صنف الرواقيون موضوعاتهم إلى موضوعات بينة وم وضوعات غير مدركة، فأما الموضوعات البينة؛ فهي تلك التي يتم التعرف عليها بطريقة مباشرة وفق الحواس، وأما الموضوعات غير المدركة فهي تلك التي لا يمكن التعرف عليها إلا إذا استدل عليها بالعلامات، وهي ثلاثة أنواع[5] في تصور الرواقيين:

---

[1].Séxtus empriricus, Hypotypnoses pyrhoniennes, livre II, P104, cité par J.Brun, Ibid, P.33

[2] . أ.يوسف الدلالات المفتوحة، م-س ص28.

[3]. A.Makovelski, histoire de la logique OPcit P232.

[4]A. Makoveslki, histoire de la logique, Op, cit P244..

[5]. Ibid , P.236.

أ - الموضوعات التي يستحيل إدراكها؛ مثل عدد النجوم.

ب -الموضوعات التي يتعذر إدراكها مؤقتا؛ مثل إدراك مدينة أثينا الآن.

ت -الموضوعات التي لا تدرك إلا بواسطة العلامات الإشارية التي تكشف طبيعة الشيء غير المدرك، و مثل ذلك بروز العرق الذي يدل على وجود مسامات في الجلد.

لقد حفزت الموضوعات غير المدركة الرواقيين على النزوع نحو العلوم و الفنون التي جرت فيها العادة على تعيين واقعات مبهمة انطلاقا من واقعات معلومة ؛ "فعلم الطب و فن التنجيم يصطنعان واقعات حاضرة كأعراض المرض وحال السماء (...) لتعيين واقعات غير مشهودة كسن الوفاة "[1]، و إنّ مثل هذه الا ختصاصات تستدعي استحضار العلامات وجوبا لتكون بمثابة واقعات يستدل بها على واقعات غائبة.

فرق أصحاب الرواق بين ما سموه "علامة التذكير **(Signe commémoratif)** وعلامات الكشف و البيان **(Signe Révélateur)**"[2]؛ فعلامة التذكير هي كل علامة تلاحظ في الوقت الذي يلاحظ فيه المدلول، أي حيث يكون الشيء المراد الكشف عنه غامضا بسبب الظروف وإن يكن بطبيعته واضحا؛ فالذاكرة في الواقع هي التي تخطر بالذهن الارتباط الذي سبقت ملاحظته بين العلامة ومدلو لها، ومثل ذلك رؤية الدخان التي تقود مباشرة إلى القول بوجود نار، وهذا يعني أن الا ستنتاج المباشر تمخض عن تذ كر العلاقة القائمة بين الدخان والنار، ولما كانت النار شرطا لازما لانبعاث الدخان، كان الدخان علامة على وجود النار حتى و إن لم تكن النار بادية للعيان حينها، أما العلامة الكاشفة فقد سميت كذلك لأنها تكشف عن شيء لا تدركه الحواس وهو بطبيعته غامض، و ذلك حال العرق الذي يكشف عن المسام الخفية في الجلد، إنها بمعنى آخر ما لو فرض في مقدم حكم شرطي مطرد كشف مباشرة عن التالي؛ فالعلامة الكاشفة إذ ا تمتاز بتقرير ضرورة العلاقة بين المقدم و التالي؛ إذ تشير إلى التالي فتكشفه لأنها تمثل قضية تقريرية في قياس شرطي.

[1] . ع. أمين، الفلسفة الرواقية، م س، ص. 160.

[2]. A. Rey, Théorie du signe et du sens, lectures I, Op cit P.39.

قد تظهر هذ ه الطريقة في مجاراة التأويلات و محاولة الكشف عن العلامات ب عض التشابه بين التصور الرواقي و بين **السيميائيات التداولية**، و يكمن هذا التشابه في مباشرة الإجراء العلمي المتمثل في عنصر المشاهدة أو الم لاحظة، وفي افتراض التأويل لوجود العلامات، ومن ثم ركز الرواقيون على العلامات في ا لاستدلال؛ فعرفوا المنطق بوصفه وجها آخر للسيميائيات، وقد كان هذا التصور حاضرا في الفلسفة الأبيقورية، كما ظهر حديثا في التصور الذي صاغه **بورس** مستندا فيه إلى تحديد ثلاثي للعلام ة[1]، وهذا التحديد الثلاثي يمثل بدوره أحد أهم المتصورات الرواقية.

اقترح الرواقيون تصنيفا ثلاثيا للعلامة[2] ففرقوا بذلك بين ثلاثة موضوعات في مباحثهم اللغوية:

أ - الدال **(Sémaïon)**، و يمثل السنن الاعتباطي أو التعبير المدرك، و هو مجموع الحروف الملفوظة أو المكتوبة في مثل كلمة "**ديون**" **(Dion)**، وقد تواضع الرواقيون على الدال بالكلام **(Lexis)**؛ إذ يمكن أن تكون كلمة "**ديون**" دالا، كما يمكن أن يكون الدال صورة له أو رسما.

ب - المدلول **(Sémainomenon)** ويسمى أيضا "**ليكتون**" **(Lecton)**، و هو بمثابة الوسيط بين الكلام والفكر، إنه كلية غير فيزيائية؛ إذ يمثل محتوى لتعبير معين، أو الشيء الذي يكشفه الدال ومثله الوصف الكلامي أو السردي لـــ **ديون**، أو الحديث حوله، أو حتى ما ت وحي به صورته.

وضع أصحاب الرواق بين الكلمات المنطوقة والمعاني التي يصرفها الفكر صورا مجردة غير مادية سموها "**ليكتون**"؛ وهي تعني ما يقصد باللفظ، " فالليكتون مصدر مشتق من الجذر **(Légeisme)** الذي يعني القول أو إرادة القول، إنه يمثل مدلول الخطاب أو المحتوى الدلالي لفعل القول (...) وهو يستقي وجوده من تمثيل عقلاني غير مجسد (...) فهو حقيقة عقلية غير مادية"[3]، وهذا يعني أن الليكتون يمثل ما يفهم و ما يخطر بالبال عند سماعه، لأنه

[1] إذا لم يتفق معظم السيميائيين على الحدود التي ينبغي استعمالها بوصفه محددات لنتوءات المثلث السيميائي فإن حشدا كبيرا منهم اعتمد ا لتقسيم الثلاثي للعلامات.

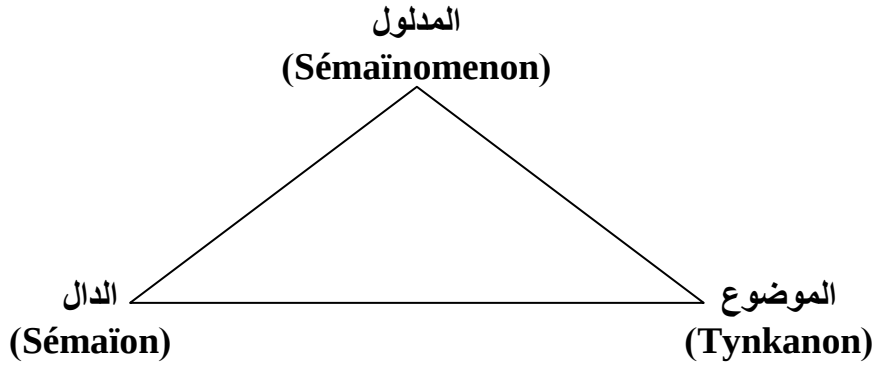
Cf. U.Eco Le signe, histoire et analyse d'un concept, Bruxelle,éd, labor, 1988, P.39.

[2]. F. Fagaro, Le langage, Op. cit, P.20.

[3] .Ibid, P.21.

"ما تتمثله النفس بصدد الشيء، وما تتمثله النفس لا يعود هو عينه ما يولده الشيء في النفس"[1]، وهو ليس بشيء حقيقي مادي؛ بل هو غير مجسد ولا وجود له إلا في الأذهان.

جـــ- المرجع أو الموضوع **(Tynkanon)**، وهو كلية فيزيائية مادية تمثل الموضوع الواقعي الذي تحيل إليه العلامة، إنه موضوع الكلام أو الشيء الحقيقي المجسد والموجود في الواقع؛ فموضوع الكلمة **ديون** مثلا هو "**ديون**" الفرد.



العلامة في التصور الرواقي

يتبين من التحديد الذي صاغه الرواقيون للعلامة أن هذه الأخيرة تتأسس بوصفها شبكة من العلاقات التي تجمع في الوقت ذاته ثلاثة مستويات مترابطة هي:

السنن الوصفي للفظ **(الدال)**، و الملفوظ المستعمل للتخاطب حول هذا الواقع **(المدلول)** و الواقع المدرك **(المرجع أو الموضوع)**، وقد حدا هذا التصنيف بـ **ليبنيز** إلى محاولة صوغ تحديد رياضي للعلامة بحيث يكون شاملا و مستوعبا؛ لكن محاولته تلك لم توفق إلى حد كبير مما كان سببا في انصرافه عن التصور الرواقي للدعوى إلى تعدد المعاني **(Polysémie)** وارتكز في ذلك إلى الاستعمالات المتباينة للفظ في الموسوعة[2]؛ وبذلك فتح السبيل إلى ما سيعرف بعده بالأنساق الدالة **(Systèmes signifiants)**؛ لكن هل يعني ذلك أن الرواقيين أبخسوا التأويل حقه؟ و إن كان الأمر كذلك فما علاقة اللغة بالفكر؟ ثم هل يعني اعتراف الرواقيين بقصور الحواس، القول بأنهم عقليون؟

[1] . إ. برهييه، الفلسفة الهلنسيتية و الرومانية، تر.ج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، 1988، ص 57.
[2]G.W.Leibniz, Ars Combinatoria, 1660, Monadologie, 1714, Cités par. J . Kristéva, Article "Sémiologie", in Encyclopédia Universalis, 1997.

نفى الرواقيون عن الصوت كونه سمة مميزة للجنس البشري ؛ فميزوا إثر ذلك بين الصوت واللغة؛ وذكروا أن الصوت ليس لغة؛ واستدلو ا عل ذلك بوجود بعض الحيوانات التي تصدر أصواتا لكن لا تتكلم؛ وهذا يعني أن الكلام حكر على البشر اللذين يتفردون بامتلاك **لغة جوانية** تتيح التواصل، و على هذا الأساس يمكن أن يعد ا لفكر منبعا للغة؛ لأن اللغة والفكر مصدرهما القلب الذي يعد منشأ الانفعالات، أما الصوت فيصدر عن القلب ؛ لكن مخرجه الحنجرة أو القوة الصوتية، ومن ثم فإن اللغة تصدر عن فكر يصدره القلب الذي يتيح استقبال دلالات الأشياء وإدراك كلام الآخر بوصفه علامات.

لقد تصور الرواقيون العالم على أنه نسق علامات، كما أنهم سلموا بوجوب فك الإنسان لسنن تمثيل هذا العالم و محاولة فهم نسقه الذي بدا لهم بمثابة مجموعة علامات مركبة يحيل تأويلها إلى تأويل الكون؛ وقد شاكلهم **بورس** في ذلك لكنه صدف عن اعتمادهم على التحليل الحسي في العمليات الأساسة للإدراك ؛ واستنادهم في إدراك اللغة إلى تأويل عقلاني قوامه الإحساس.

صاغ الرواقيون مقاربة بين العالم والخالق أو "المهندس الأعظم"[1] الذي "ينماز بالروح والذكاء، ويتمظهر في الذكاء و الكلام البشريين"[2] كما تبين ذلك دراسة الفيزياء الرواقية ، وقد تمخضت عن هذه المقاربة مقاربة ضمنية بين العالم و العمل الفني؛ لأن الرواقيين كانوا يرون في الخالق مهندسا أو فنانا، و هذا ما حاول **إبيكتات (Epictete)** قوله حينما ذكر أن " أعمال الخالق تحتاج إلى الإنسان مشاهدا و مفسرا"[3]، وهذا يشير إلى نتيجة فحواها أن روح البشر مستقاة من الطبيعة لتي أبدعها الخالق وتشكل جزءا منها ، فروح العالم ليست إلا روح المشرع **(Démiurge)**، و هذا يعني أن روح الخالق تمتزج مع الطبيعة ليص ير العالم كما هائلا من العلامات.

---

[1] ذكر "ديوجين لايرس" أن الخالق هو المهندس الذي خطط لكل شيء و أنشأه.
Cf. Diogène Laèrece, VII, 147, cité par. J. Brun, Les stoïciens. Textes choisis, op, cit P59.
وردت هذه التسمية أي (**المهندس الأعظم**) في الفكر الماسوني و كانت أحد أهم المفاهيم لدى الماسونيين.

[2].Diogène laèrce, Vies et sentences des philosophes illustres, tr, C-C Cobet, Paris, éd. firmin didot, 1862, livre, VII, PP-147-148, cité par J.Brun, Ibid, P.59.

[3]. Epictète, Entretiens, tr. J. Souillé, Paris, éd, belles lettres, 1948, I, 6, 19. P.26.

يبدو العالم إذا مفعما بالعلامات و الإنسان وحده يملك القدرة على فك سنن علامات وتأويلها لأنه يملك القدرة على التمثيل التي تتيح له تأويل العالم الخارجي، و قد تحدث **شيشرون (Cicéron)** عن موقفه إزاء التمثيل؛ فذكر أن الحضور الإلهي يمكن الإحاطة به من خلل مشاهدة السماء "فالذكاء الإلهي تظهره جليا تلك الأشكال التي تصنعها كوكبات النجوم"[1]؛ إذ إن تلك الأشكال تمثل إحدى الدلائل على وجود الخالق، إنها علامات تحمل في جنباتها سر الخلق.

يكمن موقع التقاء اللغة والمنطق في النقطة المحددة التي يتعرف فيها الإنسان على علة تمثيلاته فيتلفظ بها على شكل لغة، ومن ثم يمكن الإشارة إلى التناسب الذي تنشده الفلسفة الرواقية؛ حيث "ترتبط كل الأشياء وفق رابطة مقدسة (...) تتلاءم فيها كل الموجودات لتشكل انسجاما تاما"[2]؛ ليتجلى العالم في كليته من أكبر أجزائه إلى أصغرها بوصفه علامات يجب أن تفكك عراها وتؤول، وهذا الربط بين الإدراك والتأويل يشكل جوهر النسق الرواقي.

لقد اعتنت الفلسفة الرواقية بالخلق و بالخالق في إطار تصور يسلم صراحة بهيمنة العلامات حيث يبدو كل شيء علامة؛ إذ حاول الرواقيون تسخير اللغة والمنطق لدراسة هذه العلامات وتأويلها، وقد يصيب البلحث لمثل هذا الاهتمام بالمنطق وباللغة حضورا في فلسفلت أخرى، كانت الفلسفة المدرسية واحدة منها؛ فما مدى تأثر **بورس** بهذه الفلسفة؟

---

[1].Cicéron, De natura deorum, II, 110, cité par . Cl.Imbert, Logique et langage dans l'ancien stocisme, Essai sur le développement de la logique grecque, Thèse dactylographiée pour l'obtention de doctorat d'état, Paris, Université de Paris.I, 1975,P.455.

[2]. Marc- Aurèl, Pensées, Textes établis et traduits par.A.I.Tranoy, Préf. A.Puech, Paris, éd. Les belles lettres, 1939, Livre.VII, §.09, P. 69.

4.1 "بورس" والمنطق القروسطي:

لقد سميت الفلسفة القروسطية بالسكولائية **(Scolastique)** أو **المدرسية** لأنها نشأت في صلب الكنيسة كدراسة لاهوتية، فقد كانت تدرس في المدارس المسيحية في الع صور الوسطى لذلك ارتبطت الفلسفة بالديانة في تلك الفترة ارتباطا لا تنفصم عراه، فاشتركت الفلسفة في الديانة إلى حد المطابقة في الموضوع و الأهداف والغايات[1]، وبذلك أقامت الفلسفة المدرسية صرحها على مبدأ فحواه أن الفلسفة يجب أن تبقى تحت إمرة الكنيسة بحيث لا يمكن البتة أن يعارض الفكر الفلسفي ا لكنيسة، إلا أن الآثار الفكرية التي خلفها أبرز أعلام المدرسيين* تعكس زخما معرفيا و إعمالا فكريا يبعث على الشك في نعت هذه المرحلة بمرحلة القيد أو بالجدل العقيم كما يتصور كل من **بليكون وديكارت** [2] ؛ لأن هذه المرحلة تبدو بمثابة بداية لتحرر الفكر من ربقة الكنيسة و لعل ذلك ما جعل **ويزمان (D.Huismane)** يرى فيها "المرحلة الجنينية للعلم الحديث"[3]، و هذا يعني أن فلسفة العصور الوسطى قد أسهمت في إثراء الفكر.

تعدى تأثر **بورس** بالقروسطيين مرحلة الإعجاب، فقد كان حماسه لقراءة القروسطيين شديدا؛ إذ عكف على قراءة معظم أعمالهم الأصلية وذلك ما يتجلى في كتاباته التي تعكس حضورا قويا للأفكار القروسطية، وفي دعواه إلى العودة للمدونات القروسطية وإلى محاولة استعمال المفاهيم و الحدود التي وردت فيها مع شرط الحفاظ على معانيها الأصلية [4]؛ إذ لا تثريب على الباحث في استعارة المفاهيم أو الحدود المدرسية؛ لكن الأمر يبقى مشروطا باعتماد الباحث على المعاني الأصلية التي وضعت لها في الفلسفة المدرسية والحفاظ عليها.

استعار **بورس** عددا من المفاهيم القروسطية كان منها: "**النحو النظري**"**(Grammatica speculativa)** و"**العقل**" **(Ratio)**[5] ؛ وهي مفاهيم ورد ت لدى

---

[1] F.Hegel,Histoire de la philosophie. philosophie de la religion, T.1, P.21.

* من أشهر السكولائيين : سكوت أريجينا (Scote Erigène)، أبيلار (Abelard)، القديس أنسلم " (Saint Anselme)، و د ونيس سكوت " (Dun Scott).

[2] عبد الرحمن بدوي، فلسفة العصور الوسطى، الكويت وكالة المطبوعات لبنان، دار القلم، ط3، 1970، ص،41.

[3] A. Weber et D.Huisman, Histoire de la philosophie européenne philosophie antique et médiévale, pref. G.Marcel, Paris, librairie Fischbacher, 1964, P.193.

[4] Ch.S. Peirce, CP (5.470).

[5] C P (2.228), CP(2.231).

دونيس سكوت، بالإضافة إلى مفهوم "**الإنابة**"* **(Suppositio)** كما ورد في مدونة **أوكام**؛ وهو مفهوم اعتمد عليه **بورس** في تحديد العلامة.

قال **بورس** بضرورة إخضاع التحليلات السيميائية إلى تصنيف ثلاثي يتضمن الحدود والقضايا والحجج، و تصنف هذه المستويات الفرعية بدورها إلى ثلاثيات حيث يتضمن مستوى الحدود، الأيقونات والقرائن والرموز، و تصنف القضايا إلى صحيحة وخاطئة ومشكوك فيها، أما الحجج فتتضمن الاستنباطات والفرضيات والاستقراءات.

المنطق		
الحدود	القضايا	الحجج
-أيقونات -قرائن -رموز	-قضايا صحيحة. -قضايا خاطئة. -قضايا مشكوك فيها	-استنباطات. -فرضيات. -استقراءات.

-تصنيف التحليلات السيميائية لدى **بورس**-

* اعتمد هذا البحث ترجمة الحد (Suppositio) بالإنابة و هي ترجمة أوردها طائع الحداوي، و لم تتم ترجمتها بالافتراض لأن الافتراض لدى "**بورس**" هو (Abduction)، و مخافة سوء الفهم تم اعتماد البحث لهذه الترجمة بوصفها الأكثر ملائمة لتصورات **أوكام**.

اقترح **بورس** تعديل القياس الأرسطي [1] الذي بدا له قاصرا، وحاول "إدراج المنطق ضمن حدود العلوم المعيارية "[2] ابتغاء تطبيقه في البلاغة والخطاب؛ فاستند إلى المنطق المدرسي الذي صنف إلى حدود وقضايا وحجج، واستعار التمييز الذي صاغه المدرسيون بين الاستنباط (**Déduction**) والاستقراء (**Induction**) مؤكدا أن "العلاقة التي تربط الموضوع بالمحمول أو تربط السابق باللاحق هي العلاقة القائمة بين المقدمة والنتيجة "[3]، إنها "علاقة ربط"[4](**Illativ Relation**)؛ وتعد علاقة سيميائية مبدئية، و قد ميز **بورس** بين علاقتين للربط إحداهما صورية والأخرى مادية [5]، مسندا بذلك طبيعة كل علاقة إلى طبيعة المبادئ العامة الموجهة للاستدلال (**Inference**).

يتجلى تأثير القروسطيين في **بورس** من خلال التحليل المنطقي لمنتجات الفكر؛ حيث أدرك **بورس** الثورة[6] التي أحدثها القروسطيون في مجال الانعكاس على العلاقات بين الفكر واللغة، وعثر في فكرهم على الأدوات النظرية التي س يتيح له تحقيق تحليل منتجات الفكر تحليل منطقيا؛ كما عثر على فكرة التفكير وفق العلامات وهي فكرة استعان بها لصوغ فلسفته الذرائعية التي تتعامل مع الفكر بوصفه استع مالا للعلامات، وبذلك باتت العلامات تشكل الأساس النظري في تصوره؛ حيث اقتنع **بورس** بأن التحليل المنطقي للفكر ليس إلا مشاكلة للتصورات المدرسية التي رأت في الفكر والعلامة تجانسا وتطابقا، وذكر **بورس** في تعليقه على مؤلف **باركلي** الذي حرره لفائدة دار النشر **فرايزر**(Fraser) أن **أوكام** يرى في التصور العقلي حدا منطقيا يقع في الفكر (...) و يحمل طبيعة العلامة"[7]، مما يعني أن الفكر والعلامة يتطابقان.

لقد بات المنطق إذا محددا في تصور **بورس** بوصفه قائما على المقاصد الثانوية (**Intentions secondes**) المطبقة على الأولى (**Intention premières**)؛ فالمقاصد الثانوية هي موضوعات الفاهمة التي ينظر إليها بوصفها تمثيلات إنها تلك الحدود التي يكون مجال

---

[1] CP (2.533).
[2] CP (1.169).
[3] CP (4.3).
[4] CP (3.175), (2.440 n 01).
[5] CP (3.154), (2.589).
[6] التعبير ثورة قروسطية استعمله بانا كسيو" الذي باشر تحليلا مميزا للغة قارن فيه بين الإشكاليات اللغوية في العصور الوسطى و في الفترات المعاصرة و بالخصوص مطارحات فودور J.Fodore
[7] CF. C. Panaccio, Les mots. les concepts et les choses.La Sémantique de Guillaune d'Occam et le nominalisme, paris, éd. Vrin, 1992, p.71.

دلالاتها هو ذاته مجال علامات الفكر (قضية، كلي،...إلخ)، وهذا يعني أن القصد الثانوي يمثل "علامة العلامة" [1]، أما القصد الأول فهو موضوع التمثيل، إنه ما يدل في استعماله على الموضوعات الفيزيائية والحالات العقلية (شجرة، أحمر،...إلخ).

اقتنع **بورس** بأن تبني فكرة المقاصد الثانوية المطبقة على الأولى لا يؤدي إلى دراسة خصائص موضوعات الفكر كما هي ؛ بل هو دراسة لخصائص الموضوع بوصفه موضوعا للفكر، أو بمعنى آخر دراسة هذا الموضوع بوصفه علامة، و قد استند **بورس** إلى دعاوى **أوكام** حينما اعتمد هذا الطرح، ومن أهم الدعاوى التي أشاد بها **بورس** مقولة "الإنابة" [2] التي رأى فيها أنها "أحد الحدود التقنية الأكثر نجاعة في القرون الوسطى " [3]، إنها تمثل في تصور **أوكام** "وضعا لشيء آخر **(Positio pro alio)**[4] ، وهذا يعني أن الإنابة تقتضي أن تحل علامة معينة محل شيء ما، إنه ا "نيابة حد عن شيء معين " [5] فهي تتيح معالجة العلامة من حيث كونها قادرة على أن توضع لشيء ما، دون أن تؤخذ دلالتها بالحسبان.

لما كانت الإنابة في نظر **أوكام** تختص بإحلال العلامة محل شيء معين أو بمعنى آخر استعمال حد معين للدلالة على شيء معين ، كانت "نظرية الإنابة هي نظرية صيغ الإنابة " [6]

فقد عرف **أوكام** الإنابة [7] وفق صيغتين إحداهما اختصت بتصنيف الإنابة إلى شخصية وبسيطة ومادية، و الأخرى اعتمدت تصنيف الإنابة ا لشخصية إلى إنابات فرعية ، ويمكن التمثيل لصيغ الإنابة كما تصورها بالترسيمة المقابلة:

---

[1] J.Briard, G.Dockham, logique. et philosophie, Paris, ed, PUF, 1997,.P.40.

[2] للإطلاع على هذه المقولة في الفلسفة القروسطية عموما ينظر :

A. Delibera & I.Rosier, la pensé linguistique médiévale, in Histoire des idées linguistiques, S. Auroux (éd), Bruxelles, 1992, T2, P, 142-158.

[3] C.S Peirce CP (5.320).

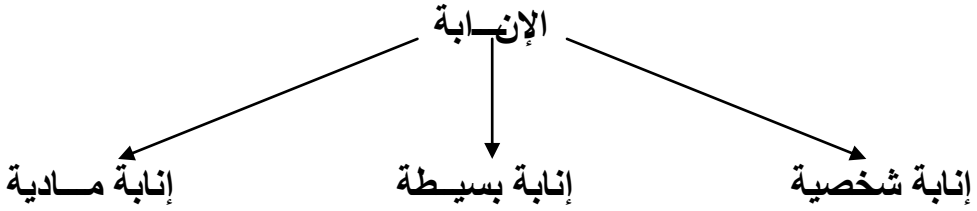
[4] G. D'Ockham, somme logique, I 62, in P Hochart, Guillaume d'occam, le signe et sa duplicité, in Dictionnaire de la philosophie, F chatelets(dir), Paris, éd. Hachette 1972, P194.

[5] T.Biard, Op cit, P37.

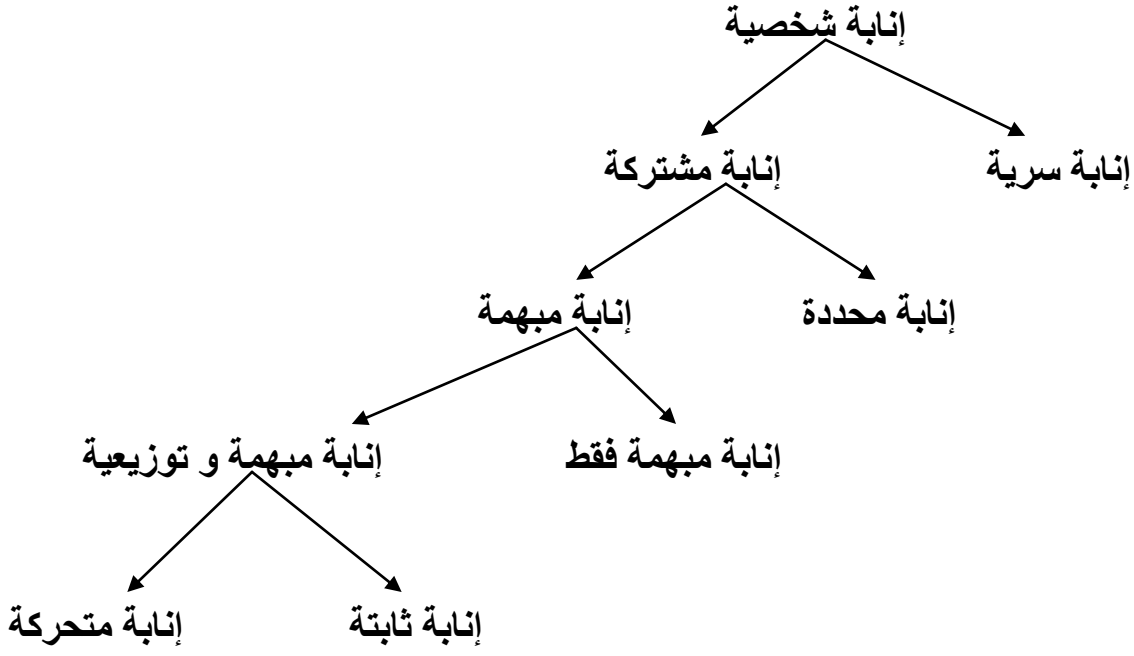
[6] Ibid, P46.

[7] J.Biard, Le suppositio et ses modes, in, Ibid, P46-51.

- **الصيغة الأولى:**



- **الصيغة الثانية:**



صيغ الإنابة لدى أوكام
Cf J.Biard (1997), P49

تحدث **باناكسيو**[1] عن المزايا التي تنشأ عن الإنابة البسيطة بوصفها إجراء لسانيا واصفا يتيح تعليق الوظيفة المرجعية للحد ؛ فالقضية "الإنسان نوع" شبيهة بالقضية "الإنسان كلمة مؤلفة من سبعة حروف"، لكن الاختلاف بينهما يكمن في الدور المرجعي لكلمة "إنسان" في كل قضية؛ ففي القضية الأولى "الإنسان نوع" أدت كلمة إنسان دورها المرجعي، لكن في القضية الثانية لم تفعل لأنها لم تستعمل علامات تنوب عن موضوعات العالم الخارجي.

اهتم **بورس** بمنطق **أوكام**؛ إذ خصص له محاضرات عديدة ألقاها بجامعة **هارفارد Harvard**، ولعل هذا الا هتمام مرده السمة ال عقلانية التي لازمت منطق **أوكام** الذي قدم تحليلا صوريا للغة بعد تطوير منطق الحدود و الأداة اللسانية الواصفة الفعالة ا لتي تؤسسها نظرية الإنابة.

إن ما يميز منطق **أوكام** في تصور **بورس** ليس كونه منطقا يهتم بالحدود وحسب أو كونه يفصل الافتراض عن باقي الوظائف الدلالية ؛ بل هو كونه منطقا قائما على فكرة اللغة العقلية، وهذا يعني أن منطق **أوكام** يختص بتأسيس خطاب عقلاني قوامه العلامات؛ حيث تتحول اللغة من حاملة للفكر إلى "موطن للدلالة"[2] ويغدو الفكر دالا في حد ذاته ولا يكون ثمة سبيل إلا للمعقول؛ فالعلامة هي "ما يعين شيئا ما للقوة العاقلة التي يقدم لها"[3] كما ذكر **روجي بيكون**[4] (Roger Bacon) الذي شكل مرحلة هامة في التقعيد للسميائيات؛ وأكد عدم إمكان دراسة الدلالة بمعزل عن نظرية للعلامات ؛ فمهد بذلك السبيل نحو تأسيس نظرية سيميائية وتأسيس عمل نسقي للمنطق.

ربط **أوكام** اللغة بالفكر [5]، وصار المفهوم إثر ذلك هو الحامل للدلالة و ليس اللفظ كما هو الحال لدى **أبيلارد**، وبناء عليه فإن الفكر "لغة يمكن أن تطبق عليها دلالة الحدود بما تحمل من مفاهيم: الدلالة، الإيحاء، الافتراض... إلخ" [6]؛ وعلى هذا الأساس فإن فرضية اللغة

[1] C.Panaccio, les mots, les concepts et les choses, la sémantique de Guillaume d'occam et le nominalisme aujourd'hui, Paris éd Ballarmin- Vrin, 1992, P76.
[2] Ibid, P.73.
[3] R Bacon, Les signes, tr I.Rosier, in La parole comme acte, Paris ? 1994, P322.
[4] J.Biard Guillaume d'ockham. logique et philosophie, Op cit ? P14.
[5] J.Jolivet, Peter Abelard, in comparaison des théories du langage chez Abélard et chez les nominalistes du XIVème siècle, Louvain, éd .E.M Buytaert, 1974, P167.
[6] C.Panaccio, les mots, les concepts et les choses, OP.Cit, P71

العقلية قد أتاحت **لأوكام** استعباد مجاراة الكليات[1]؛ حيث أكد على فردية الموجودات و ذكر أن "كل ما يصدر عن الروح هو أشياء فردية أو جزئية"[2]، وبذلك صار من الممكن التعامل مع إحالات مثل القصدية والا عتقاد بوصفها "علاقات بين التفكي ر الفردي و الكليات النفسية الواقعية والفردية بدل النظر إليها بوصفها علاقات بموضوعات ثابتة من العالم الخارجي "[3] وهذا يعني أن قدرة المفاهيم على حمل الدلالة تتيح ل ها أن تتراكب وفق تركيب دقيق لصو غ قضايا عقلية تماثل الجمل من الناحية البنوية، وتلك هي "النظرية الصورية للفكر "[4] التي قال بها **أوكام**، إنها "نظرية تقوم على نسق من العلامات"[5] مجهز منطقيا ببنية تركيبية بسيطة.

فتن **بورس** بالبرنامج العقلاني الذي أرسى قواعده **أوكام**؛ لأنه عثر فيه على أدوات لتحليل مرتجات الفكر لا تمت بصلة إلى النزعة النفسية، بل تبقى صورية و تحافظ على وفائها للعلوم العقلانية؛ لكن إذا كان **بورس** قد أعجب بالمشروع العقلاني الذي أسسه **أوكام** واستعار منه البنية العضوية الحملية ذات الشكل "أ هو ب"[6]، كما اتبع طريقته في استنباط المقولات وتحليل الحدود النسبية، فقد ذكر بغايته التي كانت النحو النظري مؤكد ا اعتماده على أعمال **دونيس سكوت** فيما يتعلق بتأويله الحجة، وبتحديده للقضايا المقولية و الافتراضية؛ حيث ذكر **بورس** أن " لا فرق منطقي بين الفرضيات و المقولات؛ فالموضوع علامة للمحمول، إنه اللاحق أو بمعنى آخر علامة للناتج، و هو النقطة الوحيدة التي يختص بها المنطق"[7]، وقد رأى **بورس** في معالجة المقولات بوصفهما فرضيا ت فائدتين، أولاهما تتمثل في أن القضايا الافتراضية لا تؤكد شيئا فيما يتعلق بالحالة الراهنة للأشياء و لا تحيل إلا لما هو ممكن "[8]، أما الفائدة الثانية فتكمن في "كون هذه القضايا بسيطة"[9]، وهذا يعني أننا نميل إلى اعتبار البنية

---

[1] الكلي في تصور "أوكام" هو علامة تحمل على أشياء كثيرة مثلما يدل الدخان طبيعيا على النار، كما يدل أنين المريض على الألم، و كما يدل الضحك على الفرح.
C.F Gd'Ockham, Sl, I chap14, tr. P51in J.Biard, Guillaume d'Ockham, logique et philosophie, Op Cit, P24.

[2] G D'Ockham, le livre des scentences, I Prof, Qu III, OTI, P 134, in J Biard, , Guillaumes d'Ockham, Op CIT, P10.

[3] C.Panaccio, les mots, les concepts et les choses, Op Ci P70

[4] Ibid, P77.

[5] لم يكن "أوكام" أول فيلسوف اهتم بطبيعة العلامات و بظائفها، بل ترجع الإنعكاسات القروسطية إلى فترة الآباء و بالتحديد إلى القديس "أغسطين" الذي قدم تحليلا للعلامات في الإطار اللاهوتي متطرقا بذلك إلى مسالة قدسية العلامة كما يتبين في رسالة "المعلم المسيحي".
C.F A Augustin, le magistère chrétien, Paris ? éd Bibliothèque augustinienne, vol 11, 1949.

[6] J.Biard , Guillaume d'ockham, Op.Cit, P.36.

[7] C.S Peirce, CP(3.175).

[8] C.S Peirce, New elements of mathématics, Mouton, C Eisel (ed), 1976, vol IV, P.365.

[9] Ibid, P171.

المنطقية للقضية المقولية مماثلة للبنية النحوية المفكر فيها، كما أن المنطق ليس إلا محاولة دقيقة لصوغ اللغة العادية التي تمثل الفكر.

إن القول بأولوية الافتراضات على المقولات قد بين اهتمام **بورس** باستبعاد المقولات المنطقية والنحوية وعدم إدراجها ضمن إطار اللغة العادية لأن "اللجوء إلى اللغة يخدم غايات ذات توجهات نفسية، و هذه التوجهات ليست مفيدة لا ستثمار المسائل المنطقية "[1]، لذلك يرى **بورس** أن منطق **أوكام** وإن كان بسيطا و واضحا؛ فإنه يحتاج للنحو النظري الذي قال به **دونيس سكوت**؛ وهو يسمح بتأسيس فلسفة للنحو لأنه أكثر تعقيدا من منطق **أوكام**[2]، ذلك أن صيغ الدلالة **(Modi Significandi)** التي قال بها "**سكوت**" تفهم انطلاقا من القيمة التركيبية أما صيغ المعرفة **(Modi intelligendi)** فتفهم انطلاقا من القيمة الواقعية ؛ بحيث "ترتبط الدلالة بالمنطق وفق علاقة وثيقة فتغدو جزءا منه "[3]؛ فالأمر إذا يتعلق بدراسة قواعد البناء الدلالي ودراسة الشروط التي يقتضي إنتاج الدلالة وجوب توحدها.

لقد كان **بورس** يتطلع إلى تأسيس فلسفة للنحو تكون صورية و شاملة؛ فتجمع بذلك بين اللغة والفكر و الواقع، لذلك لجأ إ لى أعمال **أوكام**؛ لأنه عثر فيها على الآ ثار الصورية والعقلانية، كما عثر فيها على ذلك الا هتمام بالعلاقات القائمة بين الفكر والمعنى، لكنها على الرغم من ذلك بدت له قاصرة بعض الشيء فيما يتعلق بتقديم فهم جيد لآليات الفكر و الدلالة لذلك استعان **بورس** بمشروع **دونيس سكوت**[4]، فقد كان يعتقد بإمكان تحليل صيغ الدلالة بمعزل عن صيغ الوجود، كما كان يرى في اختزال صيغ الوجود إلى صيغ الدلالة أمرا مستحيلا ؛ إذ يجب ميز الكون المنطقي من الكون الميتافيزيقي وإثبات عدم قابلية اختزال الثاني في الأول لأن ثمة إمكان لتحول المنطق إلى سيميا ئيات عامة قياسا على أنموذج صوري للنحو يتيحه موضوع المنطق المتمثل في "جميع أنواع العلامات " [5]، وبناء على ذلك، سيتبين أن **النحو النظري** الذي كان **بورس** يمتح من معينه و الذي "يختص بمعالجة الشروط الصورية للرموز الدالة" [6] بهدف تأسيس "ما يجب أن يكون صحيحا من التمثيلات المستعملة لكل ذكاء علمي

[1] C.S Peirce, CP (2.70).
[2] C.S Peirce, Writings of Charles Sanders Peirce, OP Cit, P.327.
[3] M.Heidegger, Traité des catégories et de la signification chez Duns Scott, Paris éd Gallimard, 1970, P165.
[4] I.Rosier, La grammaire des modistes, lille éd. Presses universitaires de lille , 1983, P44.
[5] C.S Peirce, CP(2.206).
[6] CP (1.559).

بغية تحصيل أدنى قدر من المعنى"[1]، هذا النحو النظري شبيه إلى حد كبير بالعناصر المتعالية (**Transcendantale Elementarlehre**) كما تصورها **كانط** في مؤلفه "نقد العقل المحض " أو يمكن القول أن هذا النحو يبدو شبيها بالإبستيمولوجيا [2]؛ إذ لا علاقة له بأي نظرية نفسية للمعرفة.

إذا كانت الوظيفة الأساسية للمنطق هي التحليل المنطقي لمنتجات الفكر فإن تأسيس قواعد للأحكام ستكون دون شك من أهم وظائفه، وبهذا المعنى فإن التخلص من الجانب النفسي سيكون أمرا نظريا فقط، لذلك فإن **بورس** إذا كان يتوخى في بداية مسعاه التخلص من إبهامات النقد الكانطي للملكات، وخاصة النقد المتعلق بعلم النفس الاجتماعي والاستبطاني فإن علم النفس بالمعنى الكانطي سيشكل بالنسبة لـــه جزءا من المنطق؛ لكن هذا لا يعني أن **بورس** قد فقد الثقة حيال نظرية المعرفة بسبب ذلك التداخل مع علم النفس، فإن كان قد أهمل إشكالية أصل المعرفة، فإنه لم يغفل مسألة تبرير المعرفة ويتجلى ذلك في محاولة الإجابة عن كيفية إمكان الحكم التركيبي وعن مرتكزات صدق قوانين المنطق؛ حيث أسند الاهتمام بتحليل المقتضيات الصورية والدلالية للمنطق القروسطي.

تبعا لذلك، يمكن القول أن هدف النحو النظري بالنسبة لـــ **بورس** تمثل في تأسيس "ما يجب أن يكون صحيحا من الممثلات التي يختص بها كل ذكاء علمي لتكتسب معنى معينا "[3]؛ لأن الطريقة المثلى لاستبعاد كل الشراك الملازمة للنزعة العقلية ونحو اللغة العادية هو مباشرة تحليل صوري ودقيق للعلامة ولوظائفها، ولما كان "الفكر والتعبير يمثلان شيئا واحدا"[4]، كان معنى الحد تبعا لذلك هو المفهوم الحامل لهما، وتوجب من ثم أن يتم التعبير عن الدلالة وفق آثار واقعية، وذلك ديدن التداوليات، ولعل ذلك أيضا ما جعل من القروسطيين "مرجعا هاما"[5] في تصورات **بورس**؛ لكن ثمة أيضا حضور للمثالية الألمانية في فكره؛ فما الذي استعاره **بورس** من هذه الفلسفات؟

---

[1] .CP (2.229).
[2]. CP (2.206).
[3]. CP (2.229).
[4]. CP (1.349).
[5]. CP (5.225), (5.130).

5.1- تجـليـــات المثـــالـــية:

قد يبعث اللفظ **مثالي** على الاعتقاد بأنّ الفلسفة المثالية هي تلك الفلسفة التي تتمسك بالمثل أو القيم العليا، وقد نبهنا تاريخ الفلسفة إلى أنّ لكل فيلسوف رأي خاص أو نظرة مميّ زة قد تتحول إلى موقف؛ وهذا يعني أنّ المثل في تصوّر أي فيلسوف ليست أقل تعبيرا عن المعاني التي يستمسك المثالي بعراها، لكن التصورات تختلف وتبعا لاختلافها تتمايز التعريفات وهذا من شأنه أن يخول للفكر حرية الانتقاء ويتيح لكل فلسفة اختيار أفكارها الأساسية علما أنّ " كل فلسفة تشمل عمليتين، إحداهما سلبية بواسطتها تنبذ المذاهب المعاكسة والأخرى إيجابية بواسطتها تصطفي ذاتها وتبني نفسها "[1]، لذلك فإنّ الفيلسوف الحسي ليس بالضرورة ماديا وكذلك الفيلسوف المادي ليس بالضرورة مثاليا، ولنا في الفلسفة الإنجليزية مثالا بارزا فهي فلسفة مثالية على الرغم من أنها ذات طابع حسي، وبناء عليه فإنّ إصدار مثل تلك الأحكام قد يفضي إلى سوء فهم بليغ.

لقد لج المثاليون في القول بكمال العقل، وكان ردهم على وجود بعض المخططات العقلية الفاشلة إصرارا على القول بقصور الواقع عن مجاراة الكمال القائم في ال صور العقلية، وهو رأي لم يستسغه الواقعيون الذين قلبوا الفكرة معتمدين الفكرة العكسية للمثالية، حيث قالوا بكمال الواقع وبقصور العقل خلافا للمثاليين، وكانت حجتهم في ذلك أنّ الكون أو الوجود عموما أكثر رحابة من الذات، وهذا ما يجعل الواقع أكثر تنوعا وتمايزا وهو ت نوع أكبر من أن تحيط به الذات، ثم إنّ العقل قد أثبتت عجزه تلك العينة من الصور العقلية أو المخططات الفاشلة وإن كانت ضئيلة، على خلاف الواقع الذي أثبتت التجربة ثراءه، مع العلم أنّ التجربة التي اعتمدها الواقعيون تختلف عن تلك التي وردت في الفلسفة المثالية، لأنّ التجربة كما يتصورها أصحاب الاتجاه المثالي لا تتعدى حدود العقل فهي موكلة إليه قسرا وتلبس لبوسه إنها بمعنى آخر تختص ببدايات الواقع أو إن صح القول تختص بالإمكان العقلي أو بالممكن في تشكلاته الأولى، أما التجربة في التصور الواقعي فمختلفة لأنها تدل على الواقع الذي يؤمن به الفيلسوف الواقعي.

يبدو إذا أنّ الفلسفة الواقعية لا تطلب من الوجود صورا ناقصة بل تتطلع إلى التماس الكمال في الواقع الذي يبدو أكثر تنوعا وديناميةً، ويختلف عن الواقع الخام بكونه أكثر رحابة

---

[1] أندريه كريون، تيارات الفكر الفلسفي، من القرون الوسطى حتى العصر الجديث، تر .نهاد رضا، بيروت، منشورات، عويدات، 1962، ص.409.

من الذات فهو عالم يعتمد التجربة التي تتعدى حدود الذات مما سيعيق إحاطة العقل في صوره ومقولاته بالوجود الواقعي الحركي؛ وهذا إن دل فسيدل على أنّ الصور العقلية لا يمكن أن ترقى إلى مستوى الصور الواقعية، لأنّ الصور التي تصدر عن الواقع لابد أن تكون أكثر كمالا وتنوعا من تلك التي تصدر عن العقل.

هذه الصورة السريعة التي قدمها البحث عن المثالية والواقعية تبعث على التمييز بين الفلسفة الواقعية والفلسفة الذرائعية التي اعتمدت الواقع في دعاواها؛ كما اعتمدت التجربة التي وردت في التصور الواقعي، لكن ما تجب الإشارة إليه هو أنّ الفيلسوف الذرائعي أقرب في تصوراته إلى الإنسان العملي والفاعل في حياته الراهنة، وهذا يعني أنّ هذا الفيلسوف لا يرفض الواقع الخام كما أنه لا ينادي برد العالم الخارجي إلى الذات، ولا يختص أيضا باستخلاص نظرة كلية للوجود؛ بل يع نى بمجموع الآثار الناتجة عن الواقع، إنه يختص بالوقائع الجديدة التي يفرزها تأويل الأفكار؛ أو بمعنى آخر يسعى هذا النوع من الفلاسفة إلى الوقوع على المفيد من خلال السعي في إثر الوسائل أو الذرائع التي تكفل التوافق بين الواقع وبين معتقداته ليحاول بذلك قدر المستطا ع الحفاظ على الوضع القائم ولو مؤقتا بغرض استعماله.

قد يعثر الباحث في كتابات **بورس** على بعض الألفة مع المثالية يعكسه حضور بعض الفلاسفة المثاليين من أمثال **بركلي**، و**كانط**، و **هيجل**، وهذا ما دفع البحث إلى الاتجاه نحو دعاوى هؤلاء الفلاسفة في محاولة منه لمجاراة نقد **بورس** لتصوراتهم والإحاطة بها.

1.5.1-مثـــــالـــية "بـــــركـــــلي":

إنّ المعرفة عند **بركلي** حسية ومعنى ذلك أنّ مثاليته لا تؤمن إلا بالحواس بوصفها وسيلة للمعرفة وهي بذلك تخالف جميع المثاليات العقلية التي اتفقت على أن تسند إلى العقل دورا رئيسا في تنظيم الآثار الح سية؛ بل إنها تخالف أيضا التيار الذي ينتمي إليه في الفلسفة الإنجليزية والذي بدأ ب"**لوك**" وتوسطه **هيوم** وانتهى بـ **بركلي** نفسه، فإذا كان **لوك** يفرق بين الإدراك الحسي والتأمل العقلي، فإنّ **هيوم** قد فرق بين الانطباعات الحسية والأفكار، ويبدو أنّ هذا الفصل بين الأفكار والإحساسات لم يكن في صالح العقل لأنّ **هيوم** لم ينظر إلى الأفكار إلا على أنها مجرد آثار حسية باهتة.

إنّ وجود الأشياء يقتصر على إدراكها الحسي في تصور **بركلي**؛ إذ لا يمكن أن يدرك من العالم أو الكون إلا ما يمكن أن تدركه الحواس، وهذا قول يحيل من دون شك إلى القول بأ نّ الإنسان لا يمكن أن يعرف من الأشياء إلاّ ما تدركه حواسه منها، وهذا ما يتضمن قولا بانتقال غير مبرر من المعرفة إلى الوجود، كما يتضمن إهمالا لفاعلية الفكر واقتصارا مقصودا على الإدراك الحسي لأنّ **بركلي** كان يعتقد بعدم إمكان ارتقاء العقل إلى إحكام السيطرة على ا لكون أو على الوجود عموما؛ لأنه يمثل عنصرا فرديا متناهيا، فأن تجعل للتفكير العقلي دورا أساسا في إدراك العالم يعني أنك تفتح المجال للتفكير الحر الذي كان "**بركلي**" يرفضه كونه مجالا يرفع الفرد إلى درجات لا تلائمه، لأنّ هذا الفرد يجب ألا يتعدى ميدان الحس الذي يشعره بسلبيته وقصوره على خلاف مجال العقل الذي تتأكد فيه ذاتيته؛ ففي مجال الحس يكون المرء أمام المعطيات ولا يحتاج إلى الارتقاء، لأنه رغم كل شيء يبقى غير قادر على احتواء الوجود.

لقد ذكر **بركلي** في كتابة "**محاولات في نظرية الإبصار الجديدة**"[1] أنّ رؤية الإنسان للمسافة، أو بمعنى آخر رؤيته للأشياء التي تقع على بعد معين منه لا تتوقف على حاسة البصر بل ترتهن بحاسة اللمس؛ لأنّ إدراك الامتداد لا يتم في تصور "**بركلي**" من خلال البصر أو الرؤية وهذا ما ينفي ربط الإدراك بالبصر، وهو ما يؤكد أيضا إلغاء الوجود الخارجي للأشياء وحصر وج ودها في حدود الإدراك الحسي، ثم إنّ مثل هذا القول ليعبر عن بداية توجه انتقاه **بركلي** واعتمده لاحقا بعدما عبّر عنه بصورة واضحة في "**رسالة مبادئ المعرفة البشرية**" التي قدم فيها مذهبه الفلسفي بصورة كاملة وعرضه عرضا واضحا؛ بحيث أرجع في هذا الكتاب جميع صفات المادة إ لى الصور وجعل من وجود الأشياء وجودا قائما على الإدراك، وهذا هو المبدأ الجديد الذي وضعه وعرف بالمذهب اللامادي، وهو مبدأ فحواه أنّ التفكير لا يتعلق بالصور الكلية، بل يعنى بالصور الجزئية الخاصة بشيء معين دون سواه أو بحس معين، وفي هذا المبدأ يلمح عداء بين الأفـكار الكلية وانحياز تام إلى النزعة الاسمية قد يفسر بأنه نتيجة لرفض فكرة الجوهر المادي التي كرّس **بركلي** كل جهوده لنفيها.

[1] G. Berkeley, Essai pour une nouvelle Théorie de la vision, Pr. L. Dechery, in. Œuvres I, sous.dir.G.Brykman,.D. Berlioz-Letellier et al., Paris, éd. P.U. F, 1985.

يرى الفلاسفة الماديون أنّ هناك جوهرا ماديا قائما خارج الذهن يسمى المادة وهو يختلف عن مجموعة الإحساسات الذاتية التي تستطيع حواسنا إدراك ها من الأشياء زمن إدراكنا لها لكن **بركلي** يعتقد أنّ ما يسميه هؤلاء الماديون مادة ليس إلا هذه الإحساسات، وأنه لا يمكن أن يكون من شيء تقوم عليه هذه الأخيرة، وفي "**المحاورات**"[1] التي كتبها **بركلي** على شاكلة المحاورات الأفلاطونية قد يكون قصد المنهج قصدا غير مباشر، لأ نه كان يتوخى رسم منهج في العلوم يجعلها أكثر يسرا واختزالا؛ لكن ليس منهجا على شاكلة المنهج الديكارتي الذي يتضمن قواعد تفصيلية، وإنما هو حل أو سبيل ييسر للباحث تناول العلوم بالدراسة ويخفف من درجة التعقيد التي تعتورها، والسبب في هذا التوجه هو أنّ **بركلي** كان يرى أنّ المادة تنحل في نهاية صيرورتها إلى مجموعة من الإحساسات الذاتية؛ كما كان يعتقد تبعا لذلك أنّ القول بوجود جوهر مادي تقوم عليه الإحساسات ضرب من الخطل؛ إذ لا وجود لمثل هذا الجوهر، وهذا ما سيجعل العلوم يسيرة كونها ستتعامل مع ظواهر معطاة ولن يبقى ثمة بحث في المسائل الغيبية ، لأنّ مثل هذه المسائل لا طائل منه، والبحث فيها أمر مضني؛ ثم إنها السبب في تعقيد العلوم لذلك فإنّ التخلص منها سيمنح العلوم وجها آخر أكثر يسرا وانتفاعا وسيوفر على العلماء جهودا يمكن أن يبدل في مواضع أخرى، ولعل هذا الرأي كان أحد المسائل التي جعلت **بورس** ينجذب نحو مثالية **بركلي** ولا يتضايق منها.

لقد ذكر **بركلي** على لسان **فيلونيوس**[2] أنّ المادة مجموعة من الكيفيات المحسوسة التي يتوقف وجودها على إدراك الحواس لها، والتي لا يرتهن وجودها بالخارج؛ بل إنه قائم في الأفراد حيث قال:" سل البستاني لم يعتقد بوجو د شجرة الكرز في الحديقة فسينبئك بأنه يعتقد بوجودها لأنه يراها ويلمسها، إنه يدركها بحواسه، ثم سله عن سبب اعتقاده بعدم وجود شجرة البرتقال في البستان، فسيرجع اعتقاده إلى عدم إدراك حواسه لها "[3]، وبناء عليه فإنّ الشيء الواقعي كما يتصور **بركلي** هو بكل بساطة ما يمكن أن تدركه الحواس.

---

[1] بركلي، المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلونيوس، تر .تق، يحي هويدي، القاهرة، دار الثقافة، 1976.

[2] "**هيلاس**" و"**فيلونيوس**" شخصيتان وهميتان اختارهما "**بركلي**" بعناية لغاية محددة، فكلمة "**هيلاس**" اشتقها من اللفظ اليوناني "**هوليه**" الذي يعني الهيولي أو المادة، وبهذا سيكون "**هيلاس**" ممثل المادية، أما "**فيلونيوس**" فهو كلمة اشتقها "**بركلي**" من اللفظ "**فيلوصوفيا**" الذي يعني محبة الحكمة، ليكون "**فيلونيوس**" ممثل "**بركلي**" أو المذهب اللامادي الذي يعتقد "**بركلي**" أنه خير ما يمكن الاستعانة به للوقوف في وجه الشكاك والملحدين.

[3] بركلي، المحاورات الثلاث، م.س، ص.145.

عرض **بركلي** في "المحاورة الأولى"[1] خصائص المادة الثانوية (الحرارة، البرودة الصوت، الطعم، اللون) وكذا الخصائص الأولية (الامتداد، المرونة، الشكل، الحركة) ليقرر أنها كيفيات لا تتعدى حدود الإحساس باللذة أو بالألم، وقد استغرق هذا العرض مجمل المحاورة الأولى، ولكي ينفي أي مبرر لوجود جوهر مادي يكون مقوما للكيفيات، تابع في المحاورتين الثانية والثالثة جميع الأقوال التي جاء بها الماديون ممثلة على لسان **هيلاس** ممثل المادية في المحاورات، ثم فندها جميعا على لسان **فيلونيوس** الذي يمثل الاتجاه الذي يتبناه وانتهى إلى أنّ المادة لا يمكن أن تكون أنموذجا تقاس عليه الأفكار البشرية لأنها ثابتة على خلاف الأفكار البشرية التي تتسم بالفاعلية والسيرورة؛ فتتطور تطورا مستمرا من مرحلة بدء إلى مرحلة وصول مؤقتة وذلك ما يجعل المادة أبعد من أن تكون أنموذجا لها؛ لأنّ الفاعل والثابت لا يمكن أن يتلاءما؛ وعلى هذا الأساس فإن المادة ليست إلا مجموعة من إحساسات وانفعالات ذاتية، أما الموضوع الحقيقي للمعرفة فليس شيئا خارجيا؛ بل هو هذه الإحساسات لأنّ وجود الشيء يعني إدراكه، لكن هل هذا يعني أنّ الوجود الواقعي المادي للأشياء ليس إلا وهما؟

قد يبدو لأول وهلة أنّ مبدأ **بركلي** الذي فحواه أنّ الوجود إدراك يعني إلغاء الوجود الواقعي المادي للأشياء أو نفيه وإنكاره، لكن **بركلي** لم يقصد مطلقا إلغاء هذا النوع من الوجود ولم يشك به إطلاقا، لكن ما يبعث على هذا الاعتقاد هو أنّ الذات بدت خالقة لوجود الموضوع مع أنها لا تختص لدى **بركلي** بخلق وجود الموضوع لأنه يمثل معطى من معطياتها؛ وهي لا تملك إلا أن تدركه لأنّ التمنع عن إدراكه أمر غير وارد البتة حتى لو رغبت الذات بذلك؛ إذ لا مناص لها من إدراك المعطى الذي بين يديها لأنها منفعلة بما يقدمه أمامها الخالق من شتى الموضوعات؛ فالقوة الفاعلة في عملية الإدراك هي الخالق وليست المادة، لأنّ الخالق وحده يملك أمر بسط هذه الأشياء المادية أمام الإدراك؛ كما يملك أمر منع إدراكها، فهل هذا يعني قولا بالمثالية؟

المثالية هي المذهب الذي يرجع الوجود إلى الفكر، ويلغي المادة لحساب الذات، وقد انتقد "**بركلي**" وجود الجوهر المادي ليربط وجود الأشياء بالإدراك، ثم إنه نظر إلى كيفيات المادة على أنها تأثرات ذاتية، وكل هذا يوحي بأنه ينزع نحو المثالية، لكن إمعان النظر في فلسفته

[1] بركلي، المحاورات الثلاث، م.س، صص.25-94.

قد يفضي إلى العثور على نقد للجوهر المادي بدون إقصاء لوجود المادة؛ بل ه و استدعاء للذات أو استحضارها في عملية الإدراك، مع العلم أنّ هذه الذات لا تخلع رداء الوجود عن الأشياء بل تجدها معطاة، وهي مجبرة على إدراكها كما وجدت.

تبدو اللامادية إذن أشبه بمذهب روحي حيث إنّ **بركلي** قد نظر للمادة نظرة روحية حولت الأشياء المادية إلى صور م دركة حاضرة أمام الذات على نحو تعكس معه وجود الخالق وتكشف عنايته الدائمة بالخلق، لكن هذا لا ينفي مسؤولية **بركلي** عن النظر إلى مذهبه على أنه مذهب مثالي؛ لأنّ اهتمامه بالمعرفة الحسية على حساب المعرفة العقلية في الإدراك أحال الشيء المدرك إلى مجرد تأثرات ذاتية، وترك القراء في شك من أقواله في واقعية الأشياء، ثم إنّ اعترافه بواقعية الأشياء قد يتضمن بعض التحفظ حول صدق مبدئه القائل بأن الإدراك ذاتي في كليته، لأنه ذكر أنّ الأشياء معطاة يلتقي بها المدرك لحظة الإدراك، وهذا يعني أنّ الإدراك ليس ذاتيا بمجمله.

إنّ ما قصده **بركلي** من ربطه الوجود بالإدراك، هو أنّ الحكم بوجود شيء معين هو حكم بإدراكه، فلا معنى لقولنا بوجود شيء ما إن لم يكن هذا الشيء قابلا للإدراك، وهذا يعني أن غاية **بركلي** كانت تقرير علاقة بين الذات والشيء تكون علاقة حضور أو عدم غياب للذات في اللحظة التي تقرر فيها أنّ ثمة شيئا ما موجود.

لم يتضايق **بورس** للوهلة الأولى من مثالية **بركلي** بل إنه على النقيض من ذلك ذكر أنه "قد اتبع النظرية غير المصاغة للأسقف"[1]، في صوغ نظرية العلامات، وبما أنّ "من المستحيل أن يكون ما نفكر فيه ذو طبيعة مغايرة للفكر ذاته، لأ ن الفكر المفكر وموضوع الفكر المباشر هما شيء واحد ينظر إليه من زوايا مختلفة "[2] فإنّ **بركلي** على حق –كما ذكر **بورس**– حينما تصرف كشخص يرى أن المرء لا يمكن أن يعرف شيئا خارجا عن فكره، وبناء عليه فإنّ اللامادية ليست لا واقعية؛ إذ إن كل واقعية تتضمن إلى حد معين مثالي ة ظاهراتية "فحينما أقول أبيض لن أذهب أبعد من "**بركلي**" للقول أنني أفكر في شخص بصدد الرؤية أو المشاهدة، بل أقول أن ما أفكر فيه هو من طبيعة المعرفة ذاتها "[3]، لكن رغم ذلك فإنّ **بركلي** قد أخطأ حسب تصور **بورس**، لكن في أي موضع؟

---

[1] CP (6.481).
[2] CP (6.339).
[3] CP (5.385).

لقد لجأ **بركلي** إلى مبدأ اللزوم أو الضرورة في صوغ نظرية الإبصار، حيث قال "بضرورة اقتضاء كل فكرة لأخرى، وبضرورة تفسير لزوم الأشياء المعقولة عن الأشياء المرئية، وتفسير كيفية استحضار الأشياء الغائبة والمستقبلية "[1]، وهذا يعني أنّ الفكر في تصوره يتعلق بحضور الذات أو على الأقل باستحضارها.

رفض **بورس** فكرة استحضار الذات رفضا تاما، وصرّح عن موقفه المعاند إزاءها من خلل صوغه مثلا تساءل فيه عن مدى صحة القول بوجود علاقة بين الوجود والحضور، وقد جاء سؤاله طرفا نقيضا لفكرة **بركلي**؛ إذ سأل: هل يمكن للحصان أن يتوقف عن الوجود كلما توقفت مشاهدته؟

يتبين أن **بورس**" لا يرى في الحضور ما يمت بصلة للواقع؛ بل إنّ الوجود يرتهن بالاستمرار، فالحصان إن وجد في الواقع سيستمر وجوده سواء كان ذلك برفقة المشاهدين أو بدون رفقتهم"[2]، وهذا يعني أنّ الوجود يكفله الاستمرار، ولما كان الوجود مستمرا كان الفكر أيضا مستمرا لأنّ كلا منهما يتعلق بالآخر.

لا يتوافق استحضار الذات مع السيرورة الدالة، وهذا يجعل من اسمية **بركلي** تبدو غير مستمرة وغير ملائمة لها، فهذه السيرورة تحكم العلامات، وهي فاعلة على الدوام ولا تفتر إلا حينما يقضي المنطق توقفها مؤقتا، وبناء على ذلك فإنّ توجه **بركلي** لا يلاءم تصورات **بورس** التي تعلي من شأو الاستمرارية والتطور كونها تمثل دور المحرك أو الوسيط في الفكر؛ لأن الإدراك ارتبط لدى **بركلي** بالحواس فقط؛ فالموجود هو الواقعي الذي ليس إلا معطى نحكم على وجوده بالإدراك الحسي؛ لكن هل الموجود هو ما ندركه فقط بالحواس؟ هل يصح أن يقال عن شيء ما أنه موجود فقط عندما يدرك بالحواس؟ ثم كيف يمكن أن نعتقد بوجود أفكار لا يمكن أن تدرك بالحواس؟

على الرغم من أنّ **بركلي** كان يعتمد المبدأ الذي الذي يستند إليه **بورس**، وهو المبدأ الذي يربط بين الأفكار والعلامات فيجعل العلامات حاملة للفكر ودالة عليه، كما ي جعل التواصل حكرا عليها[3]، إلا أنّ **بورس** لم يجد في توجهه ما يقنعه، لأنّ **بركلي** قد حصر الوجود في

[1] G. Berkeley, Œuvres II, sous dir. G. Brykman, Paris, éd. Puf, 1987, p.228.
[2] CP (1.36), (1.37), (1.39).

[3] G. Berkeley, Œuvres III, sous dir. G. Brykman, Alciphron ou le petit philosophe, tr.S. Bernas, Paris, éd. Puf, 1992, pp.334-335.

حدود الإدراك الحسي مجسدا في القول باستحضار الذات وجوبا، ثم إنّ ربطه بين الوجود والمباشرة لم يتجاوز حدود الإدراك الحسي.

إنّ مفهوم المباشرة عند **بركلي** يحمل معنى وحيدا هو الحضور الفعلي أو المجسد الذي يمكن إدراكه، لكن المباشرة قد تتخذ معاني مغايرة في تصورات أخرى؛ ففي المثالية الألمانية تتجلى المباشرة بوصفها إحدى سمات مقولة الوجود في البناء المقولي كما تصوره **هيجل** الذي يعد منطقه ثلاثي الجوهر، كونه يضم ثلاثة دوائر مقولية تبدو للوهلة الأولى شبيهة بالمقولات الظاهراتية كما يتصورها **بورس**؛ فهل هذا يعني أن ثمة علاقة بين تصورات كل من **هيجل** و **بورس** المنطقية؟ ومن ثم هل وجد **بورس** في المنطق الهيجلي ما يمكن استثماره؟

2.5.1-مـــــنـــــطق "هيـــــجل":

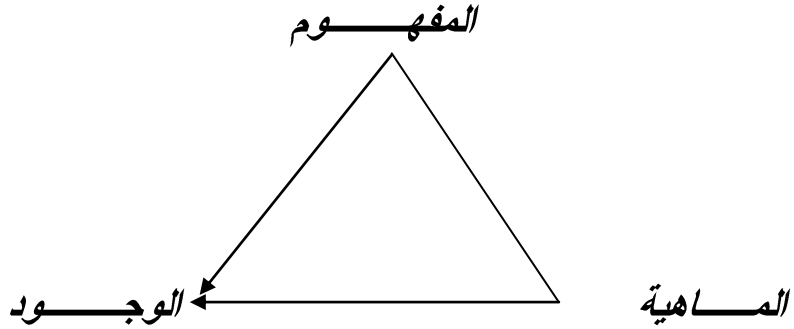
تمثل المقولات نسق العقل، ومن ماهية العقل أن تكون العملية كلها ضرورية ولا يمكن أن تكون مصادفة أو اصطلاحا، فهي لا تبدأ تبعا للاصطلاح أو الصدفة ولا تنتهي تبعا لهما؛ وإنما تسير بمقتضى العقل ومبادئه ولا يمكن أن تتغير تبعا للأهواء الفردية، لأن الطابع الجوهري للعقل هو الضرورة؛ فالمقولات تحددها طبيعة ال عقل، وهذا يعني أنها لا تخلق أو تبدع بل هي موجودة، لكنها كامنة والقول باستنباطها ليس في واقع الأمر إلا محاولة للكشف عنها.

إنّ سلسلة المقولات التي يعرضها المنطق خام، لا دخل لأحد فيها، إنها بمعنى آخر عقل المطلق الذي ليس استنباطه إلا محاولة للكشف عنه، وهذا يعني أنّ محاولة استنباط المقولات هو في الواقع محاولة لسبر غور العقل بغية تحصيل فهم أفضل لطبيعة نسقه وتسلسله وترابطه.

يعتقد **هيجل** أنّ المقولات "**ذاتية وموضوعية**"[1]، وبذلك فهي أيضا "ميتافيزيقية أو أنطولوجية"[2]، ومادام المنطق علما للعقل البشري؛ فهو منطق بالمعنى المألوف للكلمة، وهو تبعا لذلك يتألف من ثلاثة مراتب من المقولات تشكل مثلثا، وهذه المراتب هي مرتبة الوجود(**Etre**)،ومرتبة الماهية(**Essence**)،ومرتبة المفهوم أو الفكرة الشاملة(**Concept**).

---

[1] G. W. F. Hegel, Science de La Logique, T1, Livre 1, tr. P.J. La barrière et G. Jarczyk, Paris, éd. Aubier Montaigne, 1972, p.33.
[2] Ibid., p.37.



-مثلث المـــقولات الهيـجلية-

لقد أراد **هيجل** للمقولة الأولى أن تكون مقولة المباشرة، وهي تتضمن مقولات تحتية تبدو كل واحدة منها كما لو كانت تصورا قائما بذاته دو ن أن يشير صراحة إلى أي مقولة أخرى أو يرتبط بها[1]، وإذا كانت تصورات مثل الموجب والسالب متضايفة كونها تشير كل منها إلى الأخرى، فإن الوجود لا يشير صراحة إلى العدم، وبالنسبة للموجب والسالب فإنّ كلا منهما يتضمن الآخر، أما الوجود فيبدو في ظاهره غير متضمن للعدم لأ نه يقوم مستقلا بذاته عن غيره، وكذلك هو الحال بالنسبة للكم والكيف ؛ اللتين تكون كل منهما هي ما هي عليه بمعزل عن الأخرى فلا تتوسط إحداهما الأخرى، وذلك ما جعل **هيجل** ينعتها بالمقولات المباشرة.

قد يكشف فحص المقولات كما يتصورها "**هيجل**" وجود ترابط يجمعها، فالموجو د يتضمن العدم، والكيف والكم يتضمن أحدهما الآخر، لكن هذا لا يعني البتة وجود توسط، بل إنه يعني الاستنباط، لأن هذا الأخير يختص بكسر أواصر الاكتفاء الذاتي الذي تدعيه كل مقولة ويبين أنه بالرغم من كونها تدعي الاستقلال، فإنها في الواقع مستحيلة بدون المقولات الأخر ى، لكن الادعاء بالاستقلال هو الذي يضمن مباشرة المقولة في هذا الضرب الأول من المقولات؛ فارتباط المقولات ولزومها المنطقي ليس صريحا على نحو ماهو عليه في الموجب والسالب ولكنه ارتباط ضمني يهدف الاستنباط إلى كشفه وإظهاره؛ بحيث يصبح هذا الكمون صراحة فالعدم والوجو د والصيرورة والكيف والكم كلها مقولات غير مترابطة في الظاهر وهذا الانفصال الظاهري هو الذي يجعلها مقولات مباشرة.

[1] G.W.F. Hegel, Encyclopédie des Sciences Philosophique en abrégé, tr. Maurice de Gandillac, établi. F. Nicolin et O. Poggeler, Paris, éd. Gallimard, 1970, pp.142-159.

إذا كانت مرتبة الوجود تمثل المباشرة فإنّ الماهية هي "مرتبة اللامباشرة أو التوسط "[1] وقد سميت هذه المرتبة كذلك لأن التوسط الذي تكتنفه يتجلى فيه ا صريحا وواضحا على خلاف التوسط الضمني الذي تجسده المرتبة الأولى.

تشكل مقولات الماهية ثنائيات [2]، منها السبب والنتيجة، الفعل ورد الفعل، الجوهر والعرض، الهوية والتنوع، الموجب والسالب، وكل مقولة من المقولتين تحيل صراحة إلى الأخرى وتكشف عن المقولة المتضايفة معها، لأنّ كلا منها تتوسط الأخرى.

يبدو أن مقولات الوجود تشغل جوانب من نسق معيّن؛ فارتباطها بغيرها كان ضمنيا مستترا، أما مقولات الماهية فترتبط معا ارتباطا واضحا، وتسمى هذه المقولات بمقولات الماهية لأننا نجد في كل زوج من مقولاتها أنّ المقولة الأولى تشكل م اهية الأخرى أو أساسها؛ بحيث تصبح الأولى أساسا وتصبح الثانية ظاهرا، وهكذا نجد الجوهر حاملا لأعراضه، والسبب أساسا للنتيجة ويتجلى فيها، أما الهوية فتمثل المحور الباطني للحقيقة التي تظهر في التنوع والكثرة.

أما عن الفكرة الشاملة أو مقولة المفهوم فإنها تمثل م قولة التوسط، ومقولاتها تتوسط كل منها الأخرى، وتشير إليها صراحة وهنا يكمن جانب التوسط فيها، لكن سرعان ما تنصهر هذه المقولات في وحدة ليختفي التمايز الذي ما لبث أن يظهر حتى اختفى، وبهذا فإن الوجود في تصور **هيجل** هو المباشرة، والماهية هي التوسط، أما المفهوم فهو الفكرة الشاملة التي توحد المباشرة والتوسط.

لقد صرح **بورس** "ببعث **هيجل** في ثوب غريب "[3] بعد أن استعار منه فكرة الوعي بتعدد المقولات، وانتهى إلى الحكم على النسق الهيجلي بالخطأ [4]، كما أنه ذكر أن **هيجل** "قد بنا صرحا رائعا لكنه صرح غير صالح للسكن مثل صرح **شلينج**"[5]، وفي قوله هذا حكم على النسق الهيجلي بالفشل؛ لأن **هيجل** أخطأ حينما لجأ إلى صهر المقولتين الأولى والثانية في الثالثة[6] على الرغم من أنه تمكن فعلا من إبراز القدرة التقريرية للعقلانية والذكاء، وهنا تتضح واقعية "**بورس**" وتتأكد في اللاتحديد وعدم اختزال؛ حيث إنّه يرفض اخت زال الثلاثية

---

[1] Ibid, § 112, p.160.
[2] Ibid. , pp.160-187.
[3] CP (1.40), (1.41).
[4] CP (5.38).
[5] CP (1.1).
[6] CP (5.80).

إلى وحدة، لأنه يرى أن " تطور الفكر ليس تطورا لعقلانية معينة "[1]؛ بل يجب أن يتخذ سبيلا أكثر مرونة من السبيل الذي رسمه **هيجل**.

صحيح أن هناك بعض التشابه بين المقولات الظاهراتية كما تصورها **بورس** وبين لحظات الفكر عند **هيجل**، لكن هذا لا يعني البتة أن ثمة توافق بينهما؛ إذ صرح **بورس** مرارا على معارضته **لهيجل** وعلى نفوره منه؛ بل وعلى اتخاذه ندا له [2]، حيث ذكر أنه "يعارض منهج **هيجل** وسيعتمد بالمقابل منهجا يناقضه في العمق "[3]، وسبب معارضته لهذا المنهج كان قيامه على الإجراء الجدلي الذي لا يمكن أن يرتقي إلى خدمة المنطق الاستدلالي، ولا يمكن أن يقدم تفسيرا للسيرورة الدالة، ولم يتوقف **بورس** عند هذا الحد بل نعت **هيجل** بالجاهل بالرياضيات؛ لأنه اضطر إلى مجاراة الإجراء الجدلي، أما عن الثلاثية التي كانت المزية الهامة التي يمكن أن تعزى لنسق **هيجل** كما يتصور **بورس**، فإنها على الرغم من ذلك لم تنج من آثار الفشل الهيجلية لأنها ما لبثت أن صهرت ووحدت في فكرة واحدة وشاملة ليتحول المثلث إلى نقطة واحدة.

لقد كانت فلسفة **هيجل** في مجملها مثالية مطلقة، لذلك بني منطقها على أساس يحافظ على المثالية أو بالأحرى على البناء المثالي للوجود، لأن واجب المعرفة الفلسفية هو التعامل مع الشيء المتواجد في الظواهر بغية التعرف على عقلانية الواقع الذي يؤدي إلى التعرف على واقع العقلانية، وبهذا فقط يمكن أن تسمو الروح الإنسانية إلى معرفة المطلق، مما يعني أن فلسفة **هيجل** تتجاهل الواقع فمادتها كانت الفكرة المطلقة، وقد أخذ **بورس** على **هيجل** تجاهله للعالم الواقعي وإهماله للوجود كما تجسده مقولة **الثانيانية**، كما أخذ عليه الخروج عن المعاني التي أسندها المدرسيون للحدود[4]؛ حيث إن **هيجل** كما يتصور **بورس** قد التزم بمسايرة المنهج المدرسي في ضبط الحدود؛ لكنه لم يحافظ على المعاني التي وضعت لها مما جعلها غامضة.

لقد كان **هيجل** يجسد صورة الفيلسوف السيئ في تصور **بورس**، لأنه لم يتمكن من تأسيس نسق مقولي متكامل؛ فمقولاته الثلاث كانت تتوحد ضمن إطار ما سماه الفكرة الشاملة، وتوحدها كان ضرورة اقتضتها مجاراة المطلق الذي يعد المادة العليا للفلسفة المثالية؛

---

[1] CP (5.92).
[2] C.S.Peirce, Le Raisonnement et La Logique des Choses, op.cit ; p.173.
[3] CP (1.368)
[4] C.S.Peirce, Le Raisonnement et La Logique des Choses, op.cit ; pp.296-297.

لكن فكرة اختزال المتعدد في وحدة لم تكن من صنيع **هيجل**؛ إذ تتجلى في تصورات **كانط** الذي يعد أحد مرتكزات **بورس** في المنطق، ومن ثم كان لزاما على البحث أن يعرّج على منطق **كانط** في محاولة للتقرب من سيميائيات **بورس** وفهمها.

3.5.1-كـــــانط، المنطـــــق، والنزعـــــة الخطــاطيــة:

يتميز المسار الفلسفي ل "**كانط**" بمرحلتين اختصت أولاهما بحل المسائل الفلسفية انطلاقا من اقتناع فحواه أن الفلسفة يمكن أن تصاغ بوصفها علما نظريا تأمليا، بعيدا عن اعتماد معطيات التجربة؛ أما المرحلة الثانية فقد تميزت بمحاولة فصل ظواهر الأشياء عن الأشياء كما هي موجودة بذاتها (**Noumènes**)، وقد أكد أن الأشياء في ذاتها لا يمكن أن تعطى من خلل التجربة، وفي هذه المرحلة حاول **كانط** أن يبين استحالة بلوغ معرفة الأشياء في ذاتها وبدا اتجاهه متميزا بعداء وعدم ثقة بكل شيء معطى أو متاح، فقد كان يعكس تخوفا من الفوضى التي تكتسح العالم الخار جي، لذلك كان القول باستحالة معرفة الأشياء في ذاتها محاولة لصوغ العالمين الخارجي والداخلي وتنظيمهما، ولا يكون هذا ممكنا إلا إذا أحكم العقل سيطرته على هذين العالمين، وهذا ما جعل **كانط** ينتقي عبارة نقد العقل لأبحاثه.

1.3.5.1-نقـــــد العقـــــــل:

لقد كان **كانط** يعلم أن إصدار التعاليم من شأنه أن يحد من إمكانيات العقل؛ إذ يجعله عاجزا عن إدراك جواهر الأشياء، ويحصره في حدود معرفة الظواهر، إلا أنه كان يرى أن الحد من قدرة العقل أمر ضروري لتطور العلوم، وبغض النظر عن أن النتائج التي توصل إليها **كانط** في المرحلة الثانية من حياته الفلسفية كانت تنزع نحو اللاهوت، فإن البواعث التي دفعته لنقد العقل كانت قائمة على مرتكزات معرفية تدخل أحيانا في تناقض صريح مع محاولاته للعثور على مصدر الإيمان في مسلمات العقل العملي، وعلى هذا الأساس حاول "**كانط**" الكشف عن مصادر مختلف أشكال المعرفة، كما حاو ل العثور على الأسس التي يستند إليها اليقين المميز للرياضيات والعلوم، بالإضافة إلى محاولة دراسة صور الفكر ومقولاته وعلى هذا الأساس كانت المهمة الأساسية التي وصفها **كانط** نصب عينيه هي نقد العقل ووسائل المعرفة الأخرى.

في المرحلة ما قبل النقدية وقع **كانط** تحت تأثير فلسفتي **ليبنيز** و**وولف** العقلانية، وهذه الفلسفات يرى أصحابها أن العلاقة الواقعية بين السبب وفعله لا تختلف عن العلاقة المنطقية

بين الأساس والنتيجة، وبتأثير **هيوم** عدل **كانط** عن هذه النظرة، ليؤكد أن العلاقة بين السبب وفعله هي علاقة واقعية تجريبية فقط ولا يمكن استنتاجها بطرق منطقية، وهذا سيدل على قصور المنطق في الاستدلال على يقين معطيات العلوم الطبيعية.

على الرغم من نقد **كانط** للعقلانية إلا أنه احتفظ منها بالاعتقاد بأن العلوم المركبة لا يمكن أن تنبع من التجربة، لأن التجربة ناقصة ولا يمكن أن تقدم الأساس للشروع في مثل هذه التعميمات، كما أن العقل لا يمكن أن يكون مصدرا لهذه العلوم، ومع ذلك يرى "**كانط**" أن المعرفة موجودة فعلا، ومصدرها هو الحساسية(**Sensibilité**) والعقل، وهو مصدر خام سابق عن التجربة آثر تسميته بالقبلي(**Apriori**).

إنّ القبلي عند **كانط** مستمد من العقل مباشر، وهو "يتحدد بوصفه مستقلا عن التجربة فالأوامر تؤخذ من العقل، ومن النا حية النقدية يتحدد بوصفه كل ما يس بق التجربة منطقيا ويستقل عنها "[1]، وهذا يعني أن الحكم القبلي يأتي في مقابل البعدي الذي مصدره التجربة ومثال الحكم البعدي القول بأن هذا الجسم ثقيل وهو قول لا يصدق إلا إذا أثبت تجريبيا، أما الحكم القبلي؛ فهو حكم أولي وصحته لا تتوقف على التجربة ومثاله القول أن كل مثلث له ثلاث زوايا، وهذا يعني أن القبلي والبعدي لا صلة بينهما لأن "**كانط**" قد أضفى على مذهبه النقدي معنى جديدا باستعماله كلمتي قبلي وبعدي، فالمعرفة القبلية هي معرفة بالسبب أو العلة، أما المعرفة البعدية فهي معرفة بالنتيجة، وقد قال بهذا من قبل "**أرسطو**"، وأخذه عنه الفلاسفة المسلمون وكذلك "**ديكارت**" و"**سبينوزا**"، وقد أراد "**كانط**" بكلمة القبلي الإشارة إلى "نشأة المبادئ والمعارف التي لا تستمد من التجربة، وصدورها عن العقل"[2]، وفي ضوء ذلك فإنّ القبلي هو تلك الأفعال التي يأمر بها العقل بعيدا عن أي اعتبارات تجريبية، مع العلم أن التجربة في التصور الكانطي تعني الإمكان العقلي لأن "**كانط**" يبحث في ماهو ممكن من الناحية العقلية.

لقد كان السؤال الذي انطلق منه **كانط** ليؤسس نقده للعقل متضمنا في مؤلفه "**نقد العقل الخالص**" [2] هو عن إمكان عثور المرء على معرفة قبلية تسبق كل التجارب وتترفع عن جميع الإحساسات، وقد كان يعني **كانط** بنقد العقل فحص قدرة هذا الأخير على إصدار أحكام يقينية

---

[1] R. Eisler, Kant-Lexicon, étab. A-d. Balémes et P.Osmo, Paris, éd. Gallimard, 1994, pp.48-49.

[2] كانط، أسس ميتافيزيقا الأخلاق، تر .عبد الغفار مكاوي، مر.عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1985، ص.05.

[2]E. Kant, Critique de La Raison Pure, tr. J. Barni, corr.P. Archambault, Paris, éd. Ernest Flammarion, T1-T2, 1934.

في العلم، كما كان يحاول تبيان الشروط التي تتيح إمكان استخدام هذه القدرة؛ أو بمعنى آخر فقد أراد " أن يرى في طبيعة العقل التي فطر عليها ما يمكنه من الوصول إلى المعرفة دون اعتماده على ما تأتي به الحواس من العالم الخارجي "[1]، وهذا يعني أن "**كانط**" لم يستشعر تبرما إزاء العقل لأنه لم يشك أبدا في قدرته.

لم يكن "**كانط**" شاكا، فهو لم يشك في العقل لأنه يؤمن بأن العلم موجود في أمور ملموسة كوجود الواجب، وأحكامه قائمة لا شك فيها، إلا أن هذا لا يعني أن أحكام العلم ظاهرة في التجربة بل يعني أن التجربة ذاتها تخضع لقوانين العلم وأحكامه [2]، فالتجربة محدودة ولهذا كانت أحكام العلم سابقة عليها، أو بتعبير آخر فإن أحكام العلم قبلية، وتبعا لذلك فإن النقد الكانطي هو بيان إمكان المعرفة القبلية وشروطها.

يرى "**كانط**" أن واقع المعرفة هو وجود تصورات قبلية تتسم بالضرورة والشمول، إلا أن المعرفة القبلية تبدو "كالسراب الذي يحسبه الفيلسوف الظمآن مادة معرفية موضوعية يمكن القبض عليها، ولكنه إذا أعمل آلة النقد فيها اقتنع بأنها ضرب من المحال الذي يتسرب كالماء من خلال قبضة اليد"[3]، فالقبلي أفعال أمر بها العقل بعيدا عن أي اعتبارات تجريبية مستمدة من الطبيعة الإنسانية.

ترتبط القبلية عند "**كانط**" بالاتجاه النهائي لنظرته للعالم، مما يعني أنها مرتبطة باتجاه فردي يعكس بوضوح إيمانه باستحالة بلوغ اليقين المطلق دون تخطي ماهو معطى، لأن العالم الخارجي لا يعد بالانتظام، أما عن مسألة تخطي المعطيات فإنها لا تتم في تصور "**كانط**" إلا بفضل مبادئ ذاتية بالضرورة، لكن الذاتية الكانطية ليست تجريبية أو نفسية[4]؛ بل هي صورية، وهذا يعني أن المبادئ ذاتها هي التي يجب أن تعطي صورة عن مساعينا الذاتية وعن واقع أن المعطى يخضع لمساعينا.

بناء على ما سبق يتضح أن "**كانط**" يقول بوجود ملكة تقدم معرفة تقع بين المعرفة المنطقية والمعرفة التجريبية هي العقل القادر على الوصول إلى الشروط الأولية للمعرفة، والشروط

---

[1] ول ديورانت، قصة الفلسفة، من أفلاطون إلى جون ديوي، تر .فتح الله محمد المشعشع، بيروت، مكتبة المعارف، بدون تاريخ نشر، ص.333.

[2] قال "**نيوتن**" بخضوع التجربة لقوانين العلم وأحكامه.

[3] أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة، م.س، ص.107.

[4] هنا موقع خلاف "**كانط**" مع "**هيوم**" الذي وإن اتفق مع "**كانط**" على أن المعرفة تقتضي مبادئ ذاتية لتخطي المعطى، إلا أنه يرى تلك المبادئ هي مبادئ تداع نفسية تتعلق بالتصورات الخاصة.

الأولية تمثل عنده شروطا اكتسبها العقل من فاعليته الذاتية ولكنها تجعل التجربة الحسية ممكنة، وقد سمى "**كانط**" هذه المبادئ الأولية ترنسندتالية (**Transcendantales**)، وتبعا لذلك فإن العقل يجب أن يقترب من الطبيعة ليحكم سيطرته عليها من خلال الأحكام التي يصدرها.

2.3.5.1-نظريـــــة المعرفـــــة:

رأى "**كانط**" أن "معرفة الفاهمة لذاتها هي موضوع المنطق، لأن السؤال في المنطق هو كيف تتعرف الفاهمة على ذاتها"[1]، ولما كانت المعرفة تروم التماس الحقيقة التي تتعدى كونها غاية لتصير موضوعا للمنطق تنبه "**كانط**" إلى أنّ "إشكالية الحقيقة تتضمن مسألة البحث عن معيار يقيني وكلي"[2]، ومن ثم لجأ إلى بحث مسألة الحقيقة انطلاقا من مسألة المعرفة.

تظهر المعرفة في تصور **كانط** على صورة حكم، وقد أكد أن "المفهوم ليس إلا حكما ذو حمولة"[3] ؛ ليصوغ بذلك نظرية حول الأحكام، وهي نظرة تتضمن القول بوجود ضربين من الأحكام هي التحليلية والتركيبية، فأما الأحكام التحليلية فهي تلك التي يكون فيها المحمول متضمنا في الموضوع، ولا تقدم أي معرفة جديدة، وأما الأحكام التركيبية فهي تلك التي يكون فيها المحمول خارجا عن الموضوع، وتقدم معرفة جديدة، وقد سميت الأحكام التحليلية كذلك لإمكان استنتاج العلاقة بين الموضوع والمحمول عن طريق تحليل مفهوم الموضوع، أما الأحكام التركيبية فقد سميت كذلك لعدم إمكان استنتاج تلك العلاقة من خلال تحليل الموضوع.

تنقسم الأحكام التركيبية بدورها إلى أحكام بعدية تنبع فيها العلاقة بين موضوع الحكم ومحموله من التجربة العلمية، وأحكام قبلية تكون فيها العلاقة بين موضوع الحكم ومحموله سابقة على التجربة، وبما أن **كانط** يولي الأهمية للأحكام التركيبية القبلية فقد ركز على محاولة البحث عن إمكانية هذه الأحكام في كل أشكال المعرفة.

3.3.5.1. الصـــــور القبلـــية للفهـــــم:

لما كانت التصورات تعتمد اعتمادا كليا على الأحكام، كان البحث في التصورات بحثا في الأحكام، لكن هذا النوع من البحوث يحتمل ضربين أحدهما منطقي ترنسندنتالي كما يتصوره **كانط** والثاني هو البحث المنطقي كما يتجلى في المنطق الكلاسيكي.

---

[1] E.Kant, Logique, Paris, éd. J. Vrin, 1966, p.33.
[2] Ibid., p.55.
[3] K-M. Angel, Les Racines Philosophiques de La Science Moderne, Bruxelles, éd. Pierre Mardaga, p.08.

إنّ البحث في الأحكام كما عرضها المنطق القديم [1] يختص بصور الأحكام ويغفل جانب التطبيق الواقعي، أما البحث المنطقي الترنسندنتالي فيهتم بالجانب الواقعي للأحكام إلى جانب اهتمامه بصورها، ولعل ذلك ما جعل **بورس** يعجب به ويتبناه؛ فهو بحث في ملكة الفاهمة من حيث أنها ملكة الحكم التي تهتم بالصورة والواقع معا.

تعد آراء **كانط** عن المقولات مثالية؛ لأنّ المقولات كما يتصورها ليست صورا للوجود بل مفاهيم، إنها "التصورات الكلية الأساسية التي يتضمنها العقل المحض، وهي صور قبلية للمعرفة تستنبط من طبيعة الحكم في مختلف صوره وتمثل الجوانب الأساسية للتفكير النظري أو الاستدلالي"[2]، وهذا يعني أن الأحكام التركيبية ممكنة كما يتصور "**كانط**" بفضل المقولات التي تعد صورا تستعين بها الفاهمة في تحليل معطيات الحساسية، ثم إن هذه المقولات لا يمكن أن تتطور، والانتقال من مقولة لأخرى أمر غير ممكن.

قدم **كانط** لوحة مقولات قابلها بلوحة المقولات التي صاغها **أرسطو** لأنه "لطالما أشاد بمنطق أرسطو لكونه لم يغفل لحظة من لحظات الذهن وشمل محتويات المنطق كله، فأضفى عليه هالة من الكمال"[3]، وقد كانت هذه اللوحة رباعية بحسب قسمة الأحكام، التي تصنف إلى كيف وكم وإضافة وجهة، فمن ناحية الكم لدينا الأحكام الكلية والجزئية والفردية، ومن ناحية الكيف لدينا الموجبة والسالبة والمهملة، ومن ناحية الإضافة لدينا الحملية التي تحمل فيها صفة على موصوف، والشرطية المتصلة التي يعلق فيها الحكم على شرط، والشرطية المنفصلة، أما من ناحية الجهة فإنّ الأحكام تنقسم إلى إشكالية تتعلق بالممكن، يقينية موضوعها حقيقي واقعي، وتوكيدية موضوعها ضروري من الناحية العقلية، وفي مقابل لوحة الأحكام توجد لوحة المقولات.

---

[1] تختص الأحكام عند "**أرسطو**" بالأشياء الحسية وبطريقة وجودها أما عند "**كانط**" فهي تتعلق بالمعاني أو الأفكار في الفاهمة، إنها تتعلق بالفكر لا بالوجود.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1-2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982، صص.410-411.

[3] . أحمد يوسف، السيميائيات الكانطية ببين المنطق المتعالي والنزعة التجريبية، ضمن . مجلة. سيميائيات، الجزائر، مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب، ع. 01، خريف.2005، ص.17.

1. الكـــــم

. وحـــــدة

. كـــــثرة

. الوحدة + الكثرة

2 .الكيـــــف

.واقـــــع

.نفـــــــي

.حصـــــــر

3.الإضـــــافـــــة

.ملازمة(ربط الجوهربالعرض)

.سببية وتبعية(ربط العلة بالمعلول)

.اشتراك(الملازمة+السببية)

4 .الجهـــــة

.إمكـــــان–امتنـــــاع

.وجـــــود–لاوجـــــود

.ضـــــرورة–مصادفـــــة

–لوحة المقولات الكانطية، ع.كانط(1988)، ص.88.–

إنّ وظيفة المقولات هي توحيد الظواهر والتأليف بينها بواسطة نوع من التركيب العقلي فعملية التأليف هي عملية عقلية تقوم بها ملكة ا لفاهمة، إنها "مطالعة تستلزمها تلقائية ذهننا لهذا التنوع بطريقة معينة، وربطه وضمه كي يصنع منه معرفة "[1]، والمعرفة تكمن في اتحاد

[1] ع. كانط، نقد العقل المحض، تر. موسى وهبة، بيروت، مركز الإنماء القومي، 1988، ص.88.

الإحساسات بالمفاهيم، وهنا تساءل **كانط** عن كيفية تحول تنوع التأملات الحسية إلى وحدة بواسطة الصور القبلية للفهم؟ وهو سؤال سيستعيره **بورس**[1] لصوغ مقولاته الوجودية.

إن الشرط الأسمى لمثل هذه الوحدة يكمن في الوحدة القبلية لوعي الذات، وهذه الوحدة لا تتعلق بالمحتوى الملموس للتأملات الحسية، ولذا فهي وحدة صورية تستمد ضرورتها من التركيب الفطري للعقل الذي يعد عضوا نشيطا يحول أضرب التجربة الكثيرة و المشوشة إلى وحدة من الفكر المنظم.

4.5.3.1- النزعـــــة الخطاطـــــية:

ذكر **كانط** مصدرين للمعرفة هما ملكة الحساسية التي تستقبل مختلف الآثار الحسية وملكة الفاهمة التي تتيح تصور الأشياء تصورا عقليا تلقائيا، وهذا التصور العقلي لا يتم إلا إذا مرت الفاهمة بالآثار الحسية ووحدت كثرتها، ولكن هذا التأليف من عمل ملكة أخرى هي المخيلة **(Imagination)**، وتقوم هذه المخيلة بوظيفتها على نحو لا نشعر به ولكنها مع ذلك تؤدي دورا فاعلا في التأليف العقلي.

لقد عودنا العقل على أن تحديد الشيء أو الظاهرة يقتضي إلماما بكيفية عمله أو ب معنى أوضح تفسير كيفية اشتغاله، ولما كان **كانط** يتطلع إلى تحديد المخيلة خصها بإسناد وظيفتين أساسيتين سماهما على التوالي استرجاعية **(Reproductrice)**، وإبداعية **(Productive)**؛ فأما الوظيفة الاسترجاعية أو التذكيرية فإنها تستحضر ما مرّ بالحس سلفا فهي تستعيد الإدراكات الحسية السابقة، وأما الوظيفة الإبداعية فإنها تتصل بالعمل الفني، لكن عمل المخيّلة لا يقف على تمييز الوظائف فقط؛ بل إن دورها يكمن في كونها تمثل العنصر المؤلف للإدراكات الحسية التي تظل تصلنا متفرقة من الحس.

يتبين إذا أن ثمة ملكة أخرى تتوسط الحس والفاهمة، وت جمل كل الإحساسات لتقدمها موحدة ومؤتلفة، وهذه الملكة تقوم بعملية التأليف على مرحلتين؛ إذ تستحضر الإدراكات الحسية السابقة عن طريق صور تجريبية حسية، مختلطة بهذه الإحساسات الجزئية المتفرقة وذلك ما يجعل عملها تلقائيا في هذا الطور، ثم ترتقي بعد ذلك لتصبح إبداعي ة تستمد موضوعها من وحدات تخطيطية **(Schèmes)** تعد مقدمة لظهور التصورات التي تختص بها الفاهمة.

[1] .Ch. S. Peirce, CP(2.690).

تختلف الوحدات التخطيطية عن الصور الحسية في كون مادتها قبلية، وقد حدد "**كانط**" الوحدة التخطيطية بوصفها "**الحد الثالث**"[1] الضروري، أو الوسيط الذي يؤمن "عملية الربط بين الفكر المحض وبين الحساسية "[2] بوصفهما عالم ان لا يقبلان الاختزال، وهذا يعني أن مهمة الوحدات التخطيطية هي التأليف، لكن ثمة بعض الغموض في هذا التحديد، لأن التأليف قد يبعث عادة على الاعتقاد بضرورة استحضار عنصر الزمن، وسيتأكد هذا الاعتقاد إذا اتضح أنّ "**كانط**" ذكر أنّ "التأليف تحديد للزمن، وليس الزمن ذاته"[3]، فهو لم يقصد أنّ التأليف هو الزمن بمعناه المألوف، وإنما هو الزمن في حضوره بوصفه عنصرا ثالثا، إنه المعقول كونه قح وشامل، كما أنه أمبيري وحسي؛ لأنه حاضر في كل حدس.

إنّ الزمن في تصور "**كانط**" يتيح تجاوز عالمي الحس والفكر وتلاؤمهما، إنه يمثل عنصر الاشتراك والانسجام، فهل يجب إذن أن تفهم المخيّلة بوصفها مصدرا للزمن؟

أضاف "**كانط**" في تحديده للوحدة الخطاطية مفهومين هما المقولات والتأليف؛ لأنه كان يرى أنهما سيسهما في تيسير فهم هذا التحديد، وقد حاول إثر ذلك تحديد علاقة الوحدات التخطيطية بالمقولات، كما حاول أن يفحص قدرة هذه الوحدات على التأليف، ولذلك اقترح لائحة خاصة تصف علاقة المقولات بالزمن [4] وتحدد دور الوحدات الخطاطية فيها، وهذه اللائحة يمكن أن توجز على الوجه الآتي ذكره:

- تسلسل الزمن (الكم) ⟵ - إنتاج الزمن وتأليفه تبعا للإدراك المتوالي للإدراك.
  - العدد هو تمثيل يتضمن الإضافة المتتالية للوحدة.
- محتوى الزمن (الكيف) ⟵ - تأليف الحس أو الإدراك مع التمثيل الزمني.
  - تصور يشير إلى الوجود في الزمن(الواقع).
  - تصور يشير إلى عدم الوجود في الزمن(السلب)
  - وجود مقتصر على الزمن (الانتقال من الواقع إلى السلب).
- انتظام الزمن(الإضافة) ⟵ علاقة الإحساسات ببعضها في كل حين.

---

[1] E. Kant, Critique de La Raison Pure, T1, op. cit ; p.171.
[2] R. Eisler, Kant-Lexicon, op. Cit; p.938.
[3] E. Kant, Critique de La Raison Pure, T1, Op.cit ; p.175.
[4] Ibid, pp.174-176.

- الوحدة الخطاطية التي تختص باستمرار الواقعي في الزمن.
- الوحدة الخطاطية التي تتيح تعاقب المتعدد وفق قاعدة معينة.
- الوحدة الخطاطية التي تؤمن تبادل التحديدات وفق قاعدة معينة.

- كلية الزمن (الجهة) ⟵ - الزمن في حد ذاته، أي حينما يختص بتفسير إمكان انتماء شيء ما للزمن، وتفسير كيفية هذا الانتماء إن وجد.

- الوحدة الخطاطية التي تختص بالإمكان.
- الوحدة الخطاطية التي تختص بالواقع.
- وجود موضوع معين في كل حين.

لقد حدد "**كانط**" الوحدة الخطاطية بوصفها شرطا للصورة؛ إذ رأى فيها أنها تحديد للفضاء، وهذا قد يدل على أن الصور ة في تصوره تعد معطى صريحا، لكن الصور التخطيطية وإن اتصلت بحيزي الزمان والفضاء، فإنها لا يمكن أن تتبرم عن دورها التأليفي فهي تيسر عمل المخيلة الإبداعية وتمهد السبيل لعمل المقولات؛ إذ يقتضي التصور الكانطي أن في مقابل كل مقولة عقلية توجد وحدة تخطيطية، ومجموع هذه الوحدات التخطيطية يؤدي دورا فاعلا يتبلور في تلك النزعة الخطاطية؛ أو بمعنى أوضح العمل التخطيطي الذي تقوم به المخيلة، والذي يعبر عن الانسجام بين عمل المخيلة وعمل العقل.

بناء على ما سبق، يتبين أن المعرفة في تصور **كانط** لا يمكن أن تتم إلا إذ حصل التقاء مستمر بين الإحساس والعمل المستمر؛ فالمعرفة تمثل علاقة الفكر الإنساني بالموضوعات ودخول المعطيات في حيزي الزمان والمكان لا يجعل منها موضوعات وذلك ما يرفضه **بورس** الذي يرى في الارتباط بالواقع شرطا لامناص منه ، لكن **كانط** يرى في ذلك ضرورة تقتضيها الوحدة؛ فلكي يتم إثبات وجود حقائق وموضوعات لابد من وجود كوجيطو معرفي يقوم على تفكير بنائي مرتكز على الأنا البناء أو أنا الموحد، وهذا يعني أنّ **كانط** مثالية حصر نفسه في الممكن ولم يبحث في الواقع، مما يجعل فلسفته ذات صبغة عقلية كونها تبحث في الشروط التي تجعل التجربة ممكنة من الناحية العقلية فقط.

لا شك في أنّ **بورس** قد تأثر إلى حد كبير بمنطق **كانط**؛ إذ ينعكس هذا التأثر في الحضور الكانطي البارز الذي يكاد يلازم المدونة البورسية، فغالبا ما يرد **كانط** في نصوص

بورس صراحة أو ضمنيا، مما يدل على أنّ "الفلسفة النقدية"[1] قد حظيت بقدر كبير من الدراسة، كما منحت **كانط** شرف الاحتفاظ بلقب " الفيزيائي الذي وهب نفسه للفلسفة "[2] في تصور **بورس**، الذي ولدت دراسة الفلسفة النقدية لديه نزوعا نحو النقد، تتجلى بوادره في "محاولة تعديل الإجراء الترنسندنتالي"[3]، لكن "**بورس**" جعل من مفهوم الترنسدنتالي يضيع في حدود المراوحة بين حدود الإمكان والوجود والواقع، من خلال بحثه عن طريقة أو منهج جديد يكون بديلا للإجراء الترنسدنتالي.

لقد كان نسق **كانط** للمقولات قائما على الأحكام، لكن **بورس** رفض هذا التصور، وأبى الانضمام إلى ما سماه "الصيادلة الترنسندنتاليين الأقوياء لتحرير فاتور ة تقتضي حشدا من الافتراضات القبلية بوصفها تطبيقا للمنطق، لأنه ليس مثل أرغان * في الحكم؛ ليفترض أنّ هؤلاء يمكنهم الانتظار حتى يتحقق أكبر جزء من مطالبهم "[4]، والفرق هنا يكمن في "الوضع المنطقي للافتراضات القبلية "[5]، إذ يتعلق الأمر بالقبلي، حيث إنّ "**كانط**" يرى أنّ ما يثبت شرعية البحث أو التجربة هو بيان أنّ شيئا ما هو افتراض قبلي ضروري للتجربة، وهو ما انصرف عنه **بورس** بعدما " كان يستسيغه حينما كان رضيعا في الفلسفة، وكانت كأسه لا تزال مليئة بآثار كانط"[6]، لينتهي إلى أنّ الاعتقاد لا يمكن أن يشرع وفق المنهجية الكانطية لأنّ ما توصل إليه **كانط** لا يمكن أن يسمى اعتقادا، بل يمكن أن يكون أملا.

يتبين إذا أنّ **بورس** قد بحث خارج فلسفة **كانط** عن بديل للمثالية الترنسندنتالية، لأنه كان يشعر بضرورة العثور على شيء أكثر جوهرية ومرونة مما قدمه **كانط**، لكن إن كان يكفي أن يزهد **بورس** في **الشيء في ذاته** كما تصوره **كانط**، فما السبيل الذي سيصفه، وما هو الشيء الأكثر جوهرية في تصوره؟

---

[1] C.Hookway, Métaphysics, Science and Self- Control: a Reponse to Apel, in. Peirce and Contemporary Thought, K.Ketner (ed), New York, Fordham univ Press, 1995, pp.398-415.
[2] CP (1.7).
[3] K. Oehler, Is a Transcendental Foundation of Semiotics Possible? Transaction of The Peirce Society, 1987, XXIII, n1, pp.45-62.

* آرغان (argan) ، شخصية صرّح "**بورس**" أنه استعارها من "**موليير**"، وتحديدا من **المريض التخيلي**.

[4] CP (2.113).
[5] C. Hookway, op. cit; p.402.
[6] CP (2.113).

تعكس سيميائيات **بورس** تواشجا عميقا بين الفلسفة والعلم والمنطق، وهذا التواشج له ما يبرره على الصعيد المعرفي؛ إذ أن التكوين الذي تلقاه **بورس** يتجه إلى ترسيخ الاعتقاد بيقين المعارف الرياضية المجردة على غرار ما رسخته رؤيا **أوغست كونت**، التي فحواها أنّ "العلم الرياضي هو البداية الحقة لكل تربية علمية عقلانية "[1]، وقد ولى **بورس** وجهه شطر المعرفة الرياضية لصوغ أفكاره السيميائية ذات الصبغة التداولية.

1.2.الاحتمـــــال والمـــــعنى:

لطالما اعتبرت الرياضيات معرفة يقينية، وبدت تع ريفلتها ومبادئها حقائق مطلقة لا قبل للشك بها، ولعل ذلك مرده الاعتقاد السائد الذي كان يقضي بضرورة التسليم بالمبادئ التي تتعلق بها هذه النظريات؛ لكن ما الذي يميز الرياضيات ؟

يتصور **بورس** أنّ الرياضيات سابقة على المنطق؛ فهي العلم الأول الذي لا يتعلق بأي علم آخر، إنها علم مستقل بذاته؛ لكنها في الوقت ذاته علم تتعلق كل العلوم بمتصوراته ونتائجه؛ وذلك ما يؤهلها لأن تكون أنموذجا للاستدلال والبرهان في المنطق ثم إنها تمتاز بكونها علما قائما على العلاقات الأيقونية؛ فالأيقونة في أكثر تشكلاتها ارتقاء ومطابقة لموضوعها ستكون رسما بيانيا رياضيا(**Diagram**).

على هذا الأساس تغدو المعادلات الرياضية رسوما بيانية تستعمل الرموز لتمثل القيم المجهولة، ابتغاء إيجاد حلول ملائمة ؛ وإن كانت النتائج التي تفضي إليها هذه المعادلات موغلة في التجريد، فإنّ ذلك لا يجب أن يوحي ببعدها عن الواقع ؛ فالرياضيات ليست مبهمة أو غامضة على غرار الميتافيزيقا التي تتعالى عن الواقع، بل إن مسائلها مجردة وتحتاج إلى تمرس استدلالي، لكنها تعكس الواقع؛ وهذا يعني أن " ثمة تشاكل تقابلي **(Isomorphism)** بين الرياضيات والواقع "[2]، وهذا يعني أن كل عنصر في العوالم الرياضية الممكنة سيجد ما يقابله في الواقع، وبناء عليه فإ نّ الموضوعات الرياضية موجودة في العالم الحسي على شكل رسوم بيانية تمثل مختلف الصور الحركية للفكر.

[1] A. Compte, Philosophie Première. Cours de philosophie positive, présentation et notes. M. Serrés et al, Paris, Harmattan, 1975, p.64.
[2] Ch.S.Peirce, CP (4.530).

تعد السيميائيات التداولية أحد أبرز الاتجاهات الحديثة التي " أقيم بناؤها، من بين ما أقيم عليه، على أوليات منطقية رياضية كشأن السيميائيات القديمة والوسيطة وامتداداتها" [1] فقد اهتم هذا الضرب من السيميائيات بالتصورات الرياضية؛ حيث "أوليت الرياضيات بوصفها علما دقيقا مكانة مميزة في صنافة **بورس** الذي جعلها على رأس العلوم كما فعل **كانط**"[2]؛ لأنه كان يتصورها علما واقعيا ينصرف عن البحث في الماهيات وفي تحديد المقومات، لينشغل بالبحث في أكثر إمكانات احتمالات تشكل الظواهر؛ فالرياضيات هي "العلم الوحيد الذي لا يهتم بالبحث في تحديد الأحداث الواقعية، بل يحصر شغله في الاحتمالات"[3]، وهذا يعني أنها تختص بالبحث في التشكلات الدلالية المحتملة.

رأى **بورس** أن الاحتمال فاتحة لسيرورة الاستدلال، وقد حدا به ذلك إلى النزوع للرياضيات بوصفها العلم الأجدر لدراسة مثل هذه السيرورات؛ كونها تقوم على أوليات ذات صبغة **أيقونية**؛ لكن هذا لا يعني البتة أن قوانينها ثابتة ولا تحتمل التغيير، فقد أثبت تاريخ العلوم أن العالم الوضعي لا يحمل طابع الحقيقة المؤكدة حتى في أكثر المجالات تجريدا؛ فبلوغ المطلق لا يتم إلا في النسبي، وقد أثبتت الهندسة أنها قائمة على تعاريف أولية وفرضيات يمكن أن تكون مغايرة لما هي عليه، كما هو الحال لما رسخته هندستي **ريمان** و **لوباتشيفسكي** في مقابل الهندسة **الإقليدية**.

أما فيما يتعلق بالعلوم التجريبية، فقد رأى **بورس** أن القانون الطبيعي لا يمكن إثباته إثباتا محكما، فقوانين الطبيعة ليست محكمة إلا إذا تعلق الأمر بالظاهرات البسيطة وتصور الفكر لوجود قوانين منزهة عن التغير ليس إلا أمرا مؤقتا، لأن قوانين العقل لا يمكن تبريرها إلا ضمن حدود دقة أدواته الراصدة ونفاذ مناهجه المحددة ؛ لكن ماذا لو عثر العلم على آليات أكثر مرونة وتطورا تتيح بلوغ قدر أكبر من المعرفة والدقة؟ هل ستتباين القوانين التي ارتكزت عليها العلوم بشقيها الدقيق والتجريبي؟

---

[1] محمد مفتاح، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، ضمن مجلة . عالم الفكر، ع .03، مجلد .35، يناير–مارس، 2007، الكويت ص.133.

[2] طائع الحدادي، سيميائيات التأويل. الإنتاج ومنطق الدلائل، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2006، ص..13

[3] Ch.S.Peirce, Le Raisonnement et La Logique des Choses, tr. Ch. Chauviré-cl. Tiercelin- P. Thibaud, Paris, éd. Du. Cerf, 2002, p.162.

لقد أثبتت التجريبية أن القوانين استمرار في الواقع، و"القانون بما هو قاعدة كلية يقوض الشيء بقدر ما يعمل على تصنيفه في نوع أو جنس، أو على إدراجه في فئة أوخانة "[1] فهو يستهل على شكل افتراض ويجري التحقق من جدواه في تجارب متكررة، وبناء على النتائج التي تمخضت عن التجارب يتم الإقرار إما باعتماده قاعدة عام ة يقاس عليها، أو بعدم اعتماده، وهذا يعني أن التجارب لا يمكن إجراؤها إلا على بعض الحالات، وإذا ثبتت أغلب الحالات تم تعميم القانون، مما يثبت أن ارتقاء الإجراءات التجريبية إلى درجة تشمل فيها سعة الاستنتاجات يظل مستحيلا، و ثم بدا اليقين الذي كانت تدعيه العلوم أمرا مبالغا فيه، وأخذ الفكر سيلا جديدا نحو الشك.

إذا كانت القوانين لا تتأكد بصفة مطلقة، فإنّ النظريات لن تتأكد أيضا، وبذلك سيتعلق إثباتها بوسيلة واحدة تتمثل في إجراء حسابات لمختلف النتائج ثم مقارنتها بمجريات الواقع، فإن اتفق افتراض معين مع تجربة معينة دل ذلك على يقينه، وإن لم يحد ث أي توافق بين هذا الافتراض وبين مجموع التجارب التي تم إجراؤها دل ذلك بالمقابل على بطلان هذا الافتراض وعلى عدم فاعليته، لكن هل هذا يعني أن وجود افتراض فاعل يعني عدم وجود افتراضات أخرى فاعلة؟ هل يمكن العثور على فرضيات أو افتراضات مغايرة تخفي في جوانبها اليقين؟ ثم ما الذي يتيح إمكان الجزم بصدق مثل هذه الفرضيات أو ببطلانها؟

على هذا الأساس، تساءل **بورس** عم تدعيه العلوم بشقيها التجريبي والإنساني، وحاول التحقق من مدى قدرتها على تقفي آثار الحقيقة، مما اقتضى اختبار الكمال الذي تدعيه ومعالجة مسألة كيفية التعامل مع هذه العلوم ومع نتائجها، خاصة إذا تبين أنها لا تتراوح بين الظواهر والواقع، بل تتجاوزهما في انسياق نحو الأمل النظري الذي يجعلها تنساب رويدا في العم وم، لتفقد تدريجيا الدقة والقدرة على مجاراة الغموض ؛ ومن ثم تساءل **بورس** عن إمكان التوصل إلى صيغة تتيح ائتلاف العقل والواقع؟

[1] علي حرب، الماهية والعلاقة. نحو منطق تحويلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1998، ص..06

2.2.المـــبدأ الذرائـــعي والممارســـة التداولـــية:

لقد كان على الفكر أن يعثر على صيغة جديدة للتعامل مع العلوم، شريطة أن تكون ملتزمة بمبدأ الانتقاء؛ بحيث لا توغل في التجريد ولا تبالغ في التنظير؛ بل تنتقي كل ما يمكن أن يكون مفيدا ونافعا، وبذلك تكون في غنى عن كل مبهم، وتلك كانت نظرة **بورس** التأملية التي تمخض عنها مبدؤه العملي الذي وسمه **بالذرائعية (Pragmaticism)**، فمهما بلغت العلوم من الكمال، فإن ذلك لن يجعل منها أكثر من وسائل نافعة للأذهان البشرية إنها لا تعدو أن تكون وسائل لتصور الأشياء، أو مخططات للإحاطة بمظاهر الكون، وهذا يعني أن العقل والعلم ليسا إلا عنصرين من أدوات المعرفة البشرية، وبناء على ذلك يتحتم على البشر توجيه تصرفاتهم من خلال تحليل الظواهر واستخلاص ما اشترك فيها.

تمثل اللغة أحد أهم العوامل التي يش ترك فيها البشر؛ وذلك ما جعل اللجوء إلى تحليلاتها سبيلا إلى فصل الأشياء والأحداث ، وإبداع تصورات آلية عن الواقع؛ وعلى الرغم من الوعي القائم باختلاف الواقع عن التصورات المبتدعة ؛ فإن ما سيستنتج بهذه الصورة سيكون ملائما ونافعا، ومن ثم مسوغا بالنسبة إلى الحياة؛ لأن الشعور بأهمية العمل العقلي والعلمي يبعث على رصد المعنى وتحري مظانه؛ ويتيح مجاراة الواقع، لكن مع ذلك يبقى الحرص أمرا لا مناص منه مخافة الانسياق وراء الأوهام المتعلقة بالقيمة الماورائية للغة والعلامات.

تتعامل الذرائعية كما يتصورها **بورس** مع ظواهر مثل المكان والزمان والحركة بوصفها مجموعة من الصور الظاهرية، كما ترجع كل إبهام إلى الماورائيات، ويحيل هذا التصور إلى **كانط** الذي يشير إلى أن إدراك الماورائيات أمر مستحيل ؛ فالفكر لا يستطيع بناء أي شيء ما لم يقف على بعض وجهات النظر، ويفحص الأشياء من بعض الزوايا ويستخدم بعض المقولات، والعقل على الرغم من كونه وسطا لا يمكن تجاوزه، وحقيقة لا يمكن التملص منها إلا أنه لا يملك تلك القدرة على الإثبات الذاتي ؛ إذ لا يسعه تأكيد صوابه، وذلك ما دفع **بورس** إلى التساؤل عن وجود وسيلة أخرى لمقاربة الصواب، علما أنّ الصواب كما يتصوره لا يتعلق بحدود العقل وحدها، بل يتجاوزها إلى ضرورة تلاؤمه والواقع.

تساءل **بورس** عن سبب انسجام الأشياء مع صورها الظاهرية؟ وحدا به ذلك إلى الاقتناع بحاجة البشر إلى الاعتقاد، الذي يمثل في تصوره قواعد يتم الاحتكام إليها في توجيه السلوك، وبذلك ظهرت الذرائعية لتدعو إلى اللجوء للعقل ولما يستخدم من طرائق حتى يتم استخلاص النتائج التي تنطوي عليها المبادئ المسلم بها، والتوفيق بين ما اختلف منها؛ ولكن العقل لا يمكن أن يقبل هذه المبادئ بوصفها بديهيات أو مسلمات، كما لا يستطيع إثباتها بأي وسيلة، لذلك فإن مطالبته باصطفاء الحقيقة الأولى التي ينبغي أن تنتظم تبعا لها معتقدات البشر ستكون إجراء تعسفيا.

بناء على ما سبق يتبين أن **بورس** كان يدعو للتساؤل عن الاعتقاد؛ وذلك ما يتجلى في مقاليه[1] الموسومين ب: " **كيف نهتدي لتوضيح أفكارنا** " و" **تثبيت الاعتقاد** "؛ حيث يبدو اللجوء إلى الذرائعية الوسيلة المثلى لاصطفاء الفلسفة والتماس العقائد التي تسّوغ الحياة، فتبث القوة وتنشر العزاء، وتمنح معتنقيها سلوكات خاصة ودوافع عمل وتمدهم بالأمل والتأييد، وتصرفهم عن الاهتمام بكل ما يحمل صفة الميتافيزيقي.

يقصد **بورس** بالذرائعية وصف الذهن لبشري للإجراءات الحقيقية التي تسمح بتأسيس المعارف، وتتيح صوغ المفاهيم الدالة، كما يمكن أن تكون الذرائعية مبدأ فكريا رئيسيا لتحسين هذه الإجراءات، فا لمبدأ الذرائعي كما يتصوره **بورس** "يختص بفحص الآثار العملية التي يمكن أن ينتجها الموضوع، وهذا يعني أن تصور كل هذه الآثار هو تصور كامل للموضوع "[2]، وبناء على ذلك ميز **جوزيف شونو** بين تحديدين للذرائعية كما تصورها **بورس**؛ فذكر أنّ "الذرائعية تختص في العموم بالجانب التطبيقي للنتائج أثناء البحث عن معنى فرضية أو فكرة معينة، أما في معناها الخاص فإنها تعنى بالآثار التطبيقية للمفاهيم العلمية، وهي آثار يمكن أن تتجلى في بحث تجريبي معين"[3]، وهذا يعني أن الذرائعية تلتبس معنيين[4] أحدهما عام، والآخر خاص.

---

[1] Ch.S.Peirce, How to make our idea clear, cp (5.388).
Ch.S.Peirce, The fixation of believe, cp (5.374).

[2] Ch.S.Peirce, Pragmatisme et Pragmaticisme, Oeuvres philosophiques, vol. I, tr. Cl. Tiercelin & P. Thibaud, Paris, éd. Du Cerf, 2002, p.265.

[3] J. Chenu, Textes Anticartésiens, Paris, éd. Aubier Montaigne, 1984, p.149.

[4] يبدو أن شرح "**شونو**" قد تضمن نوعا من العموم؛ حيث جمع بين **الذرائعية** و**التداوليات**، فالمفهوم العام الذي أشار إليه يبدو أكثر شمولية ويتعلق بوضوح الأفكار لذلك فهو يحيل إلى الذرائعية، أما المعنى الثاني الذي نعته بالخاص فيشير إلى التداوليات لأنه يختص بالآثار العملية الناتجة عن طريق المفاهيم في اللغة على وجه التحديد.

حاول **شونو** شرح وجهة نظره فيما يتعلق بت حديد المبدأ الذرائعي كما تصوره **بورس** فاستخدم مثال الفحم والحرارة[1]، فالجملة "**هذا فحم** تدل في حالة معينة على معنى مؤداه: **لو أردت حرارة، أشعل الفحم بحرارة**"، كما قد تعني في حالة أخرى "**لو يتصل هذا الفحم بشرارة يشتعل**"، وفي كلتا الحالتين تكون دلالة الملفوظات خاضعة لكيفية استعمالها أو بمعنى آخر تكون الملفوظات مرتهنة بالسياق الذي تضمنها أو بالأحرى تكون مرتبطة بالطريقة التي استعملت وفقها، لكن وجهة النظر هذه قد تبدو غير واض حة رغم محاولة تفسيرها، حينما يتبين أن الذرائعية ترتبط أيضا بالمنطق في تصور **بورس**، بل إنها تبدو "مبدأ منطقيا"[2]، لأن كل إبستيمولوجيا بالنسبة له منطقية وسيميائية.

يبدو أن علاقة الفكر بالممارسة هي التي تختص بتحديد المبدأ الذرائعي[3] الذي اقترحه **بورس**، وضمن هذا الم بدأ ستندرج مجمل أعماله، لأنه كان يرى أن الشك غير كفيل بمجاراة المعرفة؛ فحاول تفسير مفهوم الاعتقاد بناء على تصوراته الذرائعية لتوضيح الأفكار، لأن الاعتقادات إذا كانت هي كل ما لنا الحق في الارتكاز عليه –على فرض أنها اعتقادات صائبة– بغية تأسيس الأفعال، فإنّ ا لاعتقادات التي تتعلق بالموضوع يجب أن تتضمن كل ما يمكن أن يؤثر على نشاطاتنا في علاقتها بهذا الموضوع.

يتضمن الاعتقاد قاعدة لنشاط مستقبلي لا يكون محتملا بالضرورة، وإنما يكون قابلا للإدراك، ووضعية التصرف حسب اختلاف الحالات هي تلك التي وسم ها **بورس** بالعادة (**Habit**)؛ حيث طبق المبدأ الذرائعي على نظريته العامة للعلامات من خلل ربطه العلوم المعيارية الثلاثة[4] فيما بينها، وقد بلغ هذه النتيجة بعد دراسته لمسألة الاحتمالات (**Probability**) التي كان يرى فيها مدخلا للمنطق الذي يدرس طبيعة الاستنتاجات، فأكد أن التبرير الوحيد على ا لإحاطة بالاستدلالات هو احتمال تقارب هذه الاستدلالات من الحقيقة على المدى البعيد (**In the long run**)، وهذا يعني أن كل الاستدلالات محدودة حيال مقاربتها للحقيقة ما لم تتم إحالتها إلى عدد لا نهائي من حالات ورودها، لكن إذا

---

[1] J. Chenu, op. cit., p.149.
[2] Ch.S.Peirce, Pragmatisme et Pragmaticisme, op. cit., p.263.
[3] CP (5.394).
[4] العلوم المعيارية هي المنطق والأخلاق والجمال، وقد ربط "بورس" بينها لأنه كان يؤمن بوجوب تطبيقها تبعا لفوائد الجماعة، وهنا يكمن الفرق بين الذرائعية والنفعية (utilitarisme) أما الثانية فتوجه اهتمامها نحو المنفعة الفردية.

كانت الذرائعية تنحو لأن تكون طريقة لتوضي ح الأفكار وتحقيقها أكثر من كونها فلسفة للفعل، فما هي الآليات المنطقية التي يمكن استعمالها ؟

إنّ هذا التساؤل يدعو إلى البحث عن طريقة صوغ **بورس** للمنطق، كما يدعو إلى التساؤل عن الأدوات التي يستعملها هذا المنطق، خاصة إذا كان هذا المنطق " ليس إلا اسما آخر للسيميائيات"[1]، وطبيعته لا تنفصل البتة عن العلاقات، ولكن " المنطق يختص بالحقيقة أو بالمنهجية التي يتم من خللها استكشاف الحقيقة "[2]، ومن ثم فكيف يمكن انتقاء أدواته ؟ ما الذي تعنيه الحقيقة في تصور **بورس**، وما علاقتها بالسيميائيات ؟

تناول **بورس** في أعماله مسألة الحقيقة والبحث عنها، إلا أن آراءه لم ترق إلى مستوى التناسق، فقد كانت " تأخذ شكل صياغة لولبية تتبلور من خلالها صور متعددة لنظرية متكاملة(...)؛ فهي من وجه نظرية للحقيقة من حيث مواءمتها للواقع(...)؛ وهي من وجه آخر نظرية تهتم بالإيمان الحق كحل لمشكلة الشك عن طريق ال تحقيق"[3]، لكنه مع ذلك حاول جاهدا إيجاد صيغة تتيح له توضيح الأفكار مع الحفاظ على البقاء في كنف الواقع.

يتضح إذا عدم اقتناع **بورس** بالمبدأ الديكارتي القائم على الشك، فقد كان يرى فيه قصورا جليا لأنه كان يعتقد أن الحدس لا يمكن أن يكون معيارا للصدق، كونه يتخذ ال فرد معيارا للحقيقة، وذلك لا يكفي لتوضيح الأفكار، بل يجب العثور على مبدأ آخر يتسم بدقة أكبر.

3.2.نـــــقد الحـــــدس الديـــــكارتـــي:

أثرت دعوى **الفلسفة الرواقية** إلى الوضوح في فلسفة **ديكارت** الذي أسهم إثر ذلك في تغيير المنزلة الأرسطية للرياضيات، إذ أصبحت هذه ا لأخيرة تحفل بالعقل بعدما كانت تنشغل بالتصور، وأساس هذا التغيير هو تطلع **ديكارت** إلى الإمساك بالوضوح؛ حيث تساءل مليا عن المعيار الذي يمكن أن يتم الاستناد إليه لتوضيح الأفكار وبيانها.

انتهى **ديكارت** إلى أن درجة الوضوح ترتهن بدرجة تأثيرها في الأفراد، وقد حد ا به ذلك إلى اعتماد الشك المنهجي بوصفه أول خطوة نحو المنهج، لكن وجهة نظره هذه

---

[1] Ch.S.Peirce, Ecrits sur le Signe, tr. Comm. G. Deledalle, Paris, éd. Du. Seuil, 1978, p.56.

[2] Ch.S.Peirce, The Logic of 1873, VII. 321, in. Connaissance et interet, J. Habermas, Paris, éd. Gallimard, 1976, p.127.

[3] بيتر كاز، تاريخ الفلسفة في أمريكا خلال 200 سنة، تر. حسني نصار، مر. مراد وهبة، 1980، ص. 127.

مثلث حجر عثرة في تصورات **بورس** الذي قدّر أن الشك لا يمكن أن يحدث دون تعارض اعتقادين **(Two Belives)**؛ فالشك لا ينم عن رغبة ولا يمكن أن يقبل إلا إذا كان مبررا، وفيما تساءل **ديكارت** حول إمكان التأكد من بعض ا لحدوس ذات الطبيعة البسيطة فكر **بورس** في أن كل حدس معطى للوعي يجب أن يكون مبررا في مجمل علاقاته وذلك شرط لبلوغ درجة الوضوح؛ فالمعرفة ليست تقدما تدريجيا وفق تسلسل عميق للعقل كما يتصور **ديكارت** الذي " أسلم القيادة للعقل وجعله أعدل قسمة بين البشر"[1]؛ بل هي تقدم يحتكم **للعلاقات**.

لقد أكد **بورس** أن **ديكارت** كان على خطأ حينما رهن التعلم بالمعرفة، فالاستدلالات "لا يجب أن تأخذ شكل سلسلة (...)؛ بل يجب أن تكون على شكل حبل ذو ألياف متراصة ومحكمة النسج، ولا مانع إن كانت في غاية الدقة"[2]، لأن العناصر الأولية لمعارفنا نكتسبها من عالم آخر، أما المعارف في تشكلاتها الواقعية فترتهن بالعلاقات [3]؛ حيث إن كل علاقة ستدل على تمثيل واقعي يجمع بين العلامة وموضوعها، وكلما قدمت فكرة للوعي عرضت بوصفها علامة تتطلب أن تكون بالضرورة مطوّرة، فالعلامة ليس لها تأويل واحد ممكن لسبب بسيط هو أن الطبيعة البسيطة أمر لا وجود له.

بناء على ما سبق يتبين أن **بورس** يتصور أن كل شيء في تجاربنا الواقعية يقدم بوصفه علامات تتطلع لأن تتطور، أو لأن تكون حاملة لكم من المعاني، وهذا يقود إلى القول بأن التفكير بدا في تصور **بورس** نشاطا إبداعيا تطوريا للعلامات؛ حيث تقتضي كل علامة بحثا من قبل الفكر، وهذا البحث سيختص بمحاولة الإمساك بالمعاني التي تتيحها السيرورة التأويلية للعلامات، لكن سيبقى وضوح الفكرة غير متاح حتى في ظل وجود منطق ينشغل باستكشاف العلاقات إذا بقيت السيرورة الدالة تمارس حركيتها دون الاستناد إلى أي معيار، من ثم ما المعيار الذي اقترحه **بورس** للحد من التأويلات المفرطة والارتقاء إلى الوضوح.

---

[1] أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة . مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، الجزائر، منشورات الاختلاف، بيروت، الدار العربية للعلوم، المغرب المركز الثقافي العربي، 2005، ص..50

[2] Ch.S.Peirce, Pragmatisme et Pragmaticisme, Op.cit., p.38.

[3] صاغ "**بورس**" هذه الفكرة لأول مرة بتاريخ 1870.

4.2.بلاغــة الوضوح:

حمل **بورس** لواء الدعوة المناهضة للحدس الديكارتي، فجاءت سيميائياته بمثابة تحويل انعكاسي لفلسفة الإدراك الديكارتية إلى فلسفة للغة، حيث انطلق من فرضيتين هما "**الإنسان العلامة**" و"**التفكير من خلل العلامات**" ليسوغ اعتقادا فحواه أنّ الفكر يتحدد بفعل العلامات وضمن إطار التجارب المتكررة، وعلى هذا الأساس ترد تجربة التفكير من خلل العلامات بوصفها الشرط الضروري والكافي لكل نشاط فكري.

ينشأ الفكر إذا وفق سيرو رة من العلامات المتفاعلة التي تخضع لقواعد عامة للنشاط وهذا يعني أنّ يعني أن ثمة تأكيد على الخاصية المستمرة للمعرفة ورفض لكل إقرار بأسبقية الفكر على العلامات، فالمعرفة سيرورة مفتوحة لا يمكن أن تحدد إلا في علاقتها مع ما سبقها من المعارف، والفكر نسيج قوامه العلامات ومبدؤه عملي تداولي يتيح تحديد قيمة الصدق تبعا لما يقتضيه الواقع من ضرورات.

يعد التفكير من خلل العلامات ضربا من القياس ينطلق فيه المستعمل من بعض الحقائق التي افترض سلفا أنها مسلمات تختص بقضية معينة، لينتهي إلى استنباط نتيجة مجردة تصور المحمول بعيد ا عن الواقع، وهذا ما يثبت أن " القضايا تختص بإثبات صدقها الخاص"[1]، لكن هذا لا يع ني أنّ السيميائيات كما يتصورها **بورس** تطابق المنطق الصوري، بل ثمة فرق يتمثل في تجاوز السيميائيات لحدود المنطق التقليدي حتى ليكاد يكون فرعا من فروعها ؛ ففي المنطق الصوري تختص القضايا بالصدق بعيدا عما يفرزه الواقع، أما في السيميائيات فإنّ كل قضية هي علامة تحيل إلى موضوعها دون عزله عن الواقع؛ إنها تتفاعل معه وذلك يجعل صدقها مرتهنا بصدق تأويلها، وقد مثل **بورس** على ذلك بالرسم الذي وسم أسفله باسم معين فذكر أنه " يمثل قضية لكن ما إن يراه مؤو ل معين حتى تنشأ في تصوره فكرة عن الموضوع الأصلي الذي يمثله الرسم، وبهذا فإنّ العلامة لا تكون فاعلة **(In actu)** إلا إذا تم تأويلها وحددت بذلك علامة أخرى للموضوع ومن ثم فإنّ الأحكام تصدق ما تصدق العلامات الخارجية "[2]، وهذا ما يجعل من

[1] . Ch.S.Peirce, CP (5.340).
[2] . Ibid., CP(5.569).

السيميائيات كما يتصورها **بورس** نظرية للمعنى، قوامها **المبدأ التداولي** الذي يثبت كل تفكير من خلال العلامات ويتيح وضوح الأفكار.

1.4.2.الفكر والعلامات:

بناء على ما سبق يتبين أن وضوح الأفكار في تصور **بورس** يتعلق بمحاولة استكشاف علاقة العلامات بالواقع، وذلك ما جعل السيميائيات ترتكز على أسس نفسية غايتها إشباع الفكر و اختزال الشعور بالنقص الذي يحفزه الشك فيبث في الإنسان نزوعا نحو بذل جهد يتوخى من خلاله تثبيت اعتقاده، وهذا الجهد ينعته **بورس** ب**البحث (Inquiry)**[1]، والغاية منه هي تأسيس اعتقاد أو تبني سلوك يكون على قدر كبير من الملائمة للموضوع وفق "أنسب طريقة لتثبيت الاعتقادات، وهي التشبث أو التحقيق **(Method of Tenacity)**"[2]، لكن تثبيت الاعتقاد لن يتيح بلوغ درجة اليقين المطلق الذي يظل مستحيلا، لذلك فإن الاعتقاد كما يتصوره **بورس** هو استقرار مؤقت للفكر يحيل إلى الشعور بالرضا إزاء الفكرة والاقتناع بصدقها أو كذبها لفترة معينة من الزمن.

أصر **بورس** على القول بقصور الإنسان عن بلوغ اليقين لأنه كان يؤمن بأن البشر لا يملكون القدرة على تجاوز حدود إمكاناتهم العقلية، وبأن الوعي بالذات لا يمكن أن يؤدي إلى أي حقيقة لأنه لا يرتكز إلا على ذاته، في حين أن التفكير وفق العلامات يجعل الإنسان يواجه حقيقة قصوره عن معرفة ماهيته، ويتقبل أن إمكاناته العقلية محدودة فالوعي لا يمكن أن يتجرد من استعمال العلامات لذلك فإنّ **الكوجيتو الديكارتي** لا يمكن أن يؤدي إلى أي نتيجة عملية.

إنّ ارتباط الفكر بالعلامات يكشف عن نتيجة فحواها ال قول بعدم وجود الاستبطان والحدس، ليحيل من جهة أخرى إلى القول باستحالة الارتقاء إلى التفكير فيما لا يمكن التفكير فيه من مواضيع تتعدى نطاق قدرة الفكر البشرية، وذلك ما يوجب إذعان البشر للتسليم باستحالة إدراكها والتولي نحو الموضوعات ذات الغايات الواقعية، " فالشك التام لا يمكن اعتماده بوصفه نقطة بدء (...)؛ لأن التخلص من الأحكام المسبقة غير ممكن، وهذا يعني أن الشك المبدئي الشامل ليس إلا وهما ذاتيا **(A Self-Deception)** لا يحيل إلى

---

[1] . Ch.S.Peirce, CP (5.374).
[2] . Ibid., CP(5.378).

الواقع، وبناء عليه فإن من يعتمد المبدأ الديكارتي سيشعر لا محالة بعدم الرضا كونه لن يحيط بتلك الاعتقادات التي أهملها"[1]؛ لأن "صوغ قضية معينة في صورة استفهام لن يحفز الفكر على مجاراة الاعتقاد؛ بل يجب العثور على شك واقعي، وإلا فإن كل نقاش سيكون عديم الفائدة"[2]، وهذا يعني أن الحكم المسبق الذي يوجه الفكر هو الحكم الواقعي الذي يتيح التفكير وفق العلامات.

يبدو أن الشك المنهجي يقصى بطريقة عكسية حالما يقتنع الإنسان باستحالة التفكير بمعزل عن العلاقات، فالإنسان كما يتصور **بورس** لا يمكن أن يكون على قدر كبير من العقلانية إلا إذا أسلم رغباته ونشاطاته واعتقاداته لقوانين استعمال العلامات التي تصفها السيميائيات، لذلك دعا إلى المطابقة بين الظواهر الواقعية والإجراءات السيميائية ابتغاء وصف الواقع، ومن هنا يتضح أن ه كان يدعو إلى "ضرورة اعتماد وضعية رجل العلوم الذي يتعامل مع الظواهر بوصفها شيئا مفكرا فيه في المخبر، أو بوصفه مسألة تتعلق بالتجربة"[3]، وقد كان هذا التصور م سّوغا لاقتراحه منهجا توليفيا قوامه الجمع بين الاستدلال العقلي والإجراءات العلمية الافتراضية.

2.4.2.التداوليات تفاعل وإجماع:

يتبين أن التفكير في تصور **بورس** أشبه بفرضية ليس لمتلفظها أي حق في مقاربتها أو تعميمها إلا إذا استند إلى ما تواضعت عليه الجماع ة المختصة التي يعد قرارها بمثابة تأويل نهائي منطقي للفكرة، كونه قرار يخدم المجتمع، وبذلك "يترسخ المبدأ الاجتماعي في المنطق، ويكون الإنسان الذي لا يكرس نفسه لخدمة المجتمع إنسانا غير منطقي "[4]، لأن الإنسان يتبنى حاجاته تبعا لمقتضيات الجماعة والطبيعة والاعتقادات التي وفق في تثبيتها.

بناء على ما سبق، يتجلى أن موضوع منطق البحث الذي دعا إليه **بورس** هو الوضوح أو نشدان الحقيقة، ولما كانت الحقيقة المطلقة تتمنع عن الإدراك، بدت الغاية هدفا يتطلع إليه هذا المنطق، فجاء القول بها "يتساوق مع فلسفة **بورس** الكوسمولوجية ذات النزعة التطورية ومع تيولوجية سيميائية لا تتنافى مع حقائق البحث التجريبي، وتنطلق

---

[1] . Ch.S.Peirce, CP (5.265).
[2] . Ibid., CP(5.376).
[3] . Ibid., CP(5.411).
[4] . Ch.S.Peirce, CP (5.354).

من أن النسقية قبلية ومحكمة تتوافر على خصائص الاتساق في ذاتها وتتوافق مع الجمال والبهاء"[1]، وقد صار السلوك إثر ذلك مرتهنا بالأسباب التي تتيح إدراك الغايات ومقترنا قسرا بإمكانات الواقع التي تحددها الجماعة المختصة، وبذلك انضافت إلى المنطق وظيفة أخرى تمثلت في محاولة استكشاف حقيقة الله[2]، ليظهر **بورس** من جديد متأثرا **بكانط** الذي جعله حب الإنسان يتراجع عن قراره المتضمن إنزال العقل منزلة الإله في البناء الدقيق لنقد العقل الخالص.

انتقد **هانريش هاين (H.Hein)** توجه **كانط** ووصفه بالمأساة؛ ح يث ذكر بعبارات تهكمية ساخرة أن "**كانط** قد اغتصب الفلسفة، وانتهك حرم ة مملكة السماء بحد السيف فأجهزعلى الخالق ليتركه مخضبا بدمائه وينتزع الرحمة ؛ والطيبة؛ والعدالة من الوجود(...) غير آبه بخ ادمه المسكين السيد **لامب(Lamp)** العجوز الذي بقي واقفا وجلا من هول ما حدث لا يسعه إلا حمل مظلة سيده، وعيناه تذرفا الدمع حزنا على فقدان العناية الإلهية"[3] ، بهذه العبارات الساخرة انتقد **هاين** عدول **كانط** عن رأيه، ووصف إعادة بعثه للخالق في النقد العملي بالخطوة نحو إرضاء السيد **لامب**؛ فهل كان فعلا حب الإنسان حافزا لعدول **كانط** عن رأيه؟ وكيف أثر ذلك على **بورس**؟

مهما كانت دوافع **كانط** فإنها تبدو ذات ميسم أخلاقي يربط الغايات الذر ائعية بالمنفعة العامة، وقد مضى **بورس** في السبيل الذي انتقاه **كانط**، محاولا أن يرسم علاقة وطيدة بين الأخلاق والمنطق، ويرهن المنطق بضرورة التجرد من الشعور بالأنانية، لأن البحث ليس نسقا كاملا مختوما لا قبل للشك به؛ بل هو **سيرورة تآزرية** مفتوحة تغلب فيها المشاركة على الانجازات الفردية؛ إذ "ثمة أفكار مختلفة يمكن أن تصدر عن أبحاث متباينة ووجهات نظر متعارضة لكن كلما تقدم البحث، أجبرت هذ ه الأفكار على الاتجاه نحو نتيجة واحدة من خلل قوة خارجية، وهذا النشاط لا يقودنا إلى المبتغى، بل إلى غايات محددة سلفا؛ تحتاج إلى تعديل لوجهات النظر (...)؛ والرأي الذي يجمع عليه الباحثون هو الحقيقي، أما موضوعه فهو الواقعي"[4]، مما يدل على أن "وظيفة الفكر هي إبدا ع عادات للنشاط تتسم

---

[1] أحمد يوسف، الدلالات المفتوحة . مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، الجزائر، منشورات الاختلاف، بيروت، الدار العربية للعلوم، المغرب المركز الثقافي العربي، 2005، ص.121.

[2] Ch.S.Peirce, The reality of God, CP(6.494).

[3] L. Marcure, La Philosophie Américaine, tr. D. Bohler, Paris, éd. Gallimard, 1967, pp.83-84.

[4] Ch.S.Peirse, CP (5.407).

بالانغلاق إذا هي قورنت بالاعتقادات التي تتيح تثبيتها "[1]، وهذا ما يصرح به المبدأ التداولي من أن تصور الموضوع يرتهن بتصور الآثار الناتجة عنه، فتطوير المعنى يجب أن يحدد العادات الناشئة عنه، لأن معنى الشيء يكمن في العادات التي يتضمنها.

تؤدى التجربة البشرية من طرف جمع من المتحاورين يتعرفون بالتبادل على صدق أحكامهم المنطقية والأخلاقية؛ وتبعا لذلك ستكون "المعالجة المنطقية مرآة للمعالجة الأخلاقية(...)؛ حيث إن ما لا نستطيع منع أقل عدد من الناس من التفكير فيه ليس اعتقادا خاطئا؛ بل هو الحقيقة "[2]، و هذا يعني أن هؤلاء لا يتعرفون على الصدق بالكلام؛ بل يرتكزون على قانون الجماعة، وعلى تجاربها بوصفها صيغا للحياة، ثم إن الكون لم يخلق عبثا، وإنما تحكمه غاية على المنطق أن يحاول استكشافها، علما أن عناصر الكون يجب أن تنخرط في تطور المعقولية داخل سيرورة الكون وص يرورته معا عن طريق العقل ومن هنا تسلم سيميائيات **بورس** بضرورة ربط التفكير بالعلامات، لكن هل يمكن القول بأن السيميائيات منهج جديد للعلوم بمختلف أنواعها؟ ثم هل يمكن أن تتمخض عنها قوانين تصلح لأن تكون مرتكزات للممارسات الدلالية ؟ هل يمكن أن تكون السيميائيات علم ا يسرتطيع الإحاطة بجميع مظاهر الوجود؟

5.2. منطق العلاقات ومقولات الوجود:

تشغل العلامة مركز أبحاث سيميائيات **بورس**؛ حيث تتج لى بوصفها نقطة البدء التي يرتكز عليها تعريف كل عنصر، وتعد بذلك "المبدأ الذي يحكم تفسير مجموعات العناصر سواء كانت مجردة أو ملموسة "[3]، وهذا يعني أن **بورس** ينظر إلى الإنسان في كليته بوصفه حوار ع لامات، وبما أنه كان يتطلع إلى "إعادة تأسيس المعنى الشامل للمجتمع انطلاقا من العلاقات التي تقوم عليها البنى التي تربط أنساق العلامات في هذا المجتمع"[4]، ارتأى أن يكون موضوع السيميائيات هو دراسة جميع الأنساق الدالة، فقد ذكر أنه لم يكن في استطاعته "دراسة أي شيء سواء كان رياضيات، أو أخلاق، أو ميتافيزيقا

[1] . Ibid., CP(5.400).
[2] . Ibid., CP(5.419).
[3] .إميل بنفنيست، سيميولوجيا اللغة، ضمن. مدخل إلى السيميوطيقا، تر. سيزا قاسم، المغرب، منشورات عيون المغرب، ج.02، ص.10.
[4] . P. Ricoeur, Signe et Sens, in. Encyclopédia Universalis, Paris, S.A., 1985, p.883.

أو علم أحياء، أو جاذبية (...) إلا بوصفه موضوعا من موضوعات السيميائيات "[1]، وبذلك جعل مشروعه مفتوحا وشاملا.

لقد كان المشروع السيميائي التداولي الذي صاغه **بورس** "يكتسي صبغة فلسفية غير إنه لم يكن واضح الحدود، كما أن أدواته الراصدة لم تمكنه من تحقيق الأهداف العلمية التي كان يتوخاها على الرغم من أنها كانت تتسم بقدر كبير من الدقة، ولعل ذلك مرده ارتكاز بحثه على تحليل مقولي للوجود، واختزاله جميع الأنساق الدالة إلى خطاب منطقي، ليغدو المنطق في معناه العام إلا اسما آخر للسيميائيات التي تعد "العلم الضروري للعلامات والشبه صوري لها "[2]، فيتعدى بذلك الحدود التي رسمتها له التصورات والحدود ويصير منطقا للمعنى يختص بالعلامات وبتأويلاتها؛ ويعالج الشروط العامة التي تستند إليها العلامات لتنتظم على شكل قوانين للفكر.

1.5.2. قـــوانـــين الفـــــكـــر:

قدم **بورس** إسهامات هامة في المنطق؛ إذ يعزى إليه تطوير حساب القضايا وفق التقرير بجداول الحقيقة التي تعد إجراء استعاره من **المنطق الرواقي** ابتغاء تمثيل القضايا بكميات تحتمل قيمتي الصدق والكذب، كما أنه تمكن قبل **شيفر (Schiffer)** من استكشاف إمكان اختزال كل القضايا إلى قضية واحدة، وأرسى قواعد نسق رمزي لدراسة العلا قات استند فيه إلى جبر الرياضي **جورج بـــول (G.Boole)** الذي كان يمثل بالنسبة له نقطة بدء في هذا المجال [3]، كونه قدم الإطار النظري للمشروع السيميائي من خلل دع واه إلى استعمال علامات الجبر انطلاقا من وظائفها التمثيلية للتعبير عن عمليا ت الفكر، وقد تبنى **بـورس** وجهة النظر هذه مما قاده إلى التفكير في الرسوم البيانية الرياضية.

صاغ **بول** فكرة دقيقة تتعلق بالحساب المنطقي الرمزي في كتابه "قوانين الفكر"[4] الذي وصفه **برتراند راسل (B.Russel)** بأنه " البحث الذي منح المنطق دقة خاصة، وأكسبه درجة تقنية مميزة "[5]، وقد جاء هذا البحث ليسوّغ اعتقادا فحواه أن صحة الإجراء في

---

[1] . Ch.S.Peirce, Ecrits sur le Signe, tr. Comm. G. Deledalle, Paris, éd. Du. Seuil, 1978, p.56
[2] . Ibid., p.135.
[3] . G. Deledalle, La Philosophie Américaine, Bruxelles, éd. De Boeck Wesmael, 1976,p.136.
[4] . G. Boole, Les Lois de La Pensée, tr. Souleymane Bachir Diague, Paris, éd. J. Vrin, 1992.
[5] . B. Russel, Ecrits de La Logique Philosophique, avant propos. tr. M. Roy, Paris, éd. Puf, 1989, p.30.

التحليل لا تعتمد على تفسير الرموز؛ بل تقوم على القواعد التي تحكم تأليفها، وبذلك تظهر رغبة **بول** في إحلال الجبر محل المنطق التقليدي على قدر كبير من الإلحاح.

لقد كان **بـول** يتطلع إلى تأسيس طريقة جديدة في المنطق، فقد حاول تأسيس منطق جبري يعتمد التعبير عن العمليات الفكرية بوساط ة الرموز الجبرية، وهذا يعني أن **بـول** قد وضع دعائم الحساب المنطقي اقتداء بالحساب الجبري، لأنه كان يرى أ ن استخدام علامات مشتقة من عمليات الجبر قد يتيح التعبير عما يعتمل في الفكر من قواعد منظمة وإجراءات تركيبية وتحليلية بطريقة أدق وأوضح من تلك الطرق التي تلجأ إلى حدود اللغة العادية.

تصور **بـول** منطقا جديدا يختلف عن المنطق التقليدي الذي يرتبط بالفلسفة ومن ثم بالميتافيزيقا؛ حيث جمع المنطق بالرياضيات، وتعامل مع اللغة والفكر تعاملا جبريا لأن اللغة في تصوره " ليست وسيلة للتعبير عن الفكر فقط؛ بل هي أداة للعقل، وذلك ما يوجب اقتناعا بالبحث الحثيث عما يجعلها طيّعة حتى بالنسبة لأكثر ملكات العقل أهمية "[1] ولعل أبرز طريقة لذلك هي استخدام علم العدد أنموذجا للحساب المنطقي.

إنّ جبر المنطق الذي دعا إليه **بول** لم يتجاوز حدود الثنائية؛ حيث إنّ معادلة الاختيار التي كان يرى فيها انعكاسا للمنطق أثبتت اقتصار صلاحيتها في الجبر على قيمتي الصفر والواحد "ففي المنطق العادي يعتبر القانون **Xn=X** صحيحا، لأن صنف الفرنسيين المدموج مثلا مع صنف الفرنسيين ليس شيئا آخر سوى صنف الفرنسيين، ولا شيء كهذا في الجبر، حيث إن ارتفاع القوى يؤدي إلى شيء آخر غير الطرف الأولي "[2]، وبهذا استنتج **بـول** أن المنطق يمكن أن يدمج مع نوع خاص من الجبر هو الجبر الثنائي الذي يقوم على قيمتين إحداهما تمثل الوجود و الثانية تمثل الفراغ؛ إذ يمثل الواحد "**الصنف الكلي**" **Universal Class** وهو يشير إلى جميع فصول الأشياء المتصورة بعيدا عن وجودها في الواقع، ويمثل الصفر "**الصنف الفارغ**" **Empty Class** ويعد فصلا لا عضو له.

---

[1] . G. Boole, Les Lois de La Pensée, tr. Souleymane Bachir Diague, op. cit., p.42.

[2] . روبير بلانشي، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى رسل، تر. خليل أحمد خليل، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 370.

وبناء على ما سبق يتضح أن **بـول** كان يصوغ المسائل المنطقية على شكل معادلات فقد كان " يكره التعبير عن قضاياه باللامعادلات، وذلك بسبب لا تحديدها الذي يوقف الحسابات، لذلك آثر إدخال رمز **ad hoc** من خلال حرف "**V** " الذي سيشير إلى الجزئية وهو نوع من الوسط بين واحد وصفر"[1]، فبدل كتابة:

- $Xy=0$ بعض x هو y
- $x(1-y) \neq 0$ بعض x ليس y

كـــــتـــب **بـــــول** : $xy = V$

$X (1-y) = v$

حاول **بورس** تجاوز العلاقات الرياضية إلى علاقات منطقية لأنه رفض مسألة صوغ القضايا على شكل معادلات؛ فاقترح علاقة منطقية بدت في تصور ه أعمق من "**الماهية**" التي تمثل العلاقة الأساسية للوصل في النسق الرمزي الذي اقترحه **بـول**، وهذه العلاقة هي التي نعتها **بورس** "**بالتضمين**" **Illation** وأحلها محل الماهية، فألغى بذلك وجوب التعبير عن القضايا بوساطة المعادلات.

تأثر **بورس** بطريقة **بـول** في معالجة الإشكالا ت المرتبطة بالاحتمالات لأن نظرية الاحتمالات بدت بالنسبة له قاصرة عن معالجة العلاقات وعن التعبير عن القضية الخاصة في إطار منطق الأصناف، لذلك لجأ إلى مفهوم العلاقة الذي أرسى قواعده **بـول** واستعان به لتطوير مفهوم المكممات الذي استوحاه من **دي مورغان** De **Morgan** ، وقدم إثر ذلك منطقا قوامه العلاقات، التي اختار أن يعبر عنها بالحروف؛ حيث يدل الحرف على العلاقة بين "**المضيف**" **Relat** و"**المضاف**" **Correlat** .

بناء على ما سبق يتضح أن **بـول** قد أدمج المنطق في الجبر، لكن **بورس** فعل العكس حيث جعل من الرياضيات، جزءا محتوى في المنطق؛ إ ذ أبدل الطريقة الفلسفية بالطريقة الأيقونية واستعمل جهازا اصطلاحيا خاصا وجديدا، كما انتقى طريقة جديدة تمثلت في الإعراب المنهجي عن القضايا بحدود وجودية، وبذلك صار المنطق ملائما للنظرية العامة للعلامات التي تقوم على فرضية الاستمرار وترتهن لمبدأ التأويل المفتو ح

[1]. مر. س. ص.373.

فبدا المنطق وجها آخر للسيميائيات قوامه العلاقة الثلاثية التي تندرج ضمنها ثلاث مقولات وجودية.

2.5.2 . منطق العلاقات و بناء المقولات :

لقد أسس **بورس** منطقا للعلاقات انطلاقا من اعتقاد فحواه أنه "لا توجد بسائط في الكون، وأن كل شيء يمكن تحليله من خلال نسق العلاقات الذي يكون ذلك الشيء جزءا منه"[1]، وعلى هذا الأساس سيختص المنطق باستكشاف العلاقات التي تربط الظواهر في الكون وبتحليلها استنادا إلى استدلال عقلي يستخدم العلامات في استنباط الأحكام، وفي التعبير عن الظواهر ليغدو إثر ذلك اسما آخر للسيميائيات .

صاغ **بورس** منطقا للعلاقات لأن "ما كان يحيره هو كيف يوصف المنطق بأنه علم وأوصاله مبتورة عن الواقع، وهو بعيد عن طلب الحقيقة ومنشغل ببناء النظريات بدل الإنكباب على الممارسات؟"[2]، فالمنطق الصوري ينشغل بالتصورات و يهمل الواقع فيبدو بمثابة آلة ابتدعت لتعصم العقل عن الخطأ، لكن المراوحة في حدود العقل لا تبدو ملائمة لدراسة الظواهر في تصور **بورس** "(...) فالمعنى ليس نتاجا ذهنيا؛ بل هو ذو علاقة بالوقائع والأحداث"، و بناء عليه فإن منطقا جديدا يجب أن يظهر للوجود، و لا ريب في أنه سيختص بالعلامات وبعلاقاتها.

بناء على ما سبق، يتبين أن **بورس** كان يتطلع إلى تأسيس منطق يختص بالواقع ويكون على قدر كبير من الدقة، وبما أن "المنطق لا يكون دقيقا في تصوره إلا إذا كان نظرية لشروط وضع المعتقدات الثابتة التي تقوم على ملاحظات مؤكدة، وعلى فكر رياضي ترسيمي وأيقوني"[3]، حاول **بورس** أن يكيف تعامل المنطق مع الرياضيات والعلوم التجريبية، فتحرر بذلك من ربقة النسقية الرمزية التي أرسى قواعدها **بول** من خلل دعواه تحويل القضايا إلى معادلات رياضية، وجمع بين المعارف الأولية والمعارف التجريبية متخطيا مأزق الرياضيات "التي كانت(...) تقف حجرة عثرة في طريق كل منطق يسعى

---

[1] .حامد خليل ، المنطق البراغماتي عند تشارلز بيرس " مؤسس البراغماتية "، دمشق ، دار الينابيع 1996 ، ص. 197.

[2] . أحمد يوسف ، الدلالاتت المفتوحة ، مر.س ، ص. 125.

[3] . Ch . S. Peirce , CP (3.429) .

إلى الاعتماد على التجربة كمصدر أساسي للمعرفة "[1]؛ فجعل المنطق علما للقوانين التي تسمح بوضع المعتقدات على نحو ثابت.

إن منطق العلاقات الذي دعا إليه **بورس** يتجاوز المنطق الصوري ومنطق الجبر كما أنه ثلاثي كونه يقوم على ثلاثة أنماط للاستدلال هي **الاستقراء (Inference) والاستنباط (Deduction)، والافتراض (Abduction)**؛ حيث إن "الاستقراء يمثل تعميما يستهل من حالات معينة، ويمثل الاستدلال تعميما للصدق على الصنف إذا صدقت حالة معينة منه، أما الفرضية فتمثل اعتماد افتراض معين بعد معاينة ظرف غريب يمثل حالة لقاعدة عامة"[2]، وقد صاغ **بورس** طرق الاستدلال على هذا الشكل لأنه كان يرى أن هناك "نزوعا كليا نحو التعميم والتعود"[3]، فالميل إلى التعميم يبدو في تصوره أهم قوانين الفكر.

إن اكتساب العادات الذهنية أو القوانين لا يمكن أن يكتمل البتة، فعلى الرغم من تطوره المستمر إلا أنه لن يرقى إلى تغطية كل المجالا ت الممكنة للمعرفة، وهذا ما سيوجب بحثا عن "إنشاء قوانين ذهنية خاصة بحقل معطى من العلاقات "[4] ابتغاء التعميم الذي لن يتاح إلا وفق علاقة ثلاثية للعلاقات تقتضي أن تكون العلاقة أولا في علاقتها بذاتها، وثانيا في علاقتها بموضوعاتها وثالثا في علاقتها بمؤولها .

نشر **بورس** سنة 1868 وسمه بـــ " **نحو لائحة جديدة للمقولات** "[5] وقد استهله بعرض مفصل لأهم أفكاره، وبخاصة تلك التي تتعلق بنظرية العلامات، فتحدث عن الأساس الميتافيزيقي لسيميائياته الذي تمثل في اختزال المتعدد إلى وحدة، وهو مبدأ يحضر بقوة في منطق **كانط** وفي تساؤلاته حول إمك ان التركيب وقد استند إليه **بورس** لتأسيس لائحة خاصة للمقولات الوجودية، لأن التصورات الأولية لديه ترتهن بالتجربة والتغاضي عن تصور يختزلها إلى وحدة "سيعيق العثور بلوغ درجة وضوح الانطباعات"[6]، وهذا ما سيجعل البحث عن المقولات قائما على نظرية اختزال المتعدد التي

---

[1] .حامد خليل ، مر.س ، ص. 17 .

[2] Ch .S. Peirce , CP (2.624).

[3] Ch .S. Peirce , Le raisonnement et la logique des choses , Op .cit , P. 310.

[4] T.J Reiss ; Peirce , Frege , La vérité , Le tiers inclus et Le champ pratiqué in , Langage , n° 58 Paris , éd Larousse , 19 P. 124.

[5] Ch .S.Peirce, On a new list of categories, Proceeding of the American academy of arts and sciences, 7 (1868) PP. 287 -298.
On line http://www.peirce .org/writings /32 –Html

[6] Ch .S. Peirce, CP (1.549).

تحصر وظائف المفاهيم في "اختزال التجارب إلى وحدة"[1]؛ فالتصورات الأولية تتطلع إلى أن تتوسط الجوهر والوجود من خلال تحويل التجارب المتعددة إلى تجربة واحدة.

يتضمن مقال نحو لائحة جديدة للمقولات "دراسة لمفاهيم الجوهر **(substance) والوجود (Being)، والانتزاع (Prescision) والتمييز Discrimination)**؛ وهي مفاهيم سيقيم عليها **بورس** بناء متصوراته لتأسيس مقولات جديدة تتماز عن المقولات الكانطية والأرسطية من حيث كونها مقولات وجودية تجمع بين التصورات العقلية و بين الظواهر الواقعية، وقد جاء في هذا النص أن "الجوهر حضور بحت، و الوجود تحديد"[2] ،وهذا يعني أن ثمة ما يربط بين الجوهر والوجود في تصور **بورس**؛ فكيف يتم بهذا المعنى الانتقال من الجوهر إلى الوجود؟ ثم ما هي المفاهيم التي تتطلع إلى إحقاق التوسط بينهما ؟

أجاب **بورس** عن هذا السؤال وفق طريقة عملية تمثلت في تأسيس لائحة جديدة للمقولات؛ لأنه كان يرى أن تحديد المفاهيم العامة التي تتوسط الجوهر والوجود لا يمكن أن يتاح إلا إذا تم تحديد المقولات الأساسة للمعرفة، وبما أن "المقولات(...) هي أشياء تقع فيها الأقاويل ومنها عدتها، فإنه قد صح أن هناك ثلاثة تصورات محصورة هي : الأولانية، والثانيانية، والثا لثانية"[3]؛ وهذا يعني أن **بورس** صاغ بعد دراسته للجوهر والوجود فرضية تحتمل وجود ثلاث مقولات أساسة سماها تباعا **الأولانية (Firstness) والثانيانية (Secondness) والثالثانية (Thirdness)**، لكنه لم يتمكن من بلوغ هذه النتيجة إلا بعد دراسة حثيثة لمفهوم **التجريد (Abstraction).**

3.5.2 التجريد بين الافتراض والانتزاع :

توقف **بورس** عند مجموعة من المفاهيم رأى ضرورة فحصها للتمكن من تحديد مفهوم التجريد وتفسير كيفية الانتقال من الجوهر إلى الوجود، وقد تمثلت هذه المفاهيم في : **الفصل (Dissociation)، والتمييز (Discrimination)، و التجريد (Abstraction)** الذي صنفه إلى فرعين خصهما بدراسة دقيقة للغاية هما :**التجريد الافتراضي (Hypostatic Abstraction)، و التجريد الانتزاعي (Prescicive Abstraction)**، وقد انتهى في

---

[1] Ch .S. Peirce, On a new list of categories , Op. Cit , Sec. 01 , P. 287.

[2] .Ch .S. Peirce , On a new list of categories , Op. cit , Sec .01, P. 287.

[3]. طائع الحداوي ، سيميائيات التأويل ، مر.س ، ص. .13.

دراسته إلى نتيجة اقتضت أن التجريد يمكن أن يشار إليه بالحد **أساس (Ground)**[1] ويعد الأساس ضروريا لتحقيق تلاؤم العلاقات وانسجامها.

حاول **بورس** بلورة مفهوم الأساس من خلل دراسة دقيقة للتجريد كان يتطلع وفقها إلى تحديد المرتكز الذي تستند إليه العلامات في نشاطها التأويلي المفتوح؛ فدعا إثر ذلك إلى ضرورة إقصاء الفصل والتمييز لأنه رأى فيهما قصورا عن أداء المعنى، وقد عاب على الاسميين من أمثال **بركلي (Berkeley) ولوك (Locke)** اعتمادهم الفصل في تحديد المثلث؛ حيث "فكر هؤلاء في المثلث بمعزل عن التفكير في كونه قائما أو متساوي الساقين أو متقايس الأضلاع "[2]؛ وهذا يعني أن تصورهم للمثلث لم يشمل تحديد حالاته الخاصة لأنهم اعتمدوا **الفصل** في تحديدهم إياه، والفصل "وعي بشيء دون وعي مؤقت بشيء آخر "[3] ، وهذا ما يجعله متصلا بالخيال وبالجانب النفسي، أما التمييز فهو فصل عقلي يقوم به الإنسان حينما يحاول ميز الأحمر من الأزرق، أو الفضاء من اللون، أو اللون من الفضاء، وهو بهذا لا يمكن أن يتعدى كونه "عملية منطقية تتيح تأسيس تمييزات للدلالة لا تتجاوز معاني الحدود"[4]، مما يعني أن التميز لا يضيف دلالات جديدة للعلامة.

اقترح **بورس** صيغتين للتجريد نعتهما بالتجريد الافتراضي، والتجريد الانتزاعي وقد خصهما بالعناية في نسقه السيميائي لأنهما يسهما في إثراء المعنى؛ إذ يختص **التجريد الافتراضي** بتحويل عناصر الفكر إل ى جواهر من خلل تطبيق محمولات جديدة على الموضوع، ومثل ذلك الانتقال من العبارة : بناية المكتبة فخمة إلى العبارة: بناية المكتبة تتسم بالفخامة[5]؛ وهذا يعني أن دراسة العلاقات بين موضوعات الفكر ستكون مم كنة بتطبيق محمولات جديدة، وسيتجلى التجريد تبعا لذلك بوصفه أحد أهم أدوات الذكاء البشري .

صيغة التجريد الثانية التي نالت الحظ الأوفر في دراسة **بورس** هي تلك التي سماها الانتزاع **(Prescision)**؛ وقد استعار هذا الحد من مفهوم **(Depraecio)** الذي صاغه **دونيس سكوت (Duns Scott)**[6] ومن **أبيلارد (Abélard)** الذي صاغ تصورا أصليا

---

[1]. Ch .S Peirce , CP (1.551).
[2] Ibid. , CP (5.301).
[3] Ibid. , CP (1.549).
[4] Ibid. , CP (1.549).
[5] Ibid. , CP (4.332).
[6] Ibid. , CP (1.549.n° 2).

للصورة في الإجراء التجريدي[1]، وإذا ما قورن الانتزاع بالتمييز سيتبين أن الانتزاع أشمل وأعم؛ إذ يمكن فصل اللون عن الفضاء بوساطة التمييز لكن لا يمكن فعل ذلك من خلل الانتزاع لأن افتراض وجود اللون بمعزل عن الفضاء يبقى أمرا مستحيلا لأن اللون ينتمي إلى رتبة الكيفية، وذلك ما جعل **بورس يرى** في الانتزاع ما يخرجنا من المجال الضيق لعلم النفس ليزج بنا إلى المجال المنطقي الذي يوجهنا نحو الواقع؛ حيث يتعلق الأمر بعملية افتراض تختص بالشيء الذي يتطلع الفكر إلى إدراكه .

على هذا الأساس، "يختص التجريد بالنظر في الشكل بمعزل من المادة، تماما كما هو الحال بالنسبة للتفكير في البياض "[2]؛ ومع أن هذا المسعى يختص بالتفكير في طبيعة غير متمايزة، كونه لا يعنى بتمايز الأفراد إلا أنه لا يعني البتة أن التجريد خيالي؛ بل إن التجريد يسمح بإسناد قدرة مزدوجة للتفكير تتمثل في توحيد كل ما فصل واختزل بطريقة عقلانية، ويشترط في هذه العملية التركيبية عدم تجاوز الطبيعة الواقعية للشيء المراد إدراكه، لأن "نفي الواقع سيجعل التصور مجرد رأي وسينزع الصبغة العقلانية عن عملية الإدراك"[3]، وتبعا لذلك يتبين أن الانتزا ع يحتل موقعا وسطا بين المنطق وعلم النفس كونه "فصل ذهني يتعلق بالانتباه الذي يتم به اختصاص عنصر دون سواه "[4]، لكنه يستخدم إجراءات عقلية يرتقي مستوى دقتها عن مستوى دقة الإجراءات العقلية التي يقتضيها الانتباه البسيط.

4.5.2. العـــــلاقة-العـــــلامة:

لقد اقتضى تحديد المقولات الأساسة للوجود دراسة للمفاهيم العامة التي تتيح الانتقال من الجوهر إلى الوجود، وقد حظي التجريد بالقدر الأوفر من هذه الدراسة لأنه بدا الأساس الذي يكفل انسجام العلامات، كما أنه قام على فكرة فحواها أن صوغ القضايا أو تعيين كيفيات الأشياء ليس قمين بقراءات مرتجلة؛ بل يتعلق بالانكباب على ممارسة نشاط فكري مفتوح يتمثل في التأويل.

---

[1] P. Abélard, Logica ingredientibus, 1er partie, in Œuvres Choisis d'Abélard, Tr. M. De. Gandillac , Paris , éd. Aubier , 1945 , PP. 116-117.
[2] Ch . S. Peirce, CP (2.428).
[3] P. Abélard , Op.cit , PP. 116-120.
[4] Ch .S. Peirce, CP (1.549).

على هذا الأساس يتبين أن العلامة لدى **بورس** لا تحيل مباشرة إلى موضوعها؛ بل تمثله بواسطة علامة أخرى مؤولة، مما يعني أن "عملية التمثيل تخضع لمبدأ **التعاقب Gradation** الذي يسهم في اختزال المتعدد وتوحيده "[1]، لكن مفهوم التعاقب لا يحيل إلى "**النزعة الخطاطية**" التي أرسى قواعدها **كانط**؛ بل يتعلق بمفهوم العلامة وبعلاقتها التي تدخل في حركية دلالية مفتوحة.

بدءا من تاريخ **1867** حدد **بورس** نظريته ضمن إطار العلاقة الثلاثية؛ حيث ذكر أن "الإحالة إلى الموضوع لا تتم إلا بوساطة تمثيل هو المؤول الذي يقوم على وجه مجرد مقتطع من الموضوع هو **الأساس Ground** "[2]، وهذا يعني أن علاقة العلامات تكتفي بذاتها لرصد المعنى، ومن ثم تكون السيرورة السيميائية "علاقة جامعة لثلاثة حدود هي العلامة والموضوع والمؤول "[3]؛ إذ لا يمكن أن تحيل العلامة إلى موضوعها إلا في حال وجود مؤول يؤولها، وتبعا لذلك يقتضي كل ترتيب دخول العلامات في ثلاثة أنماط من العلاقات[4] يمكن إجمالها على الترتيب فيما يأتي : "**الكيفية**" **Quality** وتمثل المرجعية إلى الأساس، و "**العلاقة**" **Relation** التي تمثل المرجعية إلى الموضوع، و "**التمثيل**" **Representation** الذي يمثل المرجعية إلى المؤول.

- "الكيفية" Quality :

يؤكد **بورس** أن القضية تمثل قابلية تطبيق "**تصور غير مباشر**" **Médiate Conception** على **تصور مباشر More Immediate Conception** ، ومن ثم فإن "صحة القضية ترتهن باجتزاء الكيفية من المعطى المبدئي الشامل الذي ينظر إليه بوصفه اتحادا بين الكيفية والجوهر "[5]، ففي عبارة مثل : "**هذا الوبر أسود**" يمكن أن يحيل "**أسود**" بطريقة مباشرة إلى الوبر، كما يمكن أن يحيل بطريقة غير مباشرة إلى السواد، وهذا يعني أن ثمة عملية تتمثل في " إسناد خبر عام للحد وبر، وهذا الخبر المسند هو الكيفية"[6]، وبناء على ذلك يتبين أن فهم الموضوع لا يحصل إلا في حدود ما يشير إليه المحمول الذي يبقى

[1] Ch.S.Peirce, On a new List of Categories, op. Cit., sec.02.
[2] Ch.S.Peirce, CP (1.557), (2.228).
[3] G. Granger, Essai D'une Philosophie du Style, Paris, 1968, p.114.
[4] Ch.S.Peirce, On a new List of Categories, op. Cit., sec.11.
[5] Ch.S.Peirce, Ibid., sec.07.
[6] Ch.S.Peirce, CP (4.226).

تطبيقه على الموضوع فرضيا كونه يتجلى بوصفه تجسيدا للكيفية **Embodying Quality**.

-العــلاقة Relation :

نعت **بورس** المرجعية إلى الأساس با لعلاقة، وذكر أن التعرف على ظاهرة معينة يقتضي الاطلاع على كيفية تميزها عن غيره ا استنادا إلى الأساس، وقد أشار **إيـكو** إلى أن " الأساس لا يجب أن ينظر إليه على أنه صورة أخرى للمدلول؛ بل يجب أن ينظر إلى الأساس بوصفه المركب القاعدي للمدلول"[1]، ومت ثم فإن العلامة ستحيل إلى ظاهرة معينة استنادا إلى أساس معين يتمثل في تلك الخاصية التي ستشترك فيها الظواهر، وبناء على ذلك تغدو المشابهة معيارا في تمثيل الظواهر وتأويلها.

-التــمثيل Representation :

أقام **بورس** بناء نظرية المقولات عل ى أساس فلسفي تمثل في سؤال طرحه **كانط** يتعلق بالتساؤل حول إمكان التركيب، وقد أجاب عنه من خلل صوغ مسألة التمثيل التي حصرها في حدود الوجود والضرورة [2]، فالتمثيل كما يتصور **بورس** هو خاصية الشيء الذي يقوم مقام شيء آخر ابتغاء إنتاج أثر ذهني معين، فالشيء الذي يمتلك الخاصية يسمى ممثلا، والأثر الذهني هو المؤول، والشيء الذي قام الأول مقامه هو الموضوع [3] وهذا يعني أن التمثيل علاقة ثلاثية تقتضي وجود ثلاثة أنماط وجودية، فهو علاقة تربط ممثلا بموضوعه من خلل عنصر ثالث هو المؤول الذي يعد آخر مفهوم في عملية الانتقال من الجوهر.

لقد حاول **بورس** توضيح علاقة التمثيل في عدة أمثلة ضمنها نص "**نحو لائحة جديدة للمقولات**"، ومن هذه الأمثلة ذاك الذي يختص بالموازنة بين حرفي p وb؛ إذ يذكر **بورس** أن " الموازنة بين هذين الحرفين تقوم على رسم صورة ذهنية وسيطة كأن نقول أن الحرف p يشبه الحرف b لكنه مقلوب إلى الأسفل "[4]، وهذا يعني أن المؤول أو الت مثيل الوسيط في هذه الحالة هو المشابهة.

---

[1] U. Eco, Lector in Fabula, tr. Myriem Bouzaher, Paris, éd. Grasset, 1985, p.35.
[2] D. Savan, La Sémiotique de Ch. S. Peirce, tr. F. Peraldi, in. Langage, n.58, Paris, éd. Larousse, juin, 1980, p.11.
[3] Ch.S.Peirce, CP (1.564).
voir aussi. Ch.s.peirce, 76 définitions du signe, tr. R. Marty , 2001, p.01.
f t p : // gala. Uniu-perp. Fr/pub/semiotics/marty/76-fr.zip.
[4] Ch.S.Peirce, On a new Liste of Categories, op. Cit., sec.09.

لقد وصف **بورس** هذه العلاقات الثلاث بالحوادث **Accidents**، لأنها تحدث الانتقال من المتعدد إلى الواحد، وقد اشترط في هذا الانتقال أن يكون عدديا **Numerical**[1]؛ حيث يحيل الثاني إلى الأول من خلل الثالث، وإذا كان **بورس** قد انتهى إلى فكرة فحواها أن ثمة ثلاث مقولات وجودية قوامها العلاقات الثلاثة للعلامة؛ فإن ذلك لا يعني أنه قد أقصى فعليا مقولتي الجوهر والوجود، بل يبدو أنه كان يحاول جاهدا تفسير كيفية تجسيد الجوهر وجعله موجودا واقعيا؛ حيث ذكر أن " لائحة الموضوعات المفترضة هي:

ما هو (What is)

الكـــــيف

العـــــلاقة

المـــــمثل

إنه (IT) "[2]

وبناء على ذلك، فإن المقولات لا يمكن أن تنفصل عن الواقعية الوجودية؛ فالعلاقة الثلاثية تقتضي حضور البعد الأساسي المعقول، ثم إن تماهي الفكر والعلامة لا يعني أن الفكر ينصهر في السيرورة السيميائية؛ بل يعني أن ثمة علامات تنتقل في حدود ثلاثة أبعاد تشكل سيرورة مفتوحة ترتهن للبعد ال وجودي الواقعي، ولعل ذلك ما جعل **بورس** يتردد في الوقوف على تسمية نهائية لنظريته السيميائية؛ إذ نجده أحيانا ينعتها "بالسيميائيات" **Sémiotics** وأحيانا أخرى "بنظرية العلامات" **Theory of signs**، ويسميها طورا "بالظاهراتية" **Phaneroscopy**، وطورا آخر "بعلم سبر الأفكار" **Ideoscopy**؛ وقد يكون هذا التردد باعثا على التساؤل عن العلاقة الجامعة بين هذه النعوت؛ فما الذي جعل **بورس** يلجأ إلى مثل هذه الألفاظ المستعارة من اللغة اليونانية القديمة، ولماذا لم يستقر على تسمية واحدة منها ؟ هل يوجد ما يربط بين هذه التصورات؟

[1] Ch.S.Peirce, On a new Liste of Categories, op. Cit., sec.12.
[2] Ibid., sec.13.

6.2. النظريـــة الـــــعامـــة للعـــــلامـــات:

تقوم سيميائيت **بورس** على تحليل ظاهراتي لجوهر الموجود؛ حيث صاغ **بورس** تعريفا "للفانيروسكوبيا" أو "الظاهراتية" **phaneroscopy** جاء فيه أن " الظاهراتية وصف للظاهرة التي تدل على الكلية المشتركة لكل ما يحضر في الذهن، وقد يكون هذا الشيء واقعا أو وهما "[1]، ولا يتعلق حضور الظاهرة في الذ هن بالزمان أو المكان، لأن **بورس** يقصد حضور الظاهرة في كل الأزمنة وفي كل الأذهان، وما يسميه **بورس** ظاهراتية هو تلك "الدراسة التي ستميز أصنافا من الظواهر بمجرد ارتكازها على الملاحظة المباشرة للظواهر"[2]، فهي دراسة تهتم بوصف الظواهر التي تدرك بوصفها علامات، وبهذا تكون السيميائيات اسما آخر للظاهراتية.

1.6.2. الظـــاهـــــراتـــــية:

يتضح أن " الظواهر لا تتعدى مجال الوعي "[3] في تصور **بورس** وأن تسمية السيميائيات "بعلم سبر الأفكار " **Ideoscopy**؛ لم يتم صوغها عبثا أو احتفاء بالفلسفة اليونانية؛ بل كانت خطو ة هادفة حاول **بورس** من خللها توضيح تصوره لمفهوم التجريد فالمنطق في تصوره **ترسيمي أيقوني** قوامه المعارف الرياضية المجردة، و هو لا يكون فعالا إلا إذا التبس لبوس الواقع، فكان تجريبيا تداوليا يحقق تفسير الظاهرة ووصفها من خلل تأويل العلامات، وهذا يعني أن مسألة تأويل العلامات واستكشاف علاقاتها لا يقتضي البتة العمل في إطار لغة واصفة بعيدة ومنعزلة؛ ذلك أن **بورس** "لم يهتم بالعلامة ذاتها ؛ وإنما اهتم بنشاط هذ ه العلامة؛ إذ انشغل بإنتاج كل أشكال العلامات وتأويلها "[1]، مما يدل على أن سيميائيات **بورس** تختص في وصف صيغ توظيف العلامات، وتفسير نشاطاتها الدلالية المفتوحة التي وسمها **بورس** بالسيميوزيس **Semiosis** أو الدلالات المفتوحة.

يقصد **بورس** بالظاهراتية الدراسة الوصفية لكل ما يظهر أمام الوعي سواء كان واقعيا أو غير واقعي، وهذا ما يفرز تساؤلا حثيثا حول علاقة هذا الضرب م ن الدراسات بالفينومينولوجيا، أو بمعنى آخر هل تقترب ظاهرية **بورس** من ظاهراتية **هوسرل؟**

---

[1] Ch.S.Peirce, CP (1.284).
[2] Ibid., CP (1.286).
[3] R. Marty, 99 Réponses sur La Sémiotique, Montpellier, CRDP/CDDP langue doc-roussillon, question.41.

[1]قوتال فضيلة، العلامة والسيرورة الدلالية، ضمن مجلة سيميائيات، ع.01، جامعة وهران، مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، دار الأديب، خريف 2005، ص.178.

تقوم الظاهراتية في تصور **هوسرل** بوصف ما يبدو لاستكشاف محتواه وفهمه، وهي تؤكد على وصف الخبرة الإنسانية بوصفها اتجاها نحو موضوعات القصدية [1]، كما أنها ليست تجريبية لأنها تشبه التحليل، فمن خلل تحليل الفكر للأشياء الواقعية نبلغ جوهرها أو ماهيتها الأصلية، كما أن الأشياء غير الواقعية لا يمكن العثور على جوهرها لأنه غير موجود في الواقع، والظاهراتية على هذا الأساس هي وصف لمجال محايد هو مجال الواقع المعاش، أو نقد ذاتي لفحص الظواهر بطريقة تأملية منعكسة ت وفر رابطة في الفهمين الفلسفي والعلمي للعالم.

إن الفرق بين ظاهراتيتي **بورس وهوسرل** لا يكمن في الموضوع الملاحظ ؛ وإنما يكمن في طريقة ملاحظة هذ ا الموضوع، فملاحظة الظاهرة لدى **بورس** لا تقوم إلا على مقولات كونية شاملة، وهذا يعني أن هدف الظاهراتية هو تحديد المقو لة الكونية التي يجب أن يستهل بها الفكر عمله، فالفكر ذو طبيعة دينامية، ولا يمكن وصف نشاطه إلا إذا تم تصنيفه في مقولات، ولعل هذا ما يجعل من سيميائيات **بورس** تبدو ذات طابع مغالي في التجريد والتعميم [2]، لكنه مع ذلك يوضح الفرق بينها وبين الملاحظة الدي كارتية لحالات الوعي، لأن تأكيد **بورس** على الخاصية المشتركة لما هو ملاحظ تبين أن المهم في تصوره ليست العلاقة بين الملاحظ والظاهرة الملاحظة؛ وإنما هو خصائص هذه الظاهرة وهو ما يعني أن الظاهراتية في تصور **بورس** هي وصف لكيفية اشتغال الفكر، و"هذا يفضي إلى إبراز وظيفة الدلالات المفتوحة، حيث تتوالد وتتناسل أنساق العلامات مشكلة دلالات ليس لأحد القدرة على أن يرسم نهايات معلومة لتخومها "[3]، لأنها دلالات العلامات تتعلق بتعديل المعنى أو تغييره تبعا لمسارات التأويل التي تشقها العلامات ذاتها.

تدل حركة الدلالات المفتوحة إذا على أن التفكير ليس إلا استعمالا للعلامات، وهذا ما سيؤكد أننا نتحدث عن علامات من خلل علامات، ونفكر في علامات بوساطة علامات أخرى، وقد يكون من الأنسب لو أننا عبرنا على هذا التصور بطريقة مغايرة لنقول أننا نمثل الفرصة التي تتاح للعلامات لكي تواصل مساراتها؛ حيث إن "العلامة تكتسب

---

[1] E. Husserl, Idée Directrice pour La Phénomenologie, Introduction générale à la phénoménologie, tr. P.Ricoeur, T.1, éd. Gallimard, 1950, PP. 03-10, PP. 164-167.
Voir aussi : E.Husserl, L'idée de la phénoménologie, Paris, éd.P.U.F., 1993.

[2] عادل فاخوري، تيارات في السيمياء، بيروت، دار الطليعة، 1990، ص.46.

[3] أحمد يوسف، السيميائيات التأويلية وفلسفة الأسلوب، ضمن. مجلة عالم الفكر، ع.03، المجلد.35، الكويت، يناير–مارس، 2005، ص.52.

تعريفات أثناء الانتقال من مؤول إلى آخر "[1]، وهذا يدفعنا إلى تصور الكون وكأنه كم هائل من العلامات، فيتجلى هدف **بورس** من صوغ المقولات الوجودية ويبدو أكثر وضوحا، إذ يمكن القول أن تحديد **بورس** للمقولات يتجلى بوصفه تمييزا للخصائص الأساسية للعلامات، ومن ثم فإن سيميائياته لا تختص بتحديد جوهر العلامة، بل تأخذ على عاتقها وصف النشاط التأويلي المفتوح وتفسيره.

2.6.2. نظـــــرية المقــولات:

اقترح **بورس** وجود ثلاث مقولات للوجود سماها على الترتيب :**أولانية(Firstness) وثانيانية(Segondness)** ، **وثالثانية(Thirdness)**، وقد دفعته دراسة الظواهر إلى هذا الاتجاه قسرا، لأن **الفانيرون (Phaneron)*** أو **الظاهرة** بوصفها "كل ما يتجلى مستقلا عن كونه مدركا"[2]؛ تقتضي دراسة خاصة تتضمن ثلاثة أنماط للمقولات، وقد ذكر **بورس** في إحدى رسائله التي كتبها إلى **اللايدي ولبي (Lady Welby)** أنه "جُبل على التولي شطر الثلاثية وإسناد الدلالات إلى الأعداد لأنه يبغض مثل هذا التصنيف ولا يستسيغه قط لكن الضرورة أرغمته على اعتماده لأنه لم يجد بديلا له "[3]، وهذا يعني أن العلاقة الثلاثية التي تمثل العنصر الأساس في سيميائيات **بورس**، لم يصغها ه ذا الأخير وإنما استكشفها وتبعا لذلك فإن القول بأن "البهاء النسقي للبنية العلائقية قد حظي بالقبول النظري والإجرائي"[4] سيكون ضربا من المبالغة، لأن هذه البنية العلائقية أجبرت **بورس** على القبول بها نظريا وإجرائيا؛ حيث إن الظواهر فرضتها فرضا حثيثا.

وعلى هذا الأساس، تتعلق المقولات ببعضها وفق علاقات استلزامية؛ حيث تقتضي كل مقولة وجود سابقتها، ما عدا الأولى التي لا تسبقها أي مقولة، فالأولانية هي "مقولة الشعور والكيفية"[5]، وهي تشمل كل شيء موجود في ذاته مستقلا عن أي شيء آخر ؛ فما

---

[1]. قوتال فضيلة، مع الم السيميائيات المحايثة وحدودها . دراسة نقدية في نظرية غريماس الدلالية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2003–2004، ص.د.

[*] تعني كلمة كشف أو أظهر Faino في الإغريقية القديمة ، و Fainomenon هي الصيغة اللازمة للفعل وتدل على ما يظهر، في حين أن Faneron المشتقة من الصفة Faneros تعني الظاهرة.

[2] Ch.S.Peirce, CP (8.328), in. Ecrits sur le Signe, Op. cit., p.22.

[3] Ibid., CP (1.284).

[4] عبد القادر فهيم الشيباني ، السيميائيات العامة . أسسها ومفاهيمها، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2005–2006، ص.66.

[5] Ch.S.Peirce, CP (1.304).

يوجد في هذه الرتبة من مراتب الوجود ليست له أجزاء؛ بل ينبغي أن يكون كليا، ويسمي **بورس** الأشياء المنتمية لهذ ا الضرب من المقولات بالأفكار أو الممكنات؛ مما يعني أن الأولانية ستمثل نمط الوجود الذي تعكسه علامة معينة في ذاتها دون الا رتباط بأي شيء آخر، وهذا ما سيحصرها في حدود الإ مكان، ومثال ذلك الحمرة التي وجدت في الكون بوصفها إمكانا كيفيا موجبا قبل تجسيده ا أو قبل وجود شيء أحمر؛ إذ يرى **بورس** أن "الأول يمثل الوعي المباشر"[1]، لأنه غير قابل للتحيين، وينبغي أن يكون حاضرا ومباشرا .

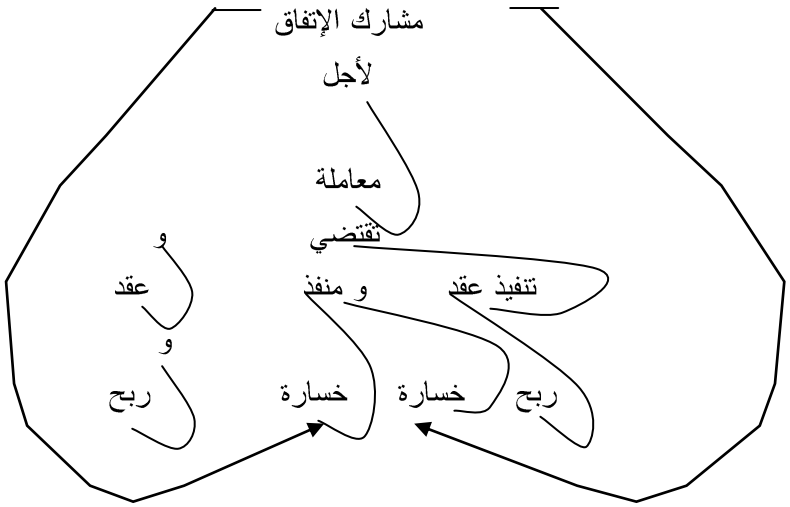
تمثل الثالثانية عالم الوقائع أو الموضوعات التي يتعلق وجودها بردود أفعالها الخام، وهذا النمط من الوجود يتعلق بالتحيين أو **الراهنية (Actualisation)**، فهو يقتضي الأول، وبذلك تغدو "الثانيانية مقولة التجربة والصراع والواقع"[2] كونها تتعلق بالذوات، أما الثالثانية فتتضمن كل ما هو ضروري، ويصفها **بورس** بأنها "مقولة القانون والفكر "[3] ويسمي موضوعاتها بالضروريات **(Necessitants)**، وهي "تمثل كل ما يمكننا معرفته حينما نفكر بطريقة منطقية"[4]، وتعد هذه المقولة تمثيلا وسيطا يربط الأول بالثاني.

	أولانية	ثانيانية	ثالثانية
خصائص عامة	– الكيفية – الشعور – اللاتميز – البدء	– الواقع – الفعل و رد الفعل – المقاومة و الصراع	⊣القانون ⊣الوساطة ⊣العقل ⊣التمثيل
تدرج	ـــــــ	تقتضي أولا	تقتضي ربط الأول بالثاني

– تمثيل بياني لتدرج المقولات–

[1] Ch.S.Peirce, CP (1.26).
[2] Ibid., CP (1.24).
[3] Ibid., CP (1.24).
[4] Ibid., CP (1.26).

لقد اعتمد **بورس** هذا التدرج المقولي لأنه اضطر إلى القبول بالعلاقة الثلاثية وإلى الانسياق وراء **البروتوكول الرياضي**؛ فكان وقوعه عليها أمرا اقتضته ضرورة الوجود لأنها بدت العلاقة الأصلية الوحيدة التي يمكن أن تتيح الظواهر، ولما كان "التمثل واقعا ذهنيا، لا يمكن أن يلغى "[1]، كان حضور العلاقة الثلاثية أمرا لا يمكن إبداله أو إنكاره؛ حيث إن هذه العلاقة تعد الوحيدة ال تي تتألف من عناصر مختلفة سماها **بورس** الأول والثاني والثالث، كما تعد أيضا العلاقة الوحيدة التي تتركب منها كل العلاقات التي تفوقها في درجة الترتيب ؛ فكل ما زاد عن الثلاثة يمكن أن يختزل إليها ومثل ذلك العلاقة الرباعية التي ساقها **بورس** في مثال توضيحي جاء فيه : **(أ يبيع ج إلى ب بالسعر د)** وقد ذكر أن "هذه العلاقة تتألف في الواقع من علاقتين ثلاثيتين، الأولى تتمثل في كون **(أ يتعاقد مع ب وفق صفقة هـ)** والثانية هي أن هذا العقد هو **(بيع ج بالسعر د)** ، وتركيب العمليتين يؤلف علاقة رباعية "[2] وهي علاقة يمكن تحليلها وفق الرسم البياني الذي يمثل تحليل العلاقة الرباعية تحليلا ثلاثيا؛ وبناء عليه يمكن القول أن تصور العلامة لا ينفصل البتة عن العلاقة الثلاثية.



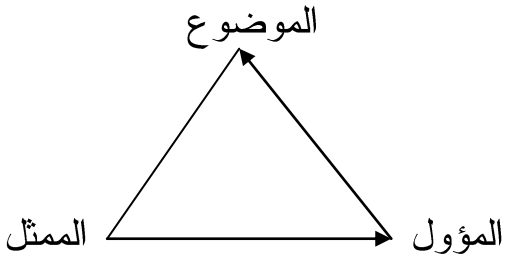
Cf. Ch. S Peirce (1985), P 210

[1] سامي أدهم، إبستيمولوجيا المعنى والوجود. نقد التطورية، بيروت، مركز الإنماء القومي، ص.19.

[2] Ibid., CP (1.363).

3.6.2.التصـــور الثـــلاثـــي للعـــلامـــة:

ذكر **بورس** أن "العلامة هي أول يرتبط مع ثاني هو موضوعه وفق علاقة ثلاثية أصلية تحدد عنصرا ثالثا هو المؤول"[1]، وقد مثلث هذه العلاقة الثلاثية التي صاغها **بورس** وفق تمثيلات ترسيمية مختلفة حيث اقترح **دولودال (G.Deledalle)**[2] وهو أحد شراح **بورس** تمثيلا بيانيا على شكل **مثلث:**



اقترح **رايس (Reiss)**[3] رسما بيانيا تمثيليا للعلاقة الثلاثية رأى فيه الأفضلية؛ كونه يمثل العناصر المكونة لهذه العلاقة بدوائر **فـن(Venn)**، التي اعتمدها **بورس** في تفسيره للمتصل**(Continuum)**؛ وهي تتيح تمثيلا أقرب إلى تصوراته:



Cf. Reiss (1980), P. 123.

يبدو أن مجمل التمثيلات التي صيغت لتوضيح العلاقة الثلاثية كما يتصورها **بورس** تمثل صورة عن هذه العلاقة التي تعكس وجود ثلاثة عناصر هي الممثل والموضوع والمؤول؛ لكن طرق التأويل اختلفت وأفضت إلى تصورات تراوحت بين التمثيلات الهندسية المختلفة للمستقيم والمثلث والدائرة، وهي موضوعات تطرق إليها **بورس** من خلال دراسته للمتصل وللمفتوح.

[1] Ibid., CP (2.274).
[2] Ch.S.Peirce, Ecrits sur le Signe, op. cit., p.229.
[3] T. J. Reiss, Peirce. Frege. La vérité, le tiers inclus et le champ pratiqué, in. Langage, n°.58, 1980, pp. 130-127, p.123.

إن العلاقة الثلاثية تعكس تفاعل ثلاثة عناصر في سيرورة مفتوحة تتيح ت والد المعنى وتناسله، وقد وسمها **بورس** "**بالدلالات المفتوحة**" **(Semiosis)**؛ وهي ذلك النشاط الذي تمارسه العلامات أثناء عملية التأويل ؛ فالدلالات المفتوحة هي "سيرورة تقتضي تفاعل الممثل وموضوعه ومؤوله، وهذا التفاعل لا يمكن أن يختزل البتة إلى علاقات زوجية "[1] وبناء عليه يتضح أن هذه العلاقة الثلاثية تقوم على ارتباط الممثل بالموضوع من خلال فعل التوسط الإلزامي الذي يقوم به المؤول، ولإدراك هذا التفاعل الذي يحدثه المؤول لابد من تحديد عناصر العلامة.

4.6.2.العـــلامـــة:

تعد العلامة في تصور **بورس** "وحدة ثلاثية المبنى غير قابلة للا ختزال في عنصرين"[2] ومن ثم تكون العلامة أنموذجا لمقولة الثالثانية؛ حيث إنها " تشكل علاقة ثلاثية تتضمن ثلاثة أبعاد هي بعد الممثل وبعد الموضوع وبعد الم ؤول، وهذا الأخير يشكل العنصر الفاعل في العلاقة كونه المسؤول عن إقامة العلاقة السيميائية بين الممثل والموضوع"[3]، وعلى هذا الأساس، يتبين أن الثلاثية لا تمت بصلة إلى مسألة المرجع، فهي ليست استحضارا لعنصر ثالث غائب؛ بل إن العنصر الثالث يحضر في هذه العلاقة حضورا دائما؛ إذ لا تؤدي العلامة دورها الإدراكي إذا غاب، وهذا يعني أن غياب المؤول يعني غياب التمثيل والمعنى.

قد يلاحظ قارئ **بورس** بعض التداخل في استعمال المفاهيم؛ حيث يلفي استعمالا مماثلا للحدين **علامة** و**ممثل**؛ لكن هذا الاستعمال لا يجيز البتة التفكير في العلامة بوصفها مطابقة للممثل؛ إذ ثمة اختلاف بينهما، وهو اختلاف يتعلق بمسألتي التصور والإجراء؛ حيث إن **بورس** كان "يستعمل العلامة بوصفها شيئا معطى (...) في حين يستعمل الممثل بوصفه فاعلا في السيرورة الثلاثية "[4]، وهذا يدل على أن **بورس** كان يلجأ إلى استعمال **العلامة** في حالة التنظير، أما الحد **ممثل** فقد كان يستعمله بوصفه مفهوما إجرائيا تقنيا.

---

[1] Ch.S.Peirce, CP (5.484).

[2] سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، الرباط، منشورات الزمن، 2003، ص.61.

[3] G. Deledalle, Théorie et Pratique du Signe. Introduction à la sémiotique de charles.s. peirce, Paris, éd. Payot, 1979, p.24.

[4] N. Everaert-Desmedt, Le Processus Interprétatif. Introduction à la sémiotique de ch. S. peirce, Bruxelles, éd. Pierre Mardaga, 2001, p. 39.

ركحا على ما سبق، يتبين أن الشرط الأولي للتجربة الإدراكية هو حضور سيرورة ثلاثية تأويلية تتضمن ثلاثة عناصر ترتبط فيما بينها ارتباطا يتيح استحضار التجربة استحضارا مجردا، فالسيرورة الثلاثية كما يتصورها **بورس** لا تقف عند مستوى واحد؛ بل تشمل جميع مستويات العلامة، وذلك ما يفسر تلك الصبغة الثلاثية التي تلتبس جميع العلامات في صنافة **بورس**.

إن العلامة في تصور **بورس** هي ممثل يحيل إلى الموضوع من خلل عنصر ثالث هو المؤول، فما الذي تعنيه هذه العناصر السيميائية ؟

يعرف **بورس** الممثل **(Representament)** بوصفه "شيئا ينـوب عن شيء آخر بالنسبة لشخص معين فينشئ في تصوره علامة موازية له أو أكثر تطورا منه، والعلامة التي ينتجها هي المؤول، أما الشيء الذي تحل محله فهو الموضوع"[1]، وهذا يعني أن مهمة الممثل تنحصر في التمثيل، أما الموضوع **(Object)** فهو ما يمثله الممثل، "سواء كان هذا الشيء الممثل واقعيا أو خياليا "[2]؛ وهو غير مجسد، والمؤول **(Interpretant)** يمثل فعل التوسط الإلزام ي بين الممثل والموضوع، إنه "يحدد صدق العلامة ويضعها للتداول "[3] وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤول **(Interpretant)** لا يعني في تصور **بورس** الشخص الشارح **(Interpréter)**؛ بل إنه فكرة للوساطة لا يمكن أن تحصر في حدود الفرد، وقد شكلت هذه الفكرة بعض اللبس لدى **موريس** الذي صاغ تعريفا للتداوليات يصفها فيه "بدراسة علاقة العلامات بمستعم ليها"[4]، ويقصد بالمستعملين مجموع الشراح **(Interpreters)**.

يتبين مما سبق، أن العلامة تمثل مجموعة من العلاقات التي تجمع دوما بين ثلاثة أطراف، يمثل المؤول مركزها التداولي، لأنه يحيل إلى الموضوع وفق قاعدة معينة أو بالارتكاز إلى أساس معين يمثل **القانون** أو **المحك الجماعي**، وهذا يعني أن الإمساك بالمعنى لا يتاح إلا في حدود الخضوع لسلطة القانون.

---

[1] Ch.S.Peirce, CP (2.228).

[2] Ibid., CP (2.229).

[3] سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، مر.س، ص.67.

[4] Ch. W. Morris, Signification and Significance,Op.cit., pp.03-04.

لقد كان **بورس** تطوريا؛ إذ كان يؤمن بأن العالم يتغير تغيرا مستمرا، وأن الممارسة الإنسانية ثرية، ومن ثم فإن التمثيل لا يمكن أن يكون ثابتا؛ بل سيخضع للتغير؛ وذلك ما جعله يفكر في طريقة دقيقة لوصف الظواهر؛ فلجأ إلى تصنيف الموضوعات إلى نوعين، أحدهما نعته "**بالموضوع المباشر**" **(Immediat object)** وهو الموضوع المعطى داخل العلامة بطريقة مباشرة، أما **الموضوع غير المباشر** **(Mediat object)** فهو تلك المعرفة الحركية التي تدرك من خلل ما هو مفترض على "المدى البعيد" **(In the long run)**، ويسمى هذا النوع من المعرفة أيضا "بالموضوع **الدينامي**" أو "**الحركي**" **(Dynamic object)** وهو يعد نتاج سيرورة تأويلية سابقة ينعتها **بورس** "بـ **التجربة السالفة**" **(Collateral experience)**[1]، وبهذا يتضح أن **بورس** كان يحاول أن يوجد لنفسه فضاء دقيقا يتراوح بين المعنى الثابت وبين المعنى المتحول؛ حيث يمكن أن يكون الموضوع ثابتا، ومباشرا وبسيطا، ويمكن أيضا أن يكون ضمنيا ومتغيرا، وقد يحيل هذا التصور إلى ضرورة تباين المؤولات بوصفها توسطات إلزامية.

5.6.2.التـــداوليـــــات وسيرورة التـــــأويـــل:

يعد المؤول العنصر الأساس في حركية الدلالات المفتوحة؛ إذ لا يمكن الحديث عن العلامة بمعزل عن المؤول، لكن إذا كان المؤول هو العنصر الوسيط في السيرورة الدالة فهل هذا يعني أن التأويل يستند إلى معارف سابقة ؟

يعرف **بورس** المؤول بوصفه "الفكرة التي تنشئها العلامة في فكر الشارح "[2]، وقد يلتبس الأمر على القارئ، فيعتقد لأول وهلة أن المؤول بهذا المعنى هو تمديد لتعريف الحد أو ترجمة للعلامة؛ إلا أن المؤول في تصور **بورس** يتعلق بكونه أداة تفسيرية، لأنه يختص بسيرورات تتسم بدرجة عالية من الدقة تنسجها حر كية الدلالات المفتوحة؛ وقد كان **بورس** على وعي بم ا قد يثيره المؤول من غموض، فحاول جاهدا تفسير دوره من خلل تصنيفه إلى ثلاثة أنواع، كان أولها "**المؤول المباشر**" **(Immediat interprétant)** الذي يعين المعنى المباشر أو الظاهر للعلامة، أما المؤول الثاني، فهو **المؤول الدينامي**

[1] G. Deledalle, Théorie et Pratique du Signe, Op, cit., p.22.
[2] Ch.S.Peirce, CP (1.338).

أو**الحركي (Mediat interprétant)**"[1] الذي يسهم استحضاره في توليد الدلالات ضمن سيرورة تأويلية لا يمكن إيقافها، ليلج التأويل دائرة اللامتناهي، لكن **بورس** كان يعي أن التأويل اللانهائي يجب أن ينتهي، ومبدأ اختزال المتعدد يبين وجهة النظر هذه؛ حيث إن هذا "الاختزال يشير لا ريب إلى وضع حدود للتأويل "[2]، وما **المؤول المنطقي**[3] **(Logic interprtant)** أو **النهائي (Final)** إلا تأكيد على ضرورة الكبح الجزئي للمعنى، أما **المؤول العاطفي (Affectif interprtant) والمؤول الطاقوي (Energeticinterprtant)** فيظهران كصورة للمؤولين المباشر والحركي ولكن في المستوى الذهني.

أضفى **بورس** بعدا ثلاثيا على العلامات؛ إذ جعل كل عنصر من عناصر النسق الثلاثي يندرج ضمن مقولة وجودية معينة، وقد كان نزوعه نحو التصنيف الثلاثي قائما على غاية محددة تمثلت في تحديد المعرفة؛ حيث إنه كان يتطلع إلى تأسيس منهجية عقلانية شاملة يمكن ا عتمادها في جميع المعارف والعلوم على غرا ر ما رسخه **أرسطو** في المنطق و**بركلي في الفلسفة**؛ حيث حاول هدا الأخير صوغ أسس علمية محددة قوامها التصنيف والتحديد؛ لأنه كان على اقتناع بأن "سبر أغوار أي علم يقتضي حصره، وتمييز مبادئه وتحديد موضوعاته"[4]؛ وهذا يعني أن التصنيف ليس إلا محاولة للتبسيط والحصر.

لقد اعتمد **بورس** ثلاثة معايير لتصنيف االسيرورات الدالة؛ فصنف العلامات تبعا لعلاقاتها بذاتها، ثم في علاقاتها بموضوعاتها، لينتهي إلى صوغ معيار علاقة العلامات بمؤولاتها.

- لقد ميّز **بورس** في المعيار الأول بين ثلاثة أنواع ممكنة للمثل أو العلامة هي:

- العلامة الكيفية**(1.1)**، وهي كل علامة تمثل الكيفية البسيطة مثل: الحمرة.
- العلامة الفردية**(1.2)**، وهي كل علامة تمثل الحدث الفردي مثل : الرسم أو الصورة.

---

[1] Ch.S.Peirce, CP (5.473).

[2] لقد كانت هذه الفكرة، سببا في تحول "**إيكو**" من "**الأثر المفتوح** "إلى "**حدود التأويل**".

Voir. U. Eco, les limites de l'interprétation, tr. Myriem Bouzaher, Paris, éd. Grasset, 1992.

[3] Ch.S.Peirce, CP (5.476).

[4].G. Berkeley, De Motu. In. Œuvres. II , Paris, éd. P.U.F., §.72, 1987, P. 181.

- العلامة الشرعية **(1.3)**، وهي كل علامة اصطلاحية أو قانون اعتمدته الجماعة المختصة مثل:الصورة الهندسية.

- بالنسبة لعلاقة العلامة بموضوعها ، يتضمن هذا المستوى ثلاثة أنواع من السيرورات.

- العلامة الأيقونية **(2.1)**، وهي كل علامة تربطها بموضوعها علاقة المشابهة مثل الرسم البياني.

- العلامة القرينية **(2.2)**، وهي كل علامة ترتبط بموضوعها وفق علاقة حركية، مثل الدخان الدال على النار.

- العلامة الرمز **(2.3)**، وهي العلامة التي تحيل إلى الموضوع عبر سنن معين أو استنادا إلى المواضعة، ومثل ذلك العلامة الوضعية أو الاسم المشترك.

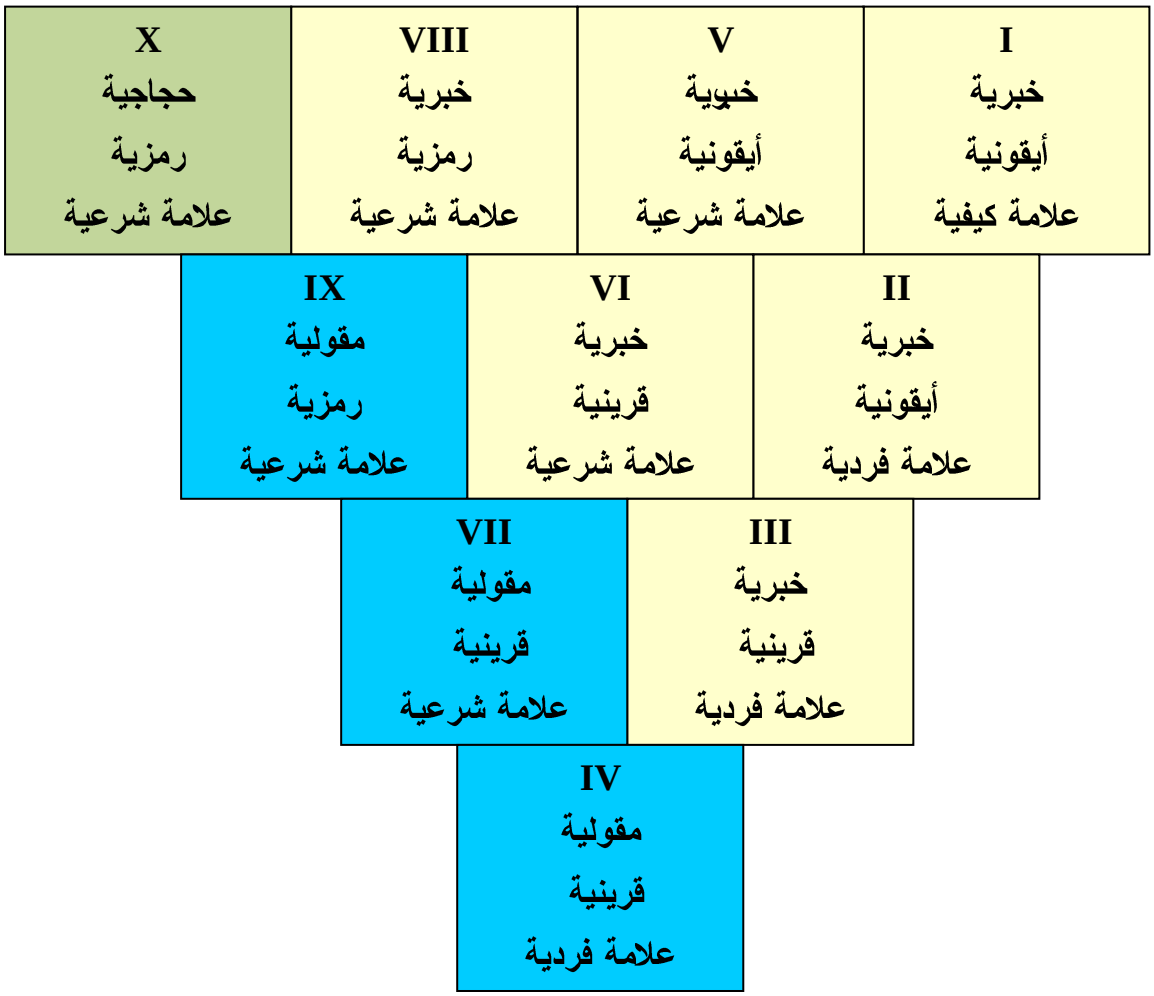
- المعيار الثالث للتصنيف هو الطريقة التي يتيح المؤول من خللها تمثيل الموضوع من قبل الممثل، ويتضمن هذا المستوى أيضا ثلاثة أصناف هي:

- العلامة الخبرية **(3.1)**، وهي كل علامة يقتضي تأويلها الاكتفاء بالإحالة إلى ذاتها، مثل تفسير مفهوم معين برسم معين.

- العلامة المقولية (3.2)، وهي العلامة التي يقتضي تأويلها الإحالة إلى عناصر السياق الذي يحدها، ومثل ذلك شرح مفهوم معين من خلل ذكر الوضعية الواقعية التي تصوره.

- العلامة الحجاجية (3.3)، وهي العلامة التي يقتضي تأويلها الإحالة إلى مجموع القواعد أو القضايا المنطقية ومثل ذلك تفسير مفهو م معين باستحضار كلمات معروفة أو متواضع عليها وتنتمي للنسق الدلالي الذي تنتمي إليه العلامة.

عمد **بورس** بعد تصنيف العلامات إلى تركيبها، وقد حدد إثر ذلك عشرة مراتب للعلامات كانت كل واحدة منها تشكل **سيرورة تأويلية ثلاثية**، وقد مثلها **بورس** بالمثلث الآتي:



Cf. Ch.S.Peirce, CP (2.264).

يبدو أن هذه السيرورات الثلاثية يمكن أن تضطلع بوظائف تأويلية معينة، وذلك ما يبعث على تصنيفها تبعا للوظائف التي تؤديها؛ إذ يمكن أن تندرج ضمن ثلاثة سيرورات نمطية تتمثل في : **السيرورة الكيفية أو العاطفية**، و**سيرورة الجهد** أو **العمل**، و**السيرورة الحجاجية** أو**المعرفية** التي تمثل **البعد التداولي**؛ وبناء على ذلك حاول البحث أن يمثل تصنيف هذه السيرورات على النحو الآتي:

السيرورة الكيفية	سيرورة الجهد	السيرورة الحجاجية
-علامة كيفية أيقونية خبرية. -علامة فردية أيقونية خبرية(الصور،الرسوم البيانية، الاستعارات). -علامة فردية قرينية خبرية. -علامة شرعية أيقونية خبرية. -علامة شرعية قرينية خبرية. -علامة شرعية رمزية خبرية.	-علامة فردية قرينية مقولية. - علامة شرعية قرينية مقولية. -علامة شرعية رمزية مقولية.	-علامة شرعية رمزية حجاجية.

لقد كان **بورس** يعي أن المعنى لا يمكن حصره ؛ لذلك صاغ فكرة الدلالات المفتوحة، لكنه وضع ضوابط للمعنى تتمثل في المؤولات المنطقية على الرغم من اقتناعه بانفتاح التأويل ؛ فما الذي كان يعنيه بهذا التمييز؟ ثم ماذا يمثل اللامتناهي في تصوره وماهي أهم الأفكار التي صيغت بشأنه؟ وهل يمكن أن تكون تصورات **بورس** حول اللامتناهي امتدادا لتصورات سبقتها؟

7.2. جدل اللامتناهي:

يحمل مفهوم اللامتناهي (**Infini**) معاني عديدة ومتغيرة خارج إطار الرياضيات وعلى الرغم من ذلك فإن أغلب الذين تطرقوا إليه بالبحث كانوا من زمرة الرياضيين لكن البدايات نشأت من صلب الفلسفة ضمن مسار من التحولات سيقدم البحث أهمها.

تنحدر التصورات الفلسفية والرياضية للامتناهي من الثو رة الكوبرنيكية حيث أمن الانعكاس حول اللامتناهي ربط اللامتناهي كما تتصوره النزعة الواحدية (**Monothéisme**) بنظريات الفلك الحديثة ، وتمخضت عنه دعوى إعادة التفكير في علاقة اللامتناهي بالمتناهي وفي علاقة اللامتفاهي باللامحدود (**Indeterminatum**) ، فنتج عن ذلك تحرر اللامتناهي من ربقة الغموض الذي أحاطه به التقليد الأرسطي.

1.7.2. اللامتناهي في تصور أرسطو:

لقد حاول **أرسطو** في **[الفيزياء]**[1] الإجابة عن سؤال فحواه : هل يوجد اللامتناهي بالفعل؟

استهل **أرسطو** محاولته بتحليل صدق مختلف نظريات اللا متناهي وهي محاولة تستحق ضم المحاولات التي جعلت من اللامتناهي مبدأ للموجودات[2]؛ إذ ذكر **أرسطو** أن امتحانا منطقيا ينفي وجود اللا متناهي، فإذا كان تعريف الجسم يتضمن القول بأنه "ما يحدده السطح ، فإن الجسم اللا متناهي غير موجود، وغير مدرك ، وغير حسي أيضا"[3] وبمعنى آخر فإن اللا محدود ليس جسما، إنه إذا لا يوجد بوصفه لا متناهيا راهنا لأن الموجود كما يتصوره **أرسطو** موجود بالقوة وموجود بالفعل، أما اللامتناهي فهو لامتناهي بالتركيب ولامتناهي بالتفصيل وعلى هذا الأساس يتم إسناد اللامتناهي إلى الرتبة فلا يكون موجودا إلا بالقوة.

يحدد **أرسطو** هذا الوجود الكامن للامتناهي بوصفه منتميا للرياضيات؛ ففي دراسته للمتصل لم يتمكن من إغفال اللا متناهي الذي "حدد موضوعه بالمتصل الحسي "[4]؛ لكنه استبعد "إمكان استعماله كموضوع"[5]؛ فربط فكرة اللا تناهي بفكرة النقص لذلك نجده يلغي

---

[1] Artiste, La physique, T.1, Livres I-IV, tr. H. Cartéron, Paris, éd. Les belles lettres, 2002.

[2]. في إشارة إلى محاولات فيتاغورث و أفلاطون وديمقريدس و أناكساغور.

[3] Aristote, La physique, Op.cit., L'infini sensible, P III (5)- 204 b.

[4] Ibid., P III, 7, 208 à 1-2.

[5] J. Biard, Logique et physique de l'infini au XIV[e] siècle, in. Infini des mathématiciens. Infini des philosophes, ouvrage collectif sur la direction de. P. Monnoyeur, Paris, éd. Belin, 1992, P.17.

اللامتناهي بالفعل لكنه يبقى بالمقابل على اللامتناهي بالقوة ليحصر اللا متناهي في الإطار الرياضي، "فإلغاء اللا متناهي بالفعل (...) لا يعني إلغاء اعتبارات الرياضيين "[1]، وهذا معناه أن اللا متناهي بالفعل غير موجود؛ بل إن اللا متناهي لا يحمل معنى إلا لدى الرياضيين الذين يستعملونه بوصفه لا متناهي بالقوة.

نتجت مقاربة منطقية عن التحليل الأرسطي قام بها **ريميني (Gregoire De Rimini)** فكانت محاولته بمثابة "نقطة تقاطع بين تحليل منطقي لسا ني للملفوظات وبين فيزياء أرسطية "[2]؛ فقد كانت قائمة على اللا متناهي في القضايا وعلى تحليل واصف للسانيات.

2.7.2 الثورة الكوبرنيكية وجدل اللا متناهي:

مع امتداد النزعة الواحدية شغل اللا متناهي بالفعل بوصفه سمة إلهية مركز الجدل اللاهوتي فعرفت فترات القرون الوسطى وعصر النهضة وجودا لا متناهيا بالفعل مقترنا باللامتناهي الإيجابي للإله؛ إذ كان المفكرون يرون أن ا لعالم منتهي لكن الإله لا متناهي وقد أثرت الثورة الكوبرنيكية في بلورة مفهوم اللامتناهي ؛ إذ شكلت النتائج الفلكية التي قال بها كل من **كوبرنيك (Copernic)** و**غاليلي (Galilée)** فتحا مفاهيميا لكن هذه الملاحظات العلمية لم تكن كافية للتأكيد على مبدأ اللامتناهي الذي لم يكن مبررا علميا.

تأثر **برونو**[3] **(Filppo Bruno)** بالثورة الكوبرنيكية ، وشغلت مسألة اللامتناهي مركز فكره؛ حيث كان "يعتقد بوجود كون لا متناهي بالفعل (...) وفتح الحدود ليس إلا كشفا للامتناهي الذي يسبق المتناهي من الناحيتين المنطقية والوجودية"[4]، وبهذا المعنى فإن اللامتناهي يؤسس المتناهي ويبرره لأن اللامتناهي هو التعبير عن قدرة الخالق ، فالأرض عالم منته في ذاته يقع في تشكل لا متناهي هو النظام الشمسي الذي يفرز عددا غير منته من العوالم المنتهية، وهذا ما يجعل اللامتناهي يبدو وكأنه أصل لجميع الموجودات أو رحم جامعة للكون.

---

[1] Aristote, La physique, Op.cit., PIII, 207 a.

[2] J. Biard , OP.cit., P.33.

[3]. " فيليبو برونو " ولد سنة 1548 بمدينة نولا وهي بلدة صغيرة تقع شرق نابل ، التحق سنة 1565 بالدير الخاص بالقديس دومينيك ليغدو واحدا . من جماعة الوعظ ، وقد كان يلقب ب" جيوردانو "(Giordano).

[4] J.Seidengart, La cosmologie infiniste de Giordano Bruno, in. Infini des mathématiciens infini des philosophes, Op.cit., P.68.

قارن **باسكال (Blaise Pascal)** نهاية الإنسان بنهاية الكون الذي لا يتجاوب مع الشعور بالانزعاج حيال الشساعة، لأن كل معيار للامتناهي أو كل قياس له ليس إلا سخرية إذ "يقال عن الرتب أنها من النوع ذاته حينما تتمكن إحداهما من تجاوز الأخرى إذا تمت مضاعفتها "[1]؛ وهذا يعني أن كل فكرة تتعلق بالنسبة تصادف عزلا من قبل اللامتناهي لأن "الإنسان ليس إلا عدما في الطبيعة إذا ما قورن باللامتناهي "[2]، وعلى هذا الأساس يكون اللامتناهي كلا إزاء العدم الممثل في المتناهي أو يمكن القول أن اللامتناهي يقع حدا وسطا بين العدم والكل، ولذلك سيكون من المستبعد فهم حدوده أو حتى معرفتها فاللامتناهي يستدعي–بالنسبة ل**باسكال**– وعيا بعدم استمرارية رتب المتناهي واللامتناهي كما يستدعي إقصاء للمتناهي؛ "ففي حضور اللامتناهي ينعدم المتناهي ليغدو عدما "[3]؛ لأن اللامتناهي ممتد وليست له حدود ، وإن كان وجوده معروفا فإن طبيعته تبقى مجهولة لأنه يرتقي عن المعرفة البشرية التي تنضاف إلى زمرة المتناهي ولا يمكن أن تتجاوزه.

لم يستسغ **ليبنيز** تصور **باسكال** القائم على هدم المتناهي باللامتناهي فلجأ إلى قراءة حضور اللامتناهي في كل تبر من المتناهي ، وهي قراءة نقدية لمسألة الرتب التي قال بها **باسكال**، حيث ذكر **ليبنيز** على لسان **ثيوفيل (Théophile)** الذي رد على محاوره **فيلاليت (Philaléte)** أن"المتناهي الحقيقي لا وجود له إلا في المطلق الذي يسبق كل تركيب، ولا يمكن أن يتألف من أجزاء "[4]؛ فكل رتبة من مستوى معين تمثل نسبة يمكن حسابها وتعبر عن رتبة أرقى منها ، وبذلك يكون حساب اللامتناهي ممكنا حسب **ليبنيز** الذي يسند إليه اكتشاف الحساب المتناهي الصغر **(Calcule Infinitésimal)**.

فضل **ليبنيز**[5] اختصاص الخالق باللامتناهي الراهن وتسمية الحساب المتناهي الصغر باللامتناهي الكامن، لأن اللامتناهي ليس إلا خيالا كما يتصوره، وقد صرح أنه لا يتقبل الرتب اللامتناهية الكبر ، ولايرى فيهما إلا صورتين للكلام، أو خيالا ينسجه الفكر

[1] J.B.Pascal, L'esprit de la géométrie et l'art de persuader, Paris, éd. Seuil, 1963, P.356 A.
[2] J.B. Pascal, Pensée- in. Œuvres complètes, établis et annotés par J. Chevalier, Bibliothèque de la pléiade, Paris, éd. Gallimard, 1954, PP.1106 – 1107.
[3] Ibid., P. 1112.
[4] V.W. Leibniz, Nouveaux essais sur l'entendement humain, Intro_ J. Bruschurg, Paris, éd. Garnier – Flammarion, 1966, P.132.
[5] J. Dieudonné, L'infini des mathématiciens in. Infini des mathématiciens infini des philosophes, Op.cit., P.16.

على منوال الجذور التخيلية في الجبر "[1]، وبذلك يكون **ليبنيز** قد رفض التفكير في علاقة اللاتناهي التي تربط مجموعتين لامتناهيتين.

ولج اللامتناهي مجالي الفيزياء والهندسة مع أعمال كل من **نيوتن(Newton)** و**ديزارغ (Desargues)**، و **بولزانو(Bolzano)**؛ حيث قدم **نيوتن** أثناء بحثه المتعلق بحساب التدفقات **(Calcul des Fluxions)**[2] حسابا للامتناه ي يميز بين المتناهي واللامتناهي؛ فقدم "هندسة للامتناهي في فضاء متناهي هو فضاء الكرة **(La sphère)**"[3] وقد جدد البحث حول الفضاء الهندسي حينما أسس "هندسة للهندسة" أو بمعنى آخر هندسة واصفة.

تطرق **بولزانو** إلى مسألة "متناقضات اللامتناهي "[4]**(Paradoxes de l'infini)** وتوصل إلى أن الانعكاسية هي الخاصية المطلقة للمجموعات اللامتناهية مما جعله يتقبل في الوقت ذ اته وجود فكرة تدرج اللامتناهيات، كما أنه قدم أيضا المعايير الضرورية للوصل الثنائي **(Relation Bijective)** الذي يعد – في تصوره – علاقة ربط لمجموعتين لامتناهيتين.

3.7.2- اللامتناهي واللامحدد:

مثلت هندسة **ديزارغ** وطريقة السلاسل اللامتناهية والتدفقات التي أسسها **نيوتن** مرجعية هام ة بالنسبة ل **ديكارت** الذي استبدل اللامتناهي الكامن ب "**لا تحديد**" المادة **(l'indéfinité)**؛ حيث يتعلق الأمر بتصور اللامحدد الذي تندرج إشكالية اللامتناهي بفعله في إطار الفيزياء.

وعلى هذا الأساس لاينطبق اللامتناهي في التصور الديكارتي إلا على الخالق في حين يبدو العالم غير محدد، وعلى الرغم من أن هذه الفكرة كانت حاضرة في فكر **دي كو (Nicolas De Cues)** الذي تحدث عن وجود نوعين من اللامتناهي "أحدهما سلبي يختص بالعالم والآخر إيجابي يختص بالخالق "[5] إلا إنها تلبست معنى مغايرا لدى **ديكارت**؛ ففي

[1] V.W. Leibniz, Correspondance avec des bosses, 11/03/1706, in – Leibniz, les deux labyrinthes, textes choisis par. M. Chauve, Paris, éd. P.U.F, 1973, P.47.
[2] F. De Gaudt, Newton, la justification des infiniment petits et l'intuition du mouvement, in. Infini des mathématiciens. Infini des philosophes, Op.cit., PP 150-151.
[3] J-J. Szezecimiarz, Le thème projectif : Desargues. L'infini a distance fini, in. Infini des mathématiciens. Infini des philosophes, Op.cit., PP.95 – 129.
[4] J. Dieudonné, Op.cit.16.
[5] J. Dieudonné, Op.cit., P.14.

النسق الديكارتي تندرج المادة ضمن إطار المدى الهندسي **(Etendue Géométrique)** ليتم إدراكها بوصفها مدى ، والعالم الذي قدمه **ديكارت** بوصفه "لا محددا"[1] سينطبق على هذه المادة؛ وهنا يكمن الفرق بين **دي كو** الذي سادت كونه الضبابية وبين **ديكارت** الذي اختص الكون بالفضاء، ومن هذا المنطلق يمكن القول أن اللامتناهي في تصور **ديكارت** لا يوجد في الرياضيات؛ بل يوجد فقط اللامحدد ، وهذه الوضعية التي تقصي اللامحدد شبيهة بتلك التي ساقها **أرسطو** في حديثه عن "اللامتناهي الكامن ضمن المجال الرياضي "[2] والقول باللامحدد يعني بالنسبة لـ **ديكارت** ولوج مجال الفيزياء.

ذكر **ديكارت** أن "مطابقة الفضاء للمادة تؤمن إمكان تطبيق اللامحدد في العالم "[3] واسترسل في محاولة تحديد اللامتناهي في مقابل اللامحدد حينما قابل اللامتناهي بالفهم والإدراك، وقابل اللامحدد بالمعرفة، ذلك أن "معرفة الخالق بوصفه لا متناهيا وقديرا أمر مؤكد، لكن فهمه وإدراكه من ضرب المحال، لأن أرواحنا متناهية وقاصرة (...) ولأن الفهم و الإدراك هما احتضان للفكر على خلاف المعرفة التي ليست إلا ملامسة له "[4] وبناء عليه فإن المعرفة وإن كانت تتعلق برد المجهول إلى المعلوم[5]؛ فإنها تبقى قاصرة إذا إذا تعلق الأمر باللامتناهي الذي لا يمكن أن تحيط به كونه "ليس ناتجا عن عملية استنباط يمارسها المتناهي الذي يتسم بالمحدودية وبالنقص "[6]؛ بل هو ذو طبيعة فارة أو حركية إن استعرنا الحد من **بورس.**

4.7.2- اللامتناهي و نشوء الكون:

صاغ **كانط** في "**نقد العقل المحض**" نقدا لمفهوم اللامتناهي الراهن **(Infini actuel)** لأنه كان "يؤمن بأن العالم لامتناهي، كونه يتعلق بالإله الذي يعد بدوره لامتناهي "[7]؛ إذ ليس من المعقول القبول بنهاية العالم، ومن العسير أيضا القول بلانهاية العالم بالفعل حيث لايمكن أن يكون اللامتناهي ناتجا عن أي تمثيل ، وحيث لا يمكن القبول به بوصفه

---

[1] .R. Descartes, Entretien avec Burman, texte 39, textes établis par A. Tannery, T.V, Paris, éd. P.U.F, 1981, P.167.
[2] Aristote, De la physique, Livre III, 206 a – 207 b.
[3] R. Descartes, Entretien avec Burman, texte 39, Op.cit., P.100.
[4] R. Descartes, Entretien avec Burman, texte 15, Op.cit., P.154
[5] R. Descartes, les règles pour la direction de l'esprit, in œuvres philosophiques, prés. F. Alquié, Paris, éd. Garnier, T1,1618-1637, pp. 101- 108
[6] P. Guenancia, Descartes, Paris, éd. Bordas, 1986, P.140.
[7] W. Rod., le problème de l'infini dans le développement de la pensée critique de Kant, in. Infini des mathématiciens. Infini des philosophes, Op.cit., P.159.

مفهوما، وبناء عليه فإن اللامتناه ي الكامن هو الذي يستعمل في الرياضيات وفي العمليات العقلية التي تحدث هي الأخرى في زمن لامتناهي يمنع وجود لامتناهي راهن، وبناء على ما سبق يمكن القول أن اللامتناهي الكامن هو ما تحتاجه المعرفة؛ أما اللامتناهي الراهن فهو إن صح القول فكرة من أفكار العقل قد تصلح للأخلاق وللجمال.

تساءل **كانط** أيضا عن شرعية مسألة تجزيء العالم؛ وعن إمكان انتهاء سيرورة التجزئة إلى أقسام بسيطة؟ وفي حديثه عن اللامتناهي الصغر الذي رأى أنه "أهمل (...) وتم الحكم عليه دون أن ينل قدرا كافيا من الفهم "[1]؛ نلمح نقدا ضمنيا ل **هيوم (David Hume)** الذي "كان اللامتناهي الصغر يمثل بالنسبة له مجرد خدعة مدرسية"[2]، ورفض إثر ذلك كل تقسيم للامتناهي كما رفض فرضيتي الأجزاء اللامتناهية الصغر والأجزاء اللامتناهية الكبر.

من هذا المنطلق يمكن تعيين الحد الفاصل بين كل من **هيوم** و**كانط** فيما يتعلق بمسألة اللامتناهي، فإذا كان اللامتناهي لا يعني شيئا بالنسبة ل **هيوم**، فهو– على النقيض من ذلك– يمثل في تصور **كانط** إشكالية مركزية كونه يرتبط بـالوجود ارتباطا وثيقا[3]، وقد تضمنت هذه الإشكالية تساؤلا حول نشوء الكون وحول حدوده، كان فاتحة لتساؤلات حول المعرفة والإدراك؛ وحول حدود هذه المعرفة؟

8.2– من اللامتناهي إلى المفتوح:

لاينفصل اللامتناهي في تصور **بورس** عن فلسفته ولاعن ميتافيزيقا المستمر التي سماها النزعة الاستمرارية **(Synechism)**؛ فالميتافيزيقا "يجب أن تعلمنا عما يماثل العالم ؛ إن كانت الآمال المنظمة التي تسير أبحاثنا المنطقية صحيحة كليا "[4] وهذا يعني أن عملنا في المنطق – كما يتصوره **بورس**– هو الذي يدعونا إلى تأسيس نسق ميتافيزيقي مميز أما تأسيس منطق قائم على المي تافيزيقا فهو أمر غير ممكن البتة ، لأنه سيكون "محاولة مجنونة"[5]، فبقدر ما تعجز الميتافيزيقا عن تفسير الطريقة التي يتبعها الفكر في تحصيل

[1] .W. Röd., Ibid., P.160.
[2] .Ibid, P.160.
[3] .E. Kant, Critique de la raison pure, Tr. A. Tremesayges et B. Pacard, Préf. Ch. Serrus, Paris, éd. P.U.F, 1971, PP. 338-339.
[4] Ch .S.P eirce, CP (1. 487).
[5] Ibid., CP (2. 168).

القدرات التي تتطلبها الممارسة المنطقية، تكون نتائج المنطق ناقصة ؛ ولفهم هذه العلاقة لجأ **بورس** إلى صيغة استدلال وسمها بالافتراض **(Abduction)**.

ينطلق **الافتراض** من أمل "وجود قرابة بين الفكر البشري وبين الطبيعة، ابتغاء الابتعاد عن الصدفة، وهو تلك المحاولات التي تحكمها الموازنة مع الملاحظة "[1]؛ لأن اختيار الافتراض يوجهه المعنى المشترك.

استهل **بورس** مشروعه بمحاولات رياضية حول تتالي النقاط في خط مستقيم لينتهي إلى تحديد المستمر بوصفه سيرورة غير متناهية ومتجددة؛ فكل متتالية غير متناهية تمخضت عن متتالية غير متناهية ناشئة عن متتالية سابقة غير متناهية أيضا، وهكذا دواليك إلى مالا نهاية ، ولعل ذلك ما جعل **بورس** يلجأ إلى الافتراض بوصفه قائما على الحركية التي تكفلها المشاركة؛ وكونه "لا يصل إلى الحقيقة أبدا "[2]، وهذا يعني أن الكون وظيفته توحيد المتغيرات الملاحظة كما هو الحال بالنسبة لكل تفسير منطقي؛ أما جذر الوجود فهو الواحد، مما يحيل إلى نتيجتين وجوديتين لدى **بورس**، الأولى تتعلق بتصوره للكون ولتطوره، والثانية تتعلق بتصوره العلمي له.

لقد بدا من الضروري بالنسبة ل**بورس** إثبات التجانس الأساسي للأشياء التي تبدو متعددة من الناحية الإدراكية، كما بدا له ضروريا تقديم نظرية تعود فيها كلية الموجودات إلى الموجود ، فالميتافيزيقا "يجب أن تأخذ الوجود بالحسبان، فتفترض إثر ذلك حالة للأشياء لم يكن فيها للكون وجود بغية العثور على تفسير لكيفية نشوء الكون "[3]، ومن هذا التصور يتجلى اعتماد **بورس** للنزعة التطورية؛ فالكون في كليته "يقترب ضمن مستقبل لا متناهي من حالة ذات خصيصة عامة تختلف عن الحالة التي كنا نوجه إليها أنظارنا في الماضي اللامتناهي"[4] ، وبهذا سينتقل العقل من المقدمات إلى النتائج.

حينما صاغ **بورس** تصوره لتشكل الكون بدا تطوريا لكنه لم يكن داروينيا بل اعتمد تطورية **لامارك** لأنها كانت أكثر ملائمة لتصوراته الكوسمولوجية ؛ إذ ذكر **بورس** أن "في البدء البعيد اللامتناهي كان ثمة مجموعة من الإحساسات العشوائية غير المجسدة، (...) ثم تلبست ميلا إلى التعميم؛ فبدت تغيراتها متلاشية ، وقدراتها متنامية، وباشرت ميلا إلى

[1] Ibid. , CP (1. 121).
[2] Ibid, CP (1. 81).
[3] Ibid, CP (6.214).
[4] G. Deledalle , la philosophie Américaine , Bruxelles , éd. De Boeck- Wesmael, 1987, P.58.

تكوين عادات سرتستنتج منها ومن جميع مبادئ التطور التي تنضاف لها كل انتظامات الكون؛ وهذا يعني أن كل العناصر تنشأ من الصدفة وتبدأ في التغير المستمر حتى يتحول العالم إلى نسق كامل ، وعقلاني وتماثلي ، يتبلور فيه الفكر أخيرا ضمن مستقبل لامتناهي البعد"[1]، وعلى هذا الأساس فإن سيرورتي العقل والطبيعة متماهيتان، أو بمعنى آخر إن قانوني الوجود والفكر هما شيء واحد، وهنا نلمح نقدا صريحا **لديكارت**[2] الذي قال بفصل المادة عن الفكر، حيث يرى **بورس** أن لا حاجة لأي فصل بين المادة والفكر ؛ فالتفكير لا يتم إلا بواسطة العلامات ، وهو يخضع لتغيراتها المستمرة التي تعكسها سيرورة تأويلية دالة تسمى "**الدلالات المفتوحة**".

لقد كان **بورس** على اقتناع بوجود فرق بين **المفتوح** الذي يحتكم إلى حدود منطقية يفرضها **المؤول النهائي المنطقي** وبين **اللامتناهي** الذي لاحد له ، وقد كانت هذه الفكرة حاضرة في المنطق لدى كل من **كانط** و**هيغل** في تصورهما للفر ق القائم بين التخم(**Grenze**) والحد[3](**Schranke**)؛ حيث إن التخم حركي في حين أن الحد منتهي يتضمن اللانهاية؛ إن التخم مفتوح وانتهاؤه جزئي تقتضيه الضرورة المنطقية.

على هذا الأساس صاغ **بورس** تصوره للمفتوح محاولا تأسيس أنموذج استدلالي شامل يتضمن أكبر قدر من العلاقات؛ ولكن في الوقت ذاته يحتكم إلى سلطة المؤول المنطقي الذي يكبح جماح السيرورة التأويلية؛ وبهذا يتم تناسل الدلالات وإنتاجها.

1.8.2- الدلالات المفتوحة وإنتاج المعنى:

تقوم سيميائيات **بورس** على مبدأ الحركية في التأويل الذي يعكسه مفهوم الدلالات المفتوحة؛ ففي سيرورة الدلالات تلك يتجلى عنصر أساسي يؤدي دور المحرك أو بمعنى آخر يكون بمثابة تخصيب للعملية الدلالية ؛ لأن المؤول يتيح انتقال العلامات من سيرورة إلى أخرى وهذا يعني أن الحديث عن بناء نصي في غياب سيرورة الدلالات المفتوحة يبقى أمرا مستحيلا.

---

[1] . Ch. S. Peirce, CP (6. 33).
[2] Cf. Ch.S. Peirce, CP (6. 24).
[3] .E. Kant, Prolégomènes à toute métaphysique future. Qui pourra se présenter comme science, tr. L.Guillermit, Intro. J. Vuillemin, Paris, éd. J Vrin, 1986, §. 57, P.131.
Voir aussi. F.W.Hegel, Sciences de la logique, Doctrine de l'être, tr. P-J. Labarrière & G. Jarczyk, Paris, éd. Aubier-Montaigne, 1972, P. 110.

يثير التساؤل حول المعنى تساؤلا عن الإنتاج لأن المعنى لا يوجد خارج الإنتاج ولا يمكن أن يستقل عنه ولعل ذلك ما جعل الاهتمام بالنص بوصفه إنتاجا موضوعا تناولته عدة أبحاث بالدراسة ولعل أهم هذه الأبحاث[1] تلك التي نشر أصحابها مقالاتهم في مجلة (**Tel, Quel**).

صاغت **كريستيفا (Kristéva)** أعمالها مح اولة تحرير الدوال ؛ فاقترحت تحليلا وسمته بالتحليل الدلالي (**sémanalyse**) وفي صلب هذا التحليل الذي كان بمثابة انعكاس حول الدال قدمت **كريستيفا** مفهوم الإنتاجية[2] الذي يعكس الدور الحيوي للتدليل بوصفه انفتاحا.

في الاتجاه ذاته تعامل **بارث (R.Barthes)** مع النص الأدبي بو صفه إنتاجا يصدر عن القارئ حيث رأى أن "رهان العمل الأدبي هو جعل القارئ منتجا للنص"[3]؛ فالنص في تصوره دائم الحضور ؛ إنه مجموعة من الدوال وهو قابل للإخراج **Scriptible** لكنه إن أخرج سيعكس الأنا أثناء الكتابة أو بمعنى آخر سيعكس النص إذا أخرج الكاتب في زمن الكتابة، والمثير في هذا النص أنه ارتكاسي حيث يمكن ولوجه من عدة منافذ لكن لا يمكن الإقرار بأن أحد هذه المنافذ هو الأساس ؛ أما السنن الذي يحركه فغير محدود على الرغم من أنه يحكم عليه قبضته وهذا يعني أن ارتكاس النص أو انعكاسه ولا محدودية السنن الذي يختص به يؤمنان انفتاح النص على غرار ما تقدمه الدلالات المفتوح ة، لكن هذا لا يعني أن بارث ينتصر لتعدد المعاني؛ بل إنه على العكس يدعو للقراءة المحايثة.

ينشأ النقد الجذري للعلامة ضمن نقد صوتي مركزي للكتابة الألفبائية؛ فعلم الكتابة التي أرسى قواعدها **ديريدا (J.Derrida)** بوصفها دراسة للكتابة ستبين المكانة التي تشغلها اللغة المنطوقة بسبب هيمنة الكتابة الصوتية في الغرب ؛ لأن الكتابة الصوتية تمثل "مجال المغامرة الميتافيزيقية ، والعلمية، والتقنية، والاقتصادية الكبرى للغرب وهي كتابة محدودة في الزمان والمكان تضع لنفسها حدودا في اللحظة المعينة التي تقوم فيها بفرض قانونها على الأقاليم الثقافية، التي كانت حتى الآن تفلت منها "[4] وقد نوه **ديريدا** بهذا الشأن

---

[1]. في إشارة إلى بارث، كريستيفا، وديريدا.

[2]. J. Kristéva, Sémiotiké, Recherches pour une sémanalyse, Paris, éd .Du. Seuil, 1969, P.52.

[3]. R. Barthes, S/Z, paris, éd. Du .Seuil, 1970, PP. 10-11.

[4]. جاك ديريدا، في علم الكتابة، تر. أنور مغيث ومرى طلبة، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005، ص. 107.

بالخاصية الاستطرادية للمكتوب الذي سيك ون إنتاجا مساعدا للغة المنطوقة واقترح تبعا لذلك "تقويض العلامة"[1]؛ لأن العلامة في نظره تفرض التقويض الذي يفرز بدوره الأثر وهذا الأثر هو ما يخلفه النص بعد هجرته ؛ فللنص "دائم الترحال مهاجر باستمرار عبر قنوات متجددة"[2] إنه ذو طبيعة حركية تكفل له الانفتاح.

يقوم عمل الدلالات المفتوحة على التحليل الأدبي أيضا، وقد ير تكز في علاقته بالأعمال الأدبية على صيغة المعنى في علاقات ها بالشعرية، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الشعرية ليست وظيفتها تقديم تأويل وحيد ونهائي للأعمال ؛ وإنما تكمن أهميتها في تأسيس الأدوات التي تتيح تحليل هذه الأعمال؛ فموضوعها ليس مجموع الأعمال الأدبية الموجودة وإنما هو الخطاب الأ دبي بوصفه مبدءا لتوليد عدد لا م تناه من النصوص؛ فمثلما "يمثل اللسان موضوع اللسانيات، يمثل الخطاب موضوع الشعرية، وكلاهما يتدرجان ضمن السيميائيات التي تعد مجموع الأنساق الدالة "[3] ؛ وفي هذا الإطار تتجلى محاولة **ميشونيك (Meschonnic)** الذي "عوض الحاجز المائل الذي يفصل الصيغة عن المعنى (صيغة/معنى) بخيط رابط (صيغة–معنى)"[4]،ابتغاء إظهار العلاقات بين الشعرية والسيميائيات، وبذا فإن الشعرية **(Poétique)** بوصفها إبستيمولوجيا للكتابة تفسح المجال لدلالة خاصة وحدتها النص وليست العلامة ؛ وهو ما يحيل إلى مفهوم **التحول (Transformation)** .

يعد مبدأ التوليد غاية الدلالات المفتوحة كما حددها **بورس؛** وهذا لا ينفي وجود علاقات بين هذا المبدأ وبين الحجج التي ساقها في حديثه عن "السيرورة الإنتاج ية للعلامة"[5]؛ وهو ما كانت **كريستيفا** تحيل إليه ولو ضمنيا حينما اقترحت التفكير حول الدال الذي ينتج على شاكلة نص، واستثمار اللسان بوصفه إنتاجا ل لدلالة وتحو لا له، لكن ثمة أبحاث أخرى اعتمدت مفهوم الدلالات المفتوحة في محاولة تفسيرها للتأويل.

---

[1] . J. Derrida, De Lla Grammatologie, Paris, éd. Minuit, 1967, P.16.

[2]. أحمد يوسف، السيميائيات وفلسفة المعنى، رسالة دكتوراة، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم الفلسفة، 2003-2004، وهران، ص. 107.

[3] .O.Ducrot et T.Todoroo, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Paris, éd. Du. Seuil, 1972, PP.106-107.

[4] . H. Meschonic, pour traduction, P 30-31.

[5] . O. Ducrot et T. Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, paris, éd. Du. Seuil, 1972, P P.106-107.

2.8.2- التأويل وفهم الذات:

صاغ **ريكور (Paul.Ricoeur)** رؤيا تجمع بين التأويل والذات ؛ حيث تتحول الهيرمينوطيقا من أداة لتفسير النصوص إلى أداة تهتم بتفسير النصوص وبتف سير المؤول لذاته لذلك ينظر إلى الفهم بوصفه وعيا ، لأنه قادر على "كشف إمكانات لوجودنا في العالم لم نكن نعيها قبل الشروع في التأويل "[1]؛ وخلافا ل**ديكارت** وأشياعه كان تصور **ريكور** للهرمينوطيقا قائما على تساؤلين فحواهما[2]: لماذا لا تستطيع الذات أن تفهم نفسها إلا عن طريق تأويل الحكايات الثقافية الكبرى؟ ثم ما هي مكانة العملية التأويلية التي تق وم بدور الوسيط بين الذات وذاتها؟

أكد **ريكور** أن الارتياب[3] الذي أفرزه الجدل القائم لفكرة الوثوق في النص وعدم الوثوق فيه، كان سببا رئيس ا في توجهه إلى تعددية التأويل وانفتاحه، لكن الارتي اب لا يجب أن يفهم على أنه شك على شاكلة الشك الديكارتي ؛ بل يعني "التعامل مع الرمز على أنه حقيقة زائفة لا يجب الوثوق بها ؛ بل تجب إزالتها و صولا إلى المعنى المخفي ورائها"[4]، وهذا يعني مجاراة المعنى الظاهر بغية الوصول إلى المعنى الباطن ثم إن هذا الارتياب يفسر قصور الذات فيما يتعلق بفهم وجودها الحقيقي ؛ فهي لا تتمكن من التعرف على ذاتها إلا بو ساطة الرموز أو العلا مات، ولا يتحقق فهم ذاتها إلا داخل "التأمل الذاتي المباشر"[5]؛ لأنها تحتاج دوما إلى وساطة تتمثل في علاقاتها بذاتها ، وبهذا يربط **ريكور** بين بين تأويل النص وبين فهم الذات لذاتها ليغدو تجاوز النص إلى الذات معيارا للتأويل.

على هذا الأساس يمكن القول أن الذات تتمخض عن عملية الفهم، وفهم الذات بدوره لا يتم إ لا في حضور النص ؛ لكن هذا لا يعني أن ننظر إلى التأويل بوصفه عملية ذاتية لأننا مطالبون كما يرى **ريكور** بامتلاك قصدية النص الـتي "تتطابق مع ما يريده النص الذي يلقي بنا داخل معناه "[6] ، وهذا يعني أن الـتأويل يمثل فعل النص بالنسبة لـــ **ريكور** " الذي يرى أنه التقى مع **أرسطو** في هذه المسألة؛ فالتأويل هو " الفعل الذي تمارسه اللغة

---

[1]. . بول ريكور حوار مع بول ريكور، تر، هشام صالح، مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع 62-63-، سنة 1989، ص 45.

[2] . P. Ricœur, Le conflit des interprétations, Esssai d'herméneutique, P. 10 et suite.

[3] بول، ريكور ، حوار مع ريكور، مرجع سابق، ص. 46.

[4]. نصر حامد أبو زيد ، إشكاليات القراءة وآليات التأويل لبنان، المغرب ، المركز الثقافي العربي ، 1994، ص 44.

[5]. بول ريكور، االنص والتأويل، تر : منصف عبد الحق مجلة العرب والفكر العالمي ، ع، 03، 1988، ص 48.

[6]. المرجع السابق، ص. 50.

ذاتها على الأشياء (...) إنه ما تفعله أصلا اللغة الأولى بتوسط ها علاقتنا بالأشياء عبر علاماتها ورموزها"[1]، وهذا لا يعني أن التأويل تحقيق فعلي للإ مكانات الدلالية الكامنة في النص، وهو المسئول عن اختصاص الذات بالمعنى وجعله جزءا من ملكيتها.

يرى **ريكور** أن "المؤول عند **بورس** يمثل تعليقا أو تعريفا أو تفسيرا للرمز في علاقته بالموضوع وهو ذاته تعبير رمزي "[2]؛ فالعلاقة بين الرمز والموضوع علاقة مفتوحة تتيح صدور مؤول جديد يتوسط العلاقة التأويلية ؛ حيث تنشأ التأويلات والتي يوجهها ما يعتمل داخل النص من علاقات وإحالات فتتجدد تجددا مستمرا.

يتبين مما سبق أن **ريكور** كان مقتنعا بلفتاح النص وبإم كان استعادته لذاته بشكل متجدد في مقابل التأويلات النهائية والفعلية التي تمنحه معنى معينا، لكنه لم يستبعد مقولة التأويل الموضوعي لأنه كان يتطلع إلى تأسيس "علم لتفسير النصوص يقوم على منهج موضوعي صلب يتجاوز عد م الموضوعية التي أكدها **غادام ي**"[3] ؛إذ لا يجب أن يفر ض المؤول رؤيته على النص لأن الدعوى إلى تعدد التأويل لا تعني تخليص النص من المغاليق ليعهد به إلى ذاتية المؤول[4]؛بل تعني الدعوى إلى الاستعمال.

9.2- التأويل والاستعمال:

يرتكز الجدل المعاصر حول التأويل على البحث عن المعايير التي تتيح التمييز بين التأويلات المناسبة للنص والتأويلات غير المناسبة له وفي هذا الإطار تقع أعمال **إيكو (U.Eco) الذي** يمثل الأثر المفتوح **(Oeuvre ouverte)** في نظر ه "حقلا من الاحتمالات التأويلية (...) كونه سلسلة من القراءات المتجددة (...) يتم تشكيلها بوصفها مجموعة من العناصر التي تقبل مختلف العلاقات المتبادلة"[5]؛ فمفهوم الانفتاح كما يتصوره **إيكو** يرتكز على العلاقات القائمة بين الصيغة أو **الشكل (Form)** وسيرورة تأويل هذا الشكل، وقد استعار **إيكو** مسألة انفتاح الأثر من فكر **بارايزون (L. Parayson)**[6]؛ حيث ذكر أنه يدين بالكثير لمدرسة علم الجمال بجامعة **توران (Turin)** التي يمثلها **لويجي بارايزون**

---

[1]. المرجع السابق، ص. 51.
[2]. المرجع السابق ،ص. 51.
[3]. المرجع السابق ،ص .51.
[4]. للاطلاع على استقلالية النص عن قصديه المؤلف لدى، ريكور، ينظر. المرجع السابق، صرص. 38-40.
[5] . U. Eco. L'œuvre ouverte, tr, C. Roux, De Bézieux et A. Boucourchiliev, Paris, éd. Du .Seuil, 1965, P.117.
[6] . G. A. Tiberghien, in. L. Parayson, Conversation sur l'esthétique, tr. G. A. Tiberghien, Paris, éd. Gallimard, 1992, P.15.

فيما يتعلق بالموضوع المركزي لبحثه حول التأويل والمتمثل في العلاقات المتبادلة بين الشكل وسيرورته التأويلية[1]؛ فالأثر المفتوح لا يهدف إلى فرض تأويل محتوم على المؤول بل يميل إلى جعله مركز شبكة هائلة من العلاقات يتم انتقاؤها بمعز ل عن أي قيد أو تحديد.

يعكس مبدأ انفتاح الأثر الذي قال به **إيكو** القول بتعدد التأويل مع احترام معايير الضبط التي تصونه من الاسترسال إلى حد المغالاة لأن هذا الانزلاق في التأ ويل يقود إلى تأويل هرمسي للنصوص لا يخدم معناها، هذا النوع من التأويل تم اعتماده بوصفه موضوعا للتفكيكية وللتداوليات[2] المولعة بها.

يميل أصحاب هذا الاتجاه التداولي إلى إبدال مفهوم التأويل بالاستعمال **(Usage)**؛ مما يعني أن تأويل النصوص غير موجود ، وما يعتقد أنه تأويل ليس إلا استعمالا تحكمه المقاصد والغايات، وتبعا لذلك ستكون كل القراءات سيئة أو تكون كلها جيدة؛ فالتأويل لا يمكن أن يكون معيارا لهذه القراءات ؛ بل إن الاستعمال هو المعيار الوحيد الذي تعرف تبعا له جودة القراءة أو رتابتها.

في ظل هذا التصور تتبلور رؤيا **رورتي (Richard Rorty)** "التي تؤكد أن الشيء الوحيد الذي يستطيع المرء فعله بشيء ما هو أن يستعمله"[3]؛ فكل تأويل هو استعمال للنص بكيفية معينة ووفق مجموعة معينة من الأهداف والغايات، وبذلك يختزل **رورتي** فعلي القراءة والتأويل في الاستعمال ، ويخلص إلى أن البحث عن كيفية اشتغال النصوص أمر لا طائل منه ؛ لأن وصف كيفية اشتغال نص معين لا يعني الإمساك بجوهرها بل يعن ي خلافا لذلك وصفا لاشتغال هذا النص زمن استعماله ، وهذا يعني نفي وجود أي معرفة تتيح العثور على طبيعة النصوص أو على طبيعة القراءة لأن هذه الأخيرة ليست لها طبيعة، وبناءا عليه فإن معرفة آليات اعتمال النصوص تبقى ناقصة أو بمعنى آخر يمكن القول أن معرفة كيفية توظيف النصوص واشتغالها أمر مستبعد إن لم يكن مستحيلا تبعا لرؤيا **رورتي**؛ لأن قراءة هذه النصوص ليست إلا استعمالات لها ؛ فالقراءة إذا قراءات

---

[1] . U. Eco, l'œuvre ouverte, OP.cit, P.314.

[2] .في إشارة إلى الاتجاه التداولي الذي يمثله "رورتي" (Richard Roty).

[3] . U. Eco, interprétation et l'histoire, in, U Ecole al, interprétation et surinterprétation, tr. J.P Cometti, Paris éd PUF, 1996, P.22.

لأنها في الواقع استعمالات ، وهذا يعني أن تغير المعنى يخضع لتغير استعمال القارئ للنص.

رفض **إيكو** وجهة النظر هذه وحاول من خلال نقده لدعوى **رورتي** التمييز بين التأويل والاستعمال مؤكدا أن تأويل النص يعني الخضوع إلى وحدته العضوية وإلى انسجامه وقصده العميق ؛ فإذا كان الاعتراف بحق النص في الغنج والتمنع يتيح ارتباطه بغايات تقع خارج سيرورة الدلالات المفتوحة فإن هذه الغايات ستكون بمثابة معيار للتأويل ولن تكون معيارا لنفيه وتجاهله ؛ لأنها ستقود إلى قبول بعض التأويلات ورفض أخرى ؛ فالنص "لا يؤول وفقا لقصدية المؤلف؛ بل يؤول تبعا لاستراتيجية تفاعلات معقدة تستدعي القراء وكفاياتهم اللغوية بوصفها ميراثا اجتماعيا"[1] ؛فالتعامل مع النص دون مساءلة مظانه لجعله يتلاءم مع الغايات والقصديات ليس إلا قهرا للنص وتعام لا تعسفيا إزاءه، لذلك وصف **إيكو** مستعمل النص كما يتصوره **رورتي بالقارىء السيىء**[2] **(Misreader)**؛ لأنه يهمل طبيعة النص الذي هو بصدد قراءته ليهتم باستعماله متجاهلا احتواء هذا النص على آليات منظمة توجه قراءاته المحتملة.

إن المقولة المركزية في الفكر التفكيكي هي "تفكك المعنى"[3] وانشطاره المستمر؛ فكل معنى معطى للنص يتفكك وينشطر تلقائيا، لأنه عاجز عن الإمساك بالمعنى الحقيقي للنص، إنه بمعنى آخر "لا يستطيع بلوغ المعنى الجوهري للنص، وهذا المعنى تكفل له جوهريته دوام الهجرة والترحال إنه دوما مرجأ إنه كباقي الأشياء يتغير من سياق لآخر فيتيح للنص الاستمرار في إثارة المعاني بشكل مفتوح لا حد له "[4]، وبذلك تغدو السيرورة التأويلية انزلاقا مفتوحا للمعنى.

ذكر **دريدا** أن العلامة من حقها أن تحدد قراءتها حتى لو ضاع زمن إنتاجها إلى الأبد أو كان قصد مؤلفها مجهولا حين كتابتها أو حتى إذا تاهت في انزلاقها الضروري [5] وهذا يعني أن فعل التأويل يبقى فعلا حرا لا يخضع لأي ضوابط أو حدود حتى وإن تم التخلص من لحظة إنتاج العلامة، والمعنى النهائي لا أمل في العثور عليه لأنه مهاجر

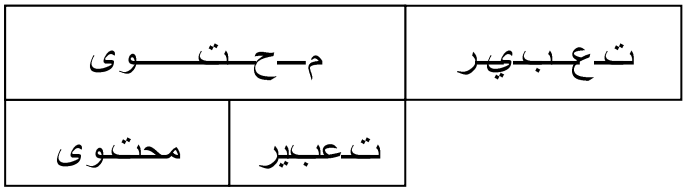
---

[1] .R. Rorty , Le parcours du pragmatisme, in. U. Eco et al, Ibid., P.85.
[2]. Ibid., P.38.
[3]. J. Derrida, De la grammatologie, Op.cit, P.16.
[4]. J. Derrida, Lettre à un ami Japonais, in. Psyché. Invention de l'autre, T.II, Paris, éd. Galilée, 2003, P. 09.
[5] .J. Derrida, « Signature, événement, contexte », in. Marges de philosophie, Paris, éd. Minuit, 1972, P.377.

باستمرار أما التأويلات الممكنة فستكون إما في مجملها مناسبة للنص أو في مجملها غير مناسبة له.

على هذا الأساس يكون النص خاليا من المعنى لأنه لا يستطيع توكيد معنى معين دون أن يثير في الوقت ذاته معاني أخرى تختلف على الأقل عن المعنى الأول اختلافا جذريا إن لم تكن تنفيه.

يرفض **إيكو** هذا التصور الذي يدعم مقولة التأويل اللانهائي للمعاني، لأن الخطاب التفكيكي لا يدعو لانفتاح التأويل بل ينادي بهرمسيته ؛ فالعلامة في تصور هؤلاء يمكن أن تثير أي معنى يثير بدوره معنى آخر وهكذا دواليك فتنتج بذلك معاني متعددة لكن من دون أمل في الإمساك بالمعنى النهائي ؛ وقد وصف **إيكو** هذا النوع من النشاط التأويلي المستمر بالورم الإيحائي الخبيث [1] الذي يستحضر فكرة النمو الإيحائي ذو النمط السرطاني المستوحى من الأنموذج الممثل لظاهرة الإيحاء[2] كما تصوره **يالمسيلف** وأشاعه **بارث**.



الأنموذج الإيحائي لـــ "يالمسيلف"

Cf. U. Eco (1992), P.371.



أنموذج النمو السرطاني للتأويل

Cf. U. Eco (1992), P.371.

[1] .U. Eco, Les limites de l'interprétation, Op.cit., P.371.
[2] . Ibid. P.371.

يقتضي هذا التأويل إذا أنَ كل معنى جديد ينفي المعنى السابق له . إن هذه العملية هي عملية تقويض شبيهة بعملية انتشار الخلايا السرطانية وتأثرها ؛ حيث تهاجم كل الخلايا السليمة لتحل محلها خلايا خبيثة؛ وكذلك هو الحال بالنسبة للتأويل المفتوح الرافض للحدود كما يتصوره دعاة التفكيكية ، إنه تأويل انفتاحه سلبي[1] لا رادع له لذلك "ينبغي التفكير في ضرب آخر من التأويل يفرض فيه النص المؤول قيودا معينة على مؤوليه ؛ فتتوافق فيه الحدود مع حقوق النص (دون أن يعني ذلك أنها تتوافق مع حقوق مؤلفه)"[2]؛ لأن القول بإثا رة النص لعدد غير محدود من إمكان ات التأويل يعني ضمنيا تفنيد القول بإمكان كل المعاني والتأويلات.

لقد كان **إيكو** يحاول توضيح فكرة فحواها ، أن انفتاح التأويل لا يعني ارتقاءه عن الضوابط والمعايير التي تؤمن من التأويلات المناسبة للنصوص ؛ مما يدل على نتيجة تتمثل في أن العثور على معايير تحتكم إليها التأويلات باتت ضرورة ملحة ، وتلك وجهة نظر **بورس** الذي أكد على "وجوب حياة الفكر وتطوره بفعل التأويل المفتوح "[3]، ونبه في الوقت ذاته إلى أن "الفكر سيضيع المسائل العامة وسيبدو عائما في فر اغ لا حد له"[4]، لأن التأويل اللامتناهي يقود حتما إلى الإبهام والغموض؛ وقد كانت هذه الفكرة حاضرة لدى **أبي حامد الغزالي** الذي أشار إلى أن دلالة الالتزام لا تعتبر في التعريفات ؛ "(...) لأن المدلول فيها غير محدود ولا محصور، إذ لوازم الأشياء ولوازم لوازمها لا تنضبط ولا تنحصر فيؤدي إلى أن يكون اللفظ دليلا على ما لا يتناهى من المعاني وهو محال "[5]؛ وكذلك كان رأي **بورس** في التأويل اللامتناهي.

لقد شكلت فكرة التأويل اللامتناهي مأزقا تجاوزه **بورس** حينما دعا إلى هدم الحدود الفاصلة بين العلوم من خلال "ميز العام من المبهم "[6]، لأن جو هر الفكر يقتضي التحديد ويقود إلى المفهوم؛ فتحليل الظواهر لا يعني التخلص من كل معايير التأويل؛ بل يعني الاحتكام ولو جزئيا إلى معايير تضعها الجماعة المختصة؛ وبذلك تمكن من الحفاظ على

---

[1]. للاطلاع ينظر: تشيكو نعيمة، السيرورة التأويلية في فكر أمبرتو إيكو، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، مشروع السيميسائيات وتحليل الخطاب الأدبي، جامعة وهران، كلية اللغات والآداب والفنون، 2007-2008 ، ص74.

[2] . U. Eco, Les limites de l'interprétation, Op.cit., P. 17.

[3] .Ch. S. Peirce, CP (50594).

[4] .Ibid. CP (5.594).

[5].أبو حامد الغزالي، معيار العلم في المنطق، بيروت، دار الأندلس، تاريخ النشر غير مدون، ص.43.

[6] .Ibid. CP (5.540).

مبدأ استمرار البحث الذي كان ينتصر له وفي الوقت ذاته تخلص من مشكلة الانفتاح غير المحدود، ليخضع المعنى للتمثيل.

بناء على ما سبق يتبين أن التداوليات التي دعا إليها **بورس** تمثل العنصر الأساس في عمليات التأويل؛ حيث تخضع المعنى للتمثيل وتحصره في حدود الواقع لئلا يضيع في التأويلات غير المنتهية ذات الصبغة الهرمسية ؛ لكن الحدود التي ترسمها ال جماعة المختصة قياسا على الواقع ليست ثابتة ومعزولة؛ بل تتغير تبعا لتغير الواقع الذي يرتهن بالتطور المستمر للبحث؛ وعلى هذا الأساس فإن التداوليات تتيح تمثيل المعنى، لكن درجة التمثيل تختلف تبعا لاختلاف العلامات؛ وسيحاول البحث في الفصل القادم استكشاف الأبعاد التداولية للتمثيل الأيقوني؛ لأن الأيقونة تبدو أيسر العلامات من حيث الإدراك والتمثيل؛ وسيتم التطرق لمسائل تتعلق بالتمثيل الأيقوني في اتجاهات استثمرت آراء **بورس** في دراسة الصورة والإدراك.

لطالما اقترن مفهوم الأيقونة بمفهومي الصورة و التمثيل، فالحد أيقونة مشتق من الحد الإغريقي **Eikon** الذي يمكن تأويله بالصورة، مما يعني أن "الأيقونة لدى الإغريق تدل على الصورة؛ كما يمكن أن تدل على كل صورة دينية محمولة أو معل قة كيفما كانت نوعيتها أو درجتها"[1]، أما عن معنى الأ يقونة في اللغة اللاتينية واللغات الغربية فقد اقترن بالتمثيل ؛ و هو تعريف نقت استعارته من الفن البيزنطي.

تقتضي قراءة البعد الأيقوني تحديد الظواهر الأيقونية في النص المراد تحليله من خلل إخضاعها لنسق معين بغية الارتقاء إلى تأويل يحفظ ال خصوصية السيميائية للعلامات ولتجلياتها الأيقونية؛ مما يعني أن قراءة من هذا النوع سنتطلب رؤيا متعددة للعلام ات تلاءم الوضعية المتداخلة للأيقونة التي تتضمن جدلية المرئي واللساني، و تتجاوز حدود النزعة الثنائية التي لم تثبت جدارتها في ممارسات مماث لة كونها أقصت ا لمرئي التزاما بـمسعى **دوسوسير** الذي حصر العلامة في اللسانيات مدعما خطية الدال .

1.3- الأيقونة بوصفها انعكاسا للتمثيل :

يعد الدال في تصور **دوسوسير** صورة سمعية، وهو تصور يتضمن إهمالا للمرئي سينعكس سلبا على المستوى الدلالي كونه سيقلص من م جاله ليحصره في البعد اللساني، وقد حاولت عدة اتجاهات بنوية استدراك هذا النقص الذي نشأ عن إهمال المرئي، و من أهم ها التوجه الفونولوجي ممثلا في مدرسة **براغ(1929-1938)** التي اعتمد أصحابها[2] مبدأ التقابل (**Oppositivité**) في تحديد المعنى؛ لكن مقاربلتهم التي انطلقت من مفاهيم السمات المميزة الفونولوجية والبنى المورفولوجية؛ لم تتعد حدود الخطية ؛ إذ لم يكن من الممكن البتة توظيف معيار التقابل على مستوى الظواهر الأيقونية .

أولى **بلومفيلد (L.Bloomfield)** مكانة هامة للمنطوق في مقابل الكتابة، فقد اختصت أبحاثه بالجانب الخطي للغات الأل فبائية؛ فتجاهلت إثر ذلك التجليات الأيقونية للكتابة و اكتفت بمعالجة اللغة تبعا للا ستجابة التي تندرج ضمن البعد السلوكي الذي "يحول الثقافة إلى لسان من خلل اختزال المعاني المتعددة إلى معنى واحد "[3] ، أما الغلوسيماتية فلم تتحرر من سلطة

---

[1] Icon, in Eneyclopaedia Universalis, Corpus, Editeur A Paris, France S.A, 1995, P. 879.

[2] من أهم ممثلي مدرسة براغ رومان **جاكوبسن** و **أندري مارتيني** ، للاطلاع ينظر:

R. Jackobson, Essais de linguistique générale, T1, éd. Minuit, Paris, 1963.

A. Martinet, Langue et fonction, éd, Denoel- Gauthier, Paris, 1970.

[3] H. Meschonnic, Pour la poétique, épistémologie de l'écriture, poétique de la traduction, T 2, éd Gallimard, Paris 1973, P 312

اللسانيات فيما يتعلق بتحديد اللسان بوصفه شكلا، فقد قدمت تصورا يتضمن فردانية العلامة في مقابل التصور الثنائي الذي صاغه **دوسوسير** ممثلا بمفهوم الوحدات الصورية الصغرى (الغلوسيمات)؛ وهي تلك السمات الفونولوجية و الدلالية التي لا يمكن تحليلها لسانيا، واقترح **يامسليف** في تحديده للعلامة – وهو تحديد يعد أقل تعسفا من التحديدات التي سبق ذكرها– مستويين هما مستوى التعبير و مستوى المحتوى، و ميز في كل منه ما شكلا تمثله البنية اللسانية وجوهرا ممثلا برابط غير لساني يتجلى فيه الشكل؛ كما أنه قال بالسيميائيات الإيحائية (**Sémiotique connotative**) في مقابل السيميائيات التقريرية (**Sémiotique dénotative**)[2] لكن اللافت للانتباه هو أن البعد الإيحائي الذي قال به **يامسليف** قد يرتبط ولو ضمنيا بالرمزية ليحيل بذلك إلى حركية الدلالات المفتوحة .

بدت هذه المحاولات قاصرة على مجاراة النشاط الأيقوني و استيعابه على الرغم من أنها أظهرت نجاعة نسبية في سد الثغرات التي تمخضت عن التصور السوسيري للعلامة؛ فهي غير كفيلة بالإحاطة بإشكالية النشاط الأيقوني التي تعكس صورة واضحة للتداخل العلمي الذي لا يمكن أن تدركه مقاربة سيميائية ذات نمط واحد ؛ بل يقتضي مقاربة سيميائية متعددة المداخل قد تكون جديرة بفحص التجليات الأيقونية، لكن هذا لا يعني أن طبيعة النشاط الأيقوني بصرية؛ فمفهوم الأيقونة يتجاوز البصري ؛ بل إنه قد يمثل جزءا منه لأن الظواهر الأيقونية إنما تستعمل لتأسيس نوع من الملاحظة المثالية للتمثيل، و على هذا الأساس يتبلور مشكل أساسي هو مسألة التمثيل.

2.3- التمثيل والمحاكاة:

لقد أهملت اللسانيات مفهوم التمثيل مشاكلة في ذلك **دوسوسير** الذي أقصى هذا المفهوم من المجال اللساني، أما فيما يتعلق بالعلاقة التي تربط الدا ل بالمدلول فإن اللسانيات التي "تعنى بالعلامات ابتغاء تحقيق تفاعلها ضمن شبكة من التباينات السلبية"[2] تعدل عن قرارها القاضي رفض التمثيل.

---

[2] . شكك " **أمبرتو إيكو** " (U. Eco) في وجود علامات غير إيحائية أو علامات تقريرية فقط، ينظر:
U. Eco, Le signe, Histoire et analyse d'un concept, adapté de l'italien par .J-M Klinkenberg, éd. Labor, Bruxelles, 1988, P. 127.

[2] J. cl. Milner, le périple structurel. Figures et paradigmes, Paris, éd. Du seuil, 2002, P. 42.

يندرج التمثيل الذي يختص باللغة الفعلية ضمن علاقة الإحالة التي يؤسسها التقرير و يسوقها نسق متمفصل يختلف من حيث التركيب و يحمل دلالة كثيفة [1]؛ وهو بهذا لا يمت بصلة إلى محاكاة الأ فراد أو الموضوعات أو الأحداث، و قد واجه التمثيل في المراحل الكلاسيكية صعوبة بالغة تمخضت عن محاولة توحيد مختلف الصيغ السيميائية؛ حيث أتاح هذا المفهوم في منطق **بور- رويال** وصفا متزامنا لعلاقتين إحداهما تربط العلامة بالفكرة والأخرى تربط الفكرة ب الموضوع، و بهذا المعنى ترتبط الحدود الثلاثة (علامة-فكرة-موضوع) وفق علاقة تعد تكفل للعلامة اللجوء لتمثيل الشيء من خلال الفكرة.

وفق هذه الإستراتيجية التأسيسية تم تطبيق التمثيل على نمط غير لساني هو الأجناس الأدبية، مما أدى إلى ظهور إشكالية جديدة تتمثل في كيفية معالجة التمثيلين الفني والأدبي وهو سؤال تضمن مسألة **المحاكاة** التي تحضر بقوة في أعمال كل من **أفلاطون** و**أرسطو**.

ميز **أفلاطون** بين نمطين من التعبير أحدهما درامي نعته بالمحاكاة **(Mimesis)** والآخر سردي نعته بالتقرير **(Diegesis)**[2] ، وقد ذكر أن الفرق بين المحاكاة والا نجاز يكمن في وضع التلفظ؛ ففي الحكي البحت يكون الشاعر هو من يسرد الأحداث، أما في المسرح فإنه يكون متضمنا في الشخصيات التي يستنطقها، و بين هذين النمطين يتموضع نمط ثالث هو الحكي الغلث **(Récit mixte)** الذي يختص به شعر الأمجاد **(Poésie épique)**؛ ويتركب فيه السرد الناتج عن الراوي مع م ا ينتج عن الشخصيات سواء كان خطابا مباشرة أو خطابا غير مباشر.

تستهل المحاكاة من خلال مقاطع تعبيرية تقتضي استدعاء وصلة سردية يؤديها السارد أو الشاعر الذي يتقمص دور شخصية أخرى يحاكيها في كلامها وحركاتها ؛ فيختص تلفظه بالشخصية التي يمثلها؛ ومن ذلك الإلياذة التي لم تخل الوصلات المحاكية فيها من التناوب مع وصلات سردية.

يبدو أن **أفلاطون** قد اعتنى في "**الجمهورية**" بالأجناس الخيالية؛ إذ جعل المحاكاة والتقرير محددات فرعية للخيا ل ليدرج المحاكاة في إطار الخيال كونها "لا تقر بالحقيقة؛ بل

[1]N. Goodman, langage de l'art. Une approche de la théorie des symboles, tr. J. Morizot, Nîmes, éd. Jacqueline Chambon, 1990, PP 168-189.
[2]Platon, Œuvres complètes, T4, La république, Livre I, III, tr Emile Chaubry, Int. Auguste Dièse, Paris, éd. Les belles lettres, 1996, § 394.C, P. 104.

تقدم إيحاء أو وهما "[1] شأنها في ذلك شأن أي نوع من أ نواع الخيال، و لعل ذلك ما دفع **أفلاطون** إلى انتقاء إطار للمحاكاة لا يختص بأجناس الحقيقة بل يختص بالأجناس الأدبية الخيالية .

	الخيال			
	الأجناس الخيالية			
أنواع الحكي	**المدح** **Dithyrambe**	**المأساة** **Tragedies'**	**الملهاة** **come die**	**الأمجاد** **Epopee**
حكي بحث **(Récit Pure)**	X			
حكي تحكمه المحاكاة **(Récit mimétique)**		X	X	
حكي غلث **(Récit mixte)**				X

جدول يمثل تصنيف الخطابات لدى أفلاطون *

خلافا لأفلاطون فإن الحد المهيمن في " **فن الشعر** " [2] **(Poietiké)** لـ**أرسطو** هو المحاكاة **(Mimésis)**[3] التي جعلها هذا الأخير مجالا تضمن الرسم والأدب الدرامي وكذا السرد، و هذا التصور حيوي كونه يعكس راهنية تمثلها إمكانية تطبيق مفهوم التمثيل في مؤلفات أدبية و فنية و في ميز الأجناس المحاكية من غير المحاكية.

اقترح **أرسطو** ثلاثة أنماط من التحديدات المميزة للمحاكاة[4] ، وهي عبارة عن معايير تسمح بتميز الفنون المحاكية وترتيبها فيما يلي:

---

[1] A. Momogliano, Problèmes d'historiographie ancienne et moderne, tr. A. Tachet et al, Paris, éd. Gallimard, 1983, PP. 68-69.

- Platon, Œuvres complètes, Op.cit, § 394C, P. 104.*

[2]. ترجم كل من " **لاللو** " (Jean Lallot) و " **ديبون روك**" (Roselyne Dupont-roc) الحد محاكاة (Mimesis) بالتمثيل (Représentation) وقد بررا ذلك بالإيحاءات المسرحية لهذا الحد و باستهداف الموضوع بالأنموذج للموضوع المنتج.

Voir. Aristote, Poétique, tr. R Dupont-roc & J. Lallot , Paris, éd. du seuil ,1980, P.20.

و رأى كل من " **جينيت** " (Gérard genette) و " **شايفر**" (Jean-Marie Schaeffer) في الحد محاكاة مقابلا ملائما للخيال (Fiction).

Voir. G Genette, Fiction et diction, Paris, éd. Du- seuil, 1991.

[3]J-M Schaeffer, Pourquoi la fiction, Paris, éd. Du- seuil, 1999.

Qu'et ce qu'un genre ? , Paris, éd. Du- seuil, 1989.

[4] Aristote, poétique, texte établit et traduit par J. Hardy, Paris, éd. Les belles lettres, 1995, § 1447 a 08, P. 29.

- أدوات التمثيل:

بعدما حدد **أرسطو** أدوات الفنون، جعل من المحاكاة أداة للشعر، وذكر أنها تتم إما بواسطة " والإيقاع، أو اللغة أو اللحن أو بواسطتهم جميعا "[1]؛ ففي فنون الإنشاد يتراكب اللحن والإيقاع وفن الرقص يميزه الإيقاع، أما فن القول بنوعيه النثر و الشعر فإنه يتضمن في آن واحد الإشارات المحاكية **(Mimes)**[2] والحوارات السقراطية والعروض **(Mètres)**، و بذلك يعارض **أرسطو** أولئك الذين يسمون شاعرا كل من استعمل العروض فبالنسبة لهم يرتكز الشعر على النشاط العر وضي؛ أما **أرسطو** فلا يرى أي علاقة تربط بين **هوميروس (Homère)** و**أمبيدوكل (Empédocle)**، فالأول شاعر والثاني عالم يختص بالطبيعة .

لقد عارض **أرسطو** العامة التي كانت ترى في كل من يستعمل العروض شاعرا و أسند للشاعر صفة الخيال ، فإذا كان **هوميروس** يستحق لقب الشاعر استنادا للتمثيل فإن **أمبيدوكل** يستحق لقب الطبيعي أو لقب عالم الطبيعة لأن عمله تعليمي يفتقر للتمثيل وموضوعه فيزيائي، وهذا يعني أن موضوع **هوميروس** هو الخيال فهو ينتمي لزمرة " الذين يحاكون فيمثلون أناسا فاعلين "[3] ؛وبناء عليه فإن ما تشترك فيه المأساة والملهاة و الأمجاد **(Epopée)** ، هو تمثيل هذه الأجناس للنشاطات التي تؤديها عوامل فلعلة[4] من **تنيير**؛ ولما كان الموضوع الفيزيائي قابلا للوصف أو العرض وبعيدا عن التمثيل الذي يقترن بنشاط الإنسان لم يكن من الممكن البتة ضم **أمبيدوكل** لزمرة الشعراء، و بذلك يكون **أرسطو** قد أقصى الشعر غير المحاكي مثل الشعر التعليمي ممثلا بـــ " **أمبيدوكل**" كما أقصى النثر غير المحاكي كالحوارات السقراطية .

- موضوع التمثيل:

حدد **أرسطو** موضوع التمثيل في الفصل الثاني من الشعرية، و قد كان هذا الموضوع متمثلا في الشخصيات الفاعلة **(Personnage en action)** سواء كانت نبيلة أو غير نبيلة أو كانت جيدة أو سيئة[5]؛ وهو ما تحدده الإجابة على السؤال ماذا؟

---

[1]Ibid, § 1447 a 18, P. 29-30.
[2]Ibid. § 1448 a 01, P. 30.
[3]Ibid. § 1448 a 01, P. 31.
[4] Voir L. Tesnière, Eléments de sémantique structurale, Préface de J. Fourquet, 2eme éd. Paris, éd. Klincksieck, 1969, PP. 105-122.
[5]Aristote, Op cit, § 1448 a 01, P. 31.

يطرح هذا التحديد إشكاليتين إحداهما تختص بعدم إمكان ميز موضوع التمثيل من موضوع العمل الفني **(Artefact)**، والثانية تتعلق بمدى فاعلية المحاكاة ؛ فهل المحاكاة إحياء للواقع أم هي إنتاج مبدع؟

- صيغ التمثيل :

تطرق **أرسطو** لهذا المعيار في الفصل الثالث من الشعرية؛ حيث ذكر أنها ما تحدده الإجابة عن السؤال كيف؟ إذ يمكن تمثيل الموضوع أو الشخصيات الفاعلة بوصفها ساردا (...) أو بتفعيل هذه الشخصيات التي تعد بدورها مؤلفة للتمثيل [1]وهنا يبدو أ ن **أرسطو** قد استعار رأيا لـــ**أفلاطون** فحواه أن الشاعر يمكن أن يمثل بوصفه ساردا أو بالأحرى يمكن أن يتحدث كما لو أنه شخص آخر، لكن **أرسطو** يصنف هاتين الإمكانيتين خلافا لـــ **أفلاطون** ضمن نطاق المحاكاة ويجعل منهما تمثيلات، و هنا يكمن الخلاف بينه و بين **أفلاطون** الذي يرى أن السرد مهيمن، إذ يهيمن السارد ليتحدث باسمه الخاص ويوجه الحوارات، أما **أرسطو** فيرى أن التمثيل هو اللحظة الموحدة، إنه تفعيل للنص أو بمعنى آخر نشاط درامي .

لم يتكبد **أرسطو** عناء تمييز المحاكاة الفعلية عن المحاكاة التصويرية، فقد جاء في الشعرية[2] أن المحاكاة الفعلية تختص بالصوت أما المحاكاة التصويرية **(Figurative)** فتختص بالألوان والصور وهذا لا يعني أن الصوت ليس إلا وسيطا فيزيائيا للغة، فما تختص به المحاكاة الفعلية بمعناها العام هو أن تتجاوزه بالدلالة، وهذه الملاحظة تستدعي ملاحظة أخرى فحواها أن المحاكاة لا تعنى بتق ليد الأفراد والموضوعات والأحداث مما يجعلها غير ذات معنى[3] بل تهتم بمثيلاتها، أو بمعنى أدق تهتم بعلاقة الإحالة التي ينتجها التقرير وتسوقها الدلالة.

على هذا الأساس يتبين أن المحاكاة كما يتصورها **أرسطو** تتضمن **نسقا تداوليا** يتمثل في الأفعال التي يحدد من خلالها الفرق بين السرد والدراما؛ "فالتاريخ الذي يقوم على الأحداث أُلِّف من قبل أفراد فاعلين أظهروا خصائص وفكرا من خلل أفعالهم "[4]؛ ولهذا السبب لم يحدد **أرسطو** الفرق بين الحكي والمسرح كما فعل قبله **أفلاطون**، فإذا كان الوضع السردي يحدد في

---

[1] Ibid, § 1448 a 19, P. 32.
[2] Ibid, § 1447 a 18, P. 29.
[3] يرى جينيت أن ظواهر الارتقاء النصي من خلل المحاكاة تعارض الظواهر التي تجري من خلل التحويل، ينظر:
G. Genette, Palimpsestes. La littérature au second degré, Paris, éd. Du Seuil, 1982, P. 34.
[4] Aristote, Poetique, Op.cit, §.1449 b 36- 1450 a 3, P. 37.

تصور **أفلاطون** من خلال التلفظ كونه يرتكز على سارد خيالي ؛ فإن الوضع الدرامي يتميز بكون شخصياته "يمكن أن تكون زاوية للتمثيلات بوصفها فاعلة "، ويختفي الحكي الغلث الأفلاطوني في مدونة **أرسطو** لأنه مرتبط بالتلفظ ؛ فيعكس بذلك **الجانب التداولي** للمحاكاة كما تصورها **أرسطو**.

لقد أكد **أرسطو** على تصرفات الشخصيات **(agir, Prattein)**؛ فأقصى كل ما يشكل بعض التمايز مقارنة بالمحاكاة الدرامية، إذ يبدو كل ما ليس شبيها إلى حد كبير بالمحاكاة الدرامية غريب عن الفن الشعري لأن الشاعر باعتماده على المحاكاة "يحاكي النشاطات مما يقتضي وجوب صناعته للحكايات لا صنا عة الأبيات"[1]، وبناء على ذلك يتبلور إشكال يعكس فاعلية التمثيل ويتمثل في طبيعة علاقة الإبداع بالمحاكاة أو التمثيل.

تبرر إمكانية التأويل الخاطئ للتمثيل بعده عن الكمال وتنفي عنه الطبيعة الواقعية؛ فالقول بأنه يعكس الواقع لا يعني البتة أنه الواقع بل يعني أن التمثيل وسيلة تستعمل لغاية أو لغايات معينة، وهكذا تعامل القروسطيون مع مسألة التمثيل ؛ ففي مرحلة القرون الوسطى بات تصور العالم قائما على الرموز وباتت كل حقيقة حسية تجد تبريرها فيما تدل عليه، لذلك ظهر جسر وسيط يربط الفكر البشري بجوهر الأشياء متمثلا في عالم الرموز.

على هذا الأساس يمكن القول أن التمثيل الرمزي ينفرد في التصور القروسطي بالقدرة على بعث نظام مثالي للتعبير عن المسكوت عنه، فقد تم تقديم الرمز على أنه "جسر يتوغل من خلله المطلق في النسبي، كما يعبره المفتوح ليكتسح المغلق، وبفعله تخترق السرمدية الزمن"[2]، وهذا يعني أن الرمز لم يكن معرفة في ذاتها بل كان سبيلا للمعرفة؛ فهو "علامة حساسة تقدم مشابهات لوقائع غير مادية "[3]، إنه علامة للامرئي وللروحي معا؛ بل يبدو جسرا يربط بين ضفتي المرئي واللامرئي؛ ولعل هذا ما يفسر مقدار الأهمية التي أوليت له في الفترة القروسطية؛ إذ لم يكن من الممكن تصور الكون على أنه وحدة تامة بمعزل عن الرموز التي تقتضي المشابهة قاعدة لتمثيلاتها.

---

[1]. Ibid., § 1451 b 27, P. 43.
[2]. M.M Davy. Initiation à la symbolique romaine, Paris, éd. Flammarion, 1977, P. 92.
[3] J. Scot Eurigène. Expositines super hierarchiam coelestem, in. M- M. Davy, Ibid, P .95.

3.3- المشابهة و تداولية الصورة :

للوصول إلى تحديد للنشاط الأيقوني كان لزاما على البحث المرور على مراحل تاريخية، ففي عمل حول الأيقونة تبقى مقاربة تطور مفهوم المشابهة على قاعدة فلسفية خطوة هامة لمجاراة مشاكل التمثيل ورهانات الدلالة؛ حيث يتبلور المشكل المركزي للتمثيل الأيقوني، ولا غرو في أن مقاربة من هذا النوع ستلامس مجال بحث واسع يقتضي دراسة خاصة تلزم القائم عليها بالوقوف على إشكالية المحاكاة وعلاقتها بالمشابهة **(Ressemblance)** ابتغاء فحص الدور الذي تؤديه المشابهة في مسألة المعرفة.

قدم **أفلاطون** في محاورة **كراتيل (Cratyle)** مدرستين إحداهما يمثلها **كراتيل** تلميذ **هيراقليدس (Hyraclite)** الذي يعتقد بوجود علاقة طبيعية بين الأسماء ومسمياتها[1]، وقد اعتمد **كراتيل** هذا الطرح مؤكدا أن " الاسم محاكاة للشيء "[2] والمدرسة الثانية يمثلها **ديمقريدس (Démocrite)** على لسان **هيرموجين (Hérmogène)** وهي ترتبط بتيار نسبي يعتمد فكرة الاصطلاح، فبالنسبة لديمقريدس اللغة ذات أصل اصطلاحي [3]، وهذا يعني أن عملية إسناد الأسماء تبقى من شأن الاصطلاح، وتظهر في الحوار شخصية ثالثة هي **سقراط (Socrate)** الذي كان بمثابة الحكم.

يرى **جينيت (Genette.G)** أن **كراتيل** ليس إلا مونولوجا مزدوجا لسقراط [4] وحجته في ذلك عدم عثوره على تناقض بين دعوى كل من **كراتيل** و **هيرموجين**؛ ففي **كراتيل** يتقوضع **سقراط** بين هذين الطرحين ليعتمد تارة طرح **كراتيل** ويعتمد تارة أخرى طرح **هيرموجين**، وهذه الوضعية تمخضت عنها وضعية أصلية لديه؛ فتسمية الأشياء وفقا للرغبات الفردية لا تكفل التواصل مما يقتضي إجراء تسميتها طبيعيا، لكن حسب كراتيل لا تنتمي الأسماء فقط إلى المسميات بل إنها تخضع أيضا لسلطة المشرع المحترف [5] **(Onomaturge)**

---

[1] Platon, Cratyle. In Oeuvres completes tr. L. Méridier, T V, Paris. Ed. les belles lettres, 1931, P. 39.

[2] Ibid, §43 b, P.121.

Voir aussi Cratyle ou sur la justesse des noms. Genre logique, in Platon Protagoras - Euthydème. Gorgias- Ménexène. Ménon- Cratyle, tr. E Chambry Paris, éd. Garnier frères, 1967, PP. 32-59.

[3] طرح الاعتباطية لدى **دوسوسير** لا يعني إقصاء طرح **ديمقريدس**؛ بل هو توجه نابع من فكرة النسق، فاللغة تشكل نقا لا تنفصل فيه العلامات عن بعضها، وقد تناولت اللسانيات في فترة ما بعد البنوية نقدا للاعتباطية؛ لكن هذا لا يعني بالضرورة تعصبا لفكرة السببية أو انتصارا لها.

[4] G. Genette, Mimologiques, Paris, éd. Du. Seuil, 1976.

[5] Socrate, la tâche du législateur, in. Platon, Op.cit, § 389b P. 59, P. 14.

الذي يقرر شرعية "تطابق التسمية والمسمى "[1]؛ كما "ترتهن للجدلي "[2](**Dialecticien**) الذي تنحصر مهمته في الحكم على عمل المشرع اللفظي والتحقق منه.

لقد لاحظ **جينيت** (**Génette**) أن التسمية ليست إلا جزءا من أجزاء الكلام، لكنها رغم ذلك تحمل قدرا من الأهمية، و ذلك رأي قال به **سقراط** حينما تساءل عن الانتساب الجزئي للتسمية إلى النشاط الكلامي، ويبدو أن بحث **كراتيل** الذي لا يقوم إلا على الأسماء يعكس نقصا دلاليا يتمثل في اقتصار الدلالة على الاسم الذي لا يمكن أن تنطبق عليه تلك الإمكانات التصويرية التي يقدمها الخطاب، ثم إن مبدأ كراتيل لا ينشغل بخطية اللغة و لا يسمح بتفسير سيرورة الدلالة التي تنجم عنها.

لا شك في أن ارتباط الأسماء بمسمياتها يسمح بفهم السيرورة الأيقونية، لكن المحاكاة لا تمثل النشاط الأيقوني بمجمله؛ فعلى الأقل يجب أن يكون بين الاسم والجسم تطابق أو تلاؤم تؤمنه أداة معينة قد تكون المشابهة كما قد تكون التناظر (**l'Analogie**)، لكن نظرا إلى ما ورد في محاورة **كراتيل** فإن هذه " العلاقة الآلية ترتهن لعلاقة المحاكاة التي تغمرها كما لو أن التطابق الوحيد بين الدال و المدلول يكمن في مشابهة الثاني للأول "[3] لتغدو المشابهة عنصرا حيويا في عملية المحاكاة.

في نهاية القرن السابع عشر تقمصت المشابهة دورا فاعلا في الثقافة الغربية حيث كان ينظر إليها على أنها انعكاس للعالم أو مرآة له [4]، لكنها تلاشت من أفق المعرفة في نحو القرن الثامن عشر ليحل محلها نسيج دلالي وصفه **فوكو**[5] (**Michel Foucault**) بأنه أقل ثراء من المشابهة.

هذا النسيج يجمع أربع صور هي : التناسب (**Convenance**) والمنافسة (**Emulation**) والتناظر (**Analogie**) والتطويع (**Sympathique**) نجملها فيما يلي:

– التناسب وهو كما ورد في تصور **فوكو** يمثل مشابهة من مرتبة الربط والمطابقة؛ لأنها ترتبط بالفضاء وفق صيغة الأقرب للأقرب، لذلك فإنها تنتمي إلى العالم أكثر من انتمائها إلى الأشياء ذاتها فالعالم بهذا المعنى ليس إلا تناسبا عاما للأشياء، والأشياء المتناسبة هي تلك التي

[1]Socrate, le rôle du Dialecticien, in. Platon, Ibid., § 390d, P .61.
[2]Ibid, § 387c, P. 55.
[3] G. Genette, Mimologie, OP.cit, P. 18.
[4] M. Foucault, les mots et les choses. Une archéologie des sciences humaines, Paris, éd. Gallimard, 1966, P. 32.
[5] Ibid., PP. 33 - 40.

يؤمن لها هذا النوع م ن المشابهات مجاورات تكفل لها مشابهات أخرى، و قد كان الدافع إلى مثل هذا التصور محاولة إرساء مجاورة بين أشياء الواقع و الأشياء التي تقطن العالم السرمدي.

أما المنافسة فتمثل في تصور **فوكو** ضربا من التناسب الذي لا يحتويه المكان كونه يؤدي دور الثابت؛ لذلك قاربها **فوكو** بالمرآة؛فمن خلال علاقة المنافسة يمكن للأشياء محاكاة العالم بمعزل عن أي تسلسل أو تقارب ؛ حيث يتعلق الأمر بالنسخ القائم على التناظر كما هو الحال في المرآة لكن مع فرق في طبيعة هذا التناظر الذي يتميز بعدم تساوي وجهيه ويقوم على التركيز والمنافسة.

يرى **فوكو** أن التناظر مفهوم اختلفت دلالته من حيث الاستعمال وتغيرت خلال القرن الثامن عشر، كونه صار تركيبا من التناسب والمنافسة يعالج تماثلات الأشياء في ذاتها؛ فهو يتعلق بمشابهات جيدة للعلاقات؛ بحيث يمكن أن يحرك انطلاقا من النقطة ذاتها عددا غير محدد من المشابهات ومثال ذلك ما قام به **سيزابلين** **(Césaplin)** من تعميق لمثال التناظر القديم حول النبتة وهو مثال فحواه أن "النبتة حيوان يبقى رأسه منخفضا، يتحول وفق رؤيا **سيزابلين** إلى أن النبتة حيوان واقف تنتقل مصادره الغذائية من الجذر إلى القمة على طول نسيج يبدو شبيها بالجسد وينتهي إلى الرأس"[1]، ويبدو هذا التحديد قلبا أو عكسا للمثال التناظري الذي سبقه لكنه مع ذلك لا يناقضه وهذا ما قد يجيز القول بأن التناظر يجد في المعكوسية **(Réversibilité)** وتعدد الوظائف **(Polyvalence)** تطبيقات مفتوحة يمكن أن تتقارب من خللها جميع صور العالم، ومرد ذلك اعتماد الإنسان التناظر الذي يعيد إرسال المشابهات التي يستقبلها مركزا لمشابهاته.

آخر صيغة ذكرها **فوكو** في تكوين هذا النسيج الدال كانت التطويع الذي يرى فيه عنصرا يتيح التماثل **(Assimilation)** كونه يملك القدرة على جعل الأشياء مت ماهية، فبفعله تنصهر الأشياء و تتمازج أو بمعنى آخر تتحول في الاتجاه المماهي؛ مما يجيز القول أن التطويع تحويل ينشد المماهاة التي تتيح مقاربة الأشياء مع الحفاظ على خصائصها الفردية التي تشكل نقطة النظام والتوازن في هذه الصيغة الدالة كونها تملك تلك القدرة على تشبيه أشياء بأخرى دون تبديد خصائصها الفردية .

[1] Césalpin, De plantis Libri XVI (1583), cité par. M. Foucault, Ibid, P. 37.

يبدو أن هذه الصيغ الدالة التي ذكرها **فوكو** يمكن أن تفسر مسألة انعكاس العالم المسئولة عن تأمين مشابهة الأشياء لكنها رغم ذلك تبقى ناقصة من حيث إثبات اليقين ؛ إذ تعوزها تلك القدرة على تحويل التردد إلى يقين، و هذه القدرة يؤمنها عنصر آخر هو التوقيع الذي يتيح مباشرة التأويل ، كونه يمثل المرجع الثقافي ال ذي يسمح بالتعرف على العلامات وتأسيس العلاقات، كما من شأنه أن يربط بين المرئي وغير المرئي، وقد كان يمثل في تلك الفترة علامة تجلٍ للإرادة الإلهية، فإلى الل ـــه يرجع وضع سمات تيسر السبيل نحو معرفة العلامات.

سواء كان الحد النهائي لمختلف علاقات المشابهة هو الإله أو الإنسان في صورة إل ـــه فإن وظيفة علاقة المشابهة من هذا المنطلق ليست الا ستكشاف؛ بل إثبات معرفة معطاة سلفا لأن إظهار علاقات المشابهة بين الموجودات لا يعني تجاوز العالم للتوجه نحو الم عرفة أو نحو إمكانية تحويل هذا العالم.

لقد صارت المماثلة **(Similitude)** كما يرى **فوكو** عمقا غير متميز يجمع بين الحركة والإثبات، وتعتمد عليه المعرفة في تأسيس علاقاتها ومعاييرها؛ فالأمر لا يتعلق البتة بإظهار محتوى سابق عن المعرفة بل يتعلق بإعطاء محتوى قادر ع لى تقديم مجال لتطبيق صيغ المعرفة؛ إذ يعرف التمثيل من خلل مشابهته بتمثيلات تجاوره أو تشبهه.

حدد **فوكو** صيغ المشابهة التي سادت في فترة العصر الكلاسيكي ، وقد بدت تشكلا يتضمن مختلف أصناف العلامات أو بالأحرى مختلف مستويات النشاط **الأيقوني؛** حيث يمكن إرجاء مقولات المشابهة إلى وظائف سيميائية مختلفة تنتقل من أكثر النشاطات الأيقونية مباشرة إلى الصيغ الأيقونية غير المباشرة لتعرج في مسارها على الرمزي والقريني وفقا لمقتضيات الضرورة، لذلك فإن التجاورات الدلالية تجعل المشابهة مرئية لما لها من أدوات تصويرية وفروع مفاهيمية؛ فهي في نشاطها تجانس العلامات المؤولة كونها تبين صيغة المشابهة التي تعدل الدلالة لكنها مع ذلك لا يمكن أن تفرز نتاجا يرتبط ارتباطا دقيقا بالواقع لأن العلامات التي سينتجها التمثيل لن تكون مطابقة كليا للواقع كما لن تكون معزولة عنه كليا، بل ستقع موقع الوسط بحيث تمثل الموضوع من خلل الدلالة التي ستؤديها؛ لكنها ستعكس تغيرا نسبيا؛ لأن " كل مشابهة بين شيئين أو أكثر ستنتج عن تدرج انتباهي ينشأ عنه

تدرج في الوضوح "[1] ؛ مما يعني أن المشابهة تمثل وظيفة تحافظ على قدر نسبي من المطابقة بين التمثيل و بين خصائص الأنموذج الممثل .

تقلدت المعرفة مكانة في مرحلة القرون الوسطى هامة لأنها ارتبطت بأهم عنصر في الثقافة القروسطية وهو الإنسان الذي يعد في تصور هؤلاء صورة مصغرة للكون أو بمعنى آخر عالما مصغرا (الميكروزوم) يعكس العالم الأكبر (الماكروزوم) أو الكون.

لقد اقتنع القروسطيون بأن معرفة العالم الأصغر أو بالأحرى معرفة الإنسان ستقود لا ريب إلى معرفة الكون الذي تكتسحه المعاني التي تحجبها العلامات وبما أن الإنسان " يحمل في ذاته السماء و الأرض "[2] من المنظور القروسطي، صار ينظر إليه على أنه " الأول و الأقصى "[3] وباتت معرفة الذات عتبة لكل معرفة كونها ستسمح للمرء ب استكشاف معجزة الأصل و ستدل على مآله، و من هذه الفكرة نشأ تصور التمثيل المشابه الذي يولي للإنسان مكانة خاصة مقارنة بباقي الكون باعتباره الوحيد القادر عل ى كشف المعنى الكامن في الصور، وبناء على ذلك تكون العلاقة بين الصورة والمشابهة علاقة حركية (دينامية) تطالب كل من يتلقى الصورة بالسعي وراء المشابهة التي يرتبط وجودها بالوجود البشري من خلل جهوده الخاصة لأن الصورة تقطن الباطن، وهذا ما سيثير تساؤلا حول علاقة اللفظ بالصورة.

إن اللفظ صورة تستعمل للتعبير عن الواقع ؛ بل إن " كل الألفاظ المستعان بها في التعبير عن الأشياء عقليا أو المستعملة في التفكير ه ي مشابهات للأشياء أو صور لها، و هذا يعني أن لكل مشابهة درجة صدق تقاس تبعا لمدى مطابقتها للشيء الممثل "[4]، لكن هذا لا ينفي احتمال وجود بعض النقائص؛ فالصورة لا يمكن أن تطابق الحقيقة بصفة تامة لأي وذلك ما سيضع الحقيقة موضع تساؤل، " فالمعرفة من خلل الصور مادية غير تامة لأنها تختزل الواقع في مفاهيم صاغها البشر لتمثيله "[5]؛ مما سيعكس طبيعتها القاصرة ويجعل من المشابهة مصدرا لتوليد الأخطاء.

من هذا المنطلق جمعت اللغة و الأعمال الفنية في التصور القروسطي ضمن زمرة غير المقدس؛ فالألفاظ لا تملك القدرة على التعبير عن الواقع لأنها لم تكن علامات للأشياء

[1] J. M. Schaeffer, Pourquoi la fiction ? Paris, éd. Du. Seuil 1999, P. 87.
[2] Hidelgarde De Bingen. Scivias, in M.M Davy, Initiation à la symbolique romaine, Paris, éd. Flammarion, 1977, P. 41.
[3] Bernard De Clair van, Tu primi, tu ultimus , De Consideratione, livre II, Chap. III, in M.M Davy, ibid., P. 42.
[5] Saint Anselme, Monologion, in A. Rey, Théorie du signe et du sens, lectures I Paris, éd. Klincksieck, 1975, P 64.

بقدر ما كانت علامات للتفكير في هذه الأشياء، و لعل ذلك ما وضع قدرتها على الوفاء في التعبير عن الواقعي موضع شك، أما الصور فقد أسندت عدم قدرتها على تمثي ل الواقع لاستحالة انفصالها عن الشكل الذي وهبها الفنان إياه وعن المادة التي شكلها منها.

اقترح المفكرون القروسطيون صي غتين لإبداع المعنى هما النقل أو التقليد **(Tradition)** والخيال **(Fiction)**؛ والتقليد في تصورهم ميراث يعتمده كل كاتب كما لو أنه سلطة قسرية تفرض عليه هيمنتها والخيال يمثل صيغة الوجود الثانية إلى جانب الكتابة، أما المجال المفضل للتمثيل فهو السرد الذي يتمتع بالمرجعية الذاتية [1] ويعد " تمثيلا لواقع خارجي يمثل في الوقت ذاته بوصفه خط ابا، إنه علامة لشيء ما من أجل شيء ما "[2]؛ وبهذا المعنى فإن النص السردي يرتكز على ذاته.

من خلل ما سبق تتمظهر وضعية جدلية للتمثيل تكشف حقيقة منهجية تتمثل في ضرورة العثور على إطار خصب تتعدد فيه التوجهات و تتمايز فيه الرؤى وتختلف فيه السبل والإجراءات ليتمكن من الإحاطة بتلك المشاكل والتعقيدات التي تطرحها صيغ التمثيل عموما و مستوى التشكيل الأيقوني على وجه التحديد ؛ لأن هذا المستوى " يتطلب من المتلقي الكثير من التأني و الجهد التأويلي الذي يتفر ع بدوره إلى سنن لساني و سنن بصري يقتضي الفصل بين عالمين، هما عالم اللغة (معطى للقراءة) وعالم التشكيل البصري (معطى للرؤية)"[3]، ثم إن النشاط الأيقوني يقدم جوانب مختلفة توفر وظائف سيميائية يعكسها ترابط صيغ التمثيل التي تحمل معها علامات عامة غايتها التأويل، و هذا التسلسل الذي يستدعي دوما عناصر وسيطة يعد جوهر الدلالات المفتوحة التي تدخل صلب كل عملية سيميائية، وتشكل عصب الحياة في سيميائيات **بورس.**

---

[1] ذكر " **جون الساليسبوري** " Jean De Salisbury أن القديس " **أغسطين** " قد أشار إلى المرجعية الذاتية حينما عرف القضية، إذ قال بوجوب " احترام ثلاثة عناصر في كل قضية هي : التعبير (Diction)، و المعقول و الشيء، فالشيء هو ما وضعت بسببه القضية و الم عقول ما أسند إليه الشيء، أما التعبير فهو الطريقة التي تم بها الإسناد، لكن قد يكون التعبير أحيانا هو الشيء كما هو الحال حينما يستعمل لفظ معين مر تكز على ذاته".

[2] P. Zumthor, Essai de poétique médiévale, Paris; éd. Du. Seuil, 1972, P. 340.

[3]. محمد الماكري. الشكل و الخطاب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ط.، 1991. ص .249.

4.3- موقع التمثيل في سيميائيات "ش.س. بورس":

يرتكز التفكير في تصور **بورس** على علاقة معينة مثله في ذلك مثل الواقع، ومفهوم العلاقة كان يشكل في البدء المقولة المفتاحية لفهم المنطق و الرياضيات لديه، لكنه تجلى لاحقا بوصفه مكونا للواقع، لذلك سمى **بورس** وفقا لهذه الرؤيا **ظاهراتية(Phanéroscopie)** تلك الطريقة الخاصة لإدراك الذرائعية **(Pragmatisme)** ؛ وهي تمثل المسعى الهادف لإعادة تأسيس المدرك من منطلق غير مباشر.

على هذا الأساس، تتضمن الدلالة علاقة ثلاثية الأبعاد يقع التمثيل في مركزها؛ كونه شيئا معينا يقع موقع شيء آخر، فالتمثيل كما ذكر **بورس** " هو خاصية شيء يقوم مقام شيء آخر بغية إنتاج أثر ذهني معين، فالشيء الذي يمتلك الخاصية أسميه ممثلا، و الأثر الذهني مؤوله أما الشيء الذي قام مقامه فأسميه الموضوع"[1]؛ وهذا يعني أن التمثيل علاقة ثلاثية تربط ممثلا بموضوعه من خلل ثالث هو المؤول، إنها تجسيد لفكرة التفكير من خلل العلامات ؛ إذ لا يمكن ولوج العالم تبعا لتصور **بورس** دون وساطة التمثيل، وسيميائيات **بورس** مجموعها تقوم على هذا التأكيد؛ إذ لا وجود لقطيعة بين العالم وتمثيله بل يوجد ما يمكن تسميته خللا أو اضطرابا ؛ لكن لا يوجد البتة فصل بين الواقع عن التمثيل لأن أدنى ضمان للمعرفة يقوم على إمكان التمثيل.

اقترح **بورس** أنموذجا مفاهميا ثلاثيا يتضمن العناصر : شيء **(Object)**/ تمثيل**(Representation)**/ شكل**(Form)** مؤكدا أن معرفة الأشياء تقتضي اعتماد التمثيل؛ لينتقل لاحقا إلى تمديد ثلاثة أنماط ل لتمثيلات هي : العلامات**(Signs)**/ النسخ**(Copies)**/ الرموز**(Symbols)**، طورها فيما بعد لتغدو منطلقا لتفرعات العلامة أو الممثل مكونة الثلاثية الشهيرة: أيقونة**(Icon)**/ قرنية**(Index)**/ رمز**(Symbol)**.

يقوم المشروع السيميائي لدى **بورس** على مسلمات يؤسس من خللها نظرية للمعرفة أو منطقا للعلاقات، ومن أهم هذه المسلمات تلك التي تؤكد أن العالم أو الكون**(Cosmos)** لا يمكن إدراكه بمعزل عن التمثيل ؛ إذ لا يمكن إدراك العالم إلا من خلل جزيئات هي العلامات **(Signs)**، بالإضافة إلى مسلمة نالت حظا وافرا من الخصوصية في مشروع **بورس** هي تلك التي فحواها "أن التواصل لا يتم دون أدنى حضور للنشاط الأيقوني "[2]، وهو ما يؤكده التدرج

---

[1] .C.S Peirce, CP (1.564).
[2] . C.S Peirce, CP.(2. 278,564), P. 158.

الحاضر في تمديد الثلاثية ؛ حيث تفترض علاقة القرينة بالموضوع سلفا علاقة أيقونية وعلاقة الرمز بالموضوع تفترض هي الأخرى العلاقتين القرينية والأيقونية.

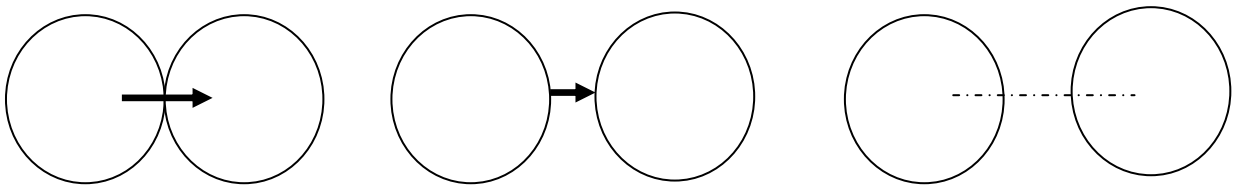
هذا يعني أن الأيقونية يم كن أن تو جد تبعا لصيغة فردية وفق قواعد التدرج؛ فالقرينة تفترض سلفا الأيقونية التي تدخل و إياها في علاقة ثنائية أو زوجية، و الرمز يفترض سلفا القرينة و الأيقونة التي تنشأ بينه ما علاقات ثلاثية، و تبعا لذلك فإن الأيقونة كما ذكر **بورس**" ذات طبيعة خاصة جدا، إنها ليست قحا ؛ ولا توجد أبدا بمعزل عن القرينة والرمز؛ إذ يمكن أن يكون للأيقونة قرينة منحلة أو رمزا مجردا بالنسبة لمؤول غير مباشر ؛ كما يمكن أن تكون لها قرينة أصلية أو رمزا فيما يتعلق بمؤول ناقص [1]، فقواعد التدرج تؤمن افتراضات بين الحدود الثلاثية تبعا لمنطق الترتيب ، حيث يتواجد الأول وحيدا، والثاني يقتضي الأول، أما الثالث فيقتضي ثانيا يقتضي بدوره أولا.

إذا لا يمكن القول أن علاقة العلامة بالموضوع هي إما علاقة أيقونية أو قرينية أو رمزية، بل يجب القول أن علاقة العلا مة بالموضوع هي إما أيقونية (أحادية منحلة) أو أيقونية وقرينية(زوجية، أصلية) أو أيقونية وقرينية ورمزية(ثلاثية، متنامية).

إن تحديد الأيقونة مقارنة بباقي العلامات يسمح بإظهار بعض الإشكاليات المتعلقة بالعلامات التي تكون حاضرة في كل سيرورة سيميائية، ومثال ذلك ما يتعلق بقدراتها على التحول وأحيانا ما يتعلق بتوافقها مع مقاربة المؤول، ووفقا لما يرى **بورس** تتدرج في إطار الأيقونة ثلاثة أنواع من الأيقونات الجزئية **(Hypoicons)** تتمثل على الترتيب في : الصور**(Image)** التي تعد خصائص بسيطة منفصلة عن البعد المادي، و الرسوم البيانية**(Diagrams)**التي تمثل العلاقات الثنائية القائمة بين الأشياء والاستعارات**(Metaphors)** التي تعتمد في تمثيلها على الموازاة؛ حيث توازي في تمثيلها شيئا آخر.

تعكس الأيقونات علاقة الممثل بموضوعه، و هي علاقة ضرورية تبدو حاضرة في جميع المستويات، إنها تدل على حضور ضروري في كل علاقة للعلامة بموضوعها، و قد ميّز **بورس** في موضع آخر هذه العلاقة من خل ل حدود للتعليل هي : الجوار**(Contiguity)**،المشابهة**(Likeness)** والاصطلاح **(Conventionality)** التي يمكن تمثيلها وفق الرسم البياني الموالي:

[1] . C.S Peirce, Écrit sur le signe, tr. Gérard Deledalle, Paris, éd du seuil,1978, P 233.



الاصطلاح(رمز) المشابهة(أيقونة) الجوار(قرينة)

تبعا لقواعد التدرج ذاتها يمكن القول أن علاقة العلامة بالموضوع تحكمها المشابهة أو المشابهة والجوار، أو المشابهة والجوار و الاصطلاح؛ وهذا يعني أن الأيقونات " تكتسي دلالة حتى وإن غابت موضوعاتها عن الوجود، لأن لها من القدرة ما يكفي لاستحضار نماذج لهذه الموضوعات تقوم على مبدأ ي التعليل والمشابهة "[1]؛ لكن **بورس** أبدى بعض التحفظ حيال مسألة المشابهة على الرغم من استعمال ه للحد مشابهة؛ فالقول بإحالة العلامة إلى موضوع معين لا يعني القول أن العلامة تقليد للموضوع خاصة إذا غاب الموضوع عن ال وجود، وهذا يدل على أن **بورس** كان يقصد الأفكار المجردة أو الأحاسيس التي يمكن أن تمثل نص يا من خلل اللجوء المستمر لصوت معين ول لاستعمال المتكرر للوحدات الصوتية المقررة لهذه الفكرة؛ إلا أن الأيقونة تقدم دوما على أنها مسألة عسيرة كونها تلاقي عقبات لما تلتبس من قلة تحديد جعلتها موضعا مميزا للتفاوت والاختلاف، خاصة فيما يتعلق بمعيار المشابهة وعلاقته بالبعد البصري أو المرئي.

1.4.3- المشابهة و الجدل الأيقوني:

أعاد **بورس** تأسيس اللفظ أيقونة في بداية القرن العشرين ، واقترح أن يسمي أيقونات تلك العلامات الأولية التي تتعلق بالأولا رية لا غير، فهي لا يمكن أ ن تكون إلا صورا عقلية إنها بمعنى آخر إمكان غ ير مادي لأن الأيقونة إن تجسدت و صارت مادية ستغدو علامة وستلج بذلك رتبة الثاني انية حتى و إن كانت الإحالة إلى الموضو ع قد تمت على مستوى الأولانية، وهذه العلامات يسميها **بورس** علامات أيقونية وفي موضع آخر يسند لها اسما آخر هو العلامات أو الأيقونات الجزئية **(Hypoicones)**[2]؛ وهي -كما ذكر- تحيل إلى موضوعاتها من خلل علاقة المشابهة.

---

[1]. أحمد يوسف، السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات، الجزائر، منشورات الإختلاف، المغرب، الدار العربية للعلوم، بيرو ت المركز الثقافي العربي، 2005م-1426هـ، ص. 93-94 .

[2] . C.S Peirce, CP. (2.276) , P. 157.

يحيل الحد مشابهة دون شك إلى الحد " شبيه"(**Like**) ، وهو حد اشتق كما ذكر **أجامبن**[1] (**Giorgio Agamben**) من اللفظ الألماني (**Gleish**) المكون من السابقة (**ge**) التي تعني التجمع، ومن الحد (**Leich**) الذي اشتق من الجذر (**Lich**)في اللغة الألمانية الوسيطة الذي اشتق بدوره من الجذر (**Lig**) الذي يعني الوضوح و الهيئة والمشابهة؛ وقد تحول هذا اللفظ في الألمانية المعاصرة إلى (**Leiche**) الذي يحمل دلالة الجثة، و بناء على ما سبق يدل هذا ال لفظ في معناه على كل ما يحمل الهيئة ذاتها أو الخصائص التي يحملها الموضوع.

تحدث **نيتشة** (**Freidrich Nietzche**) عن صورة الأزل **Abilld** وهي صورة يجب أن تسم الحياة[2]، كما دعا إلى التفكير في مشابهة تسبق ما يشبهها، فهل هذا ممكن؟

إن ما سماه **نيتشة** المشابهة التي تسبق ما يشبهها أو الموضوع المشابه لها هو الصورة ذات المرجعية الذاتية (**Autoréférentielle**)، إنها الإرادة أو الرغبة في المشابهة بمعزل عن الذات أو الموضوع، وهي بمعنى آخر صورة الذات (**Image de soi**)، أو انطباع الذات، وقد يكون طرح **نيتشة** قريبا من طرح " **كانط**" (**Emmanuel Kant**) فيما يتعلق بالشيء في ذاته فقد ذكر **كانط** أن " الشيء في ذاته (**Ens per en**) ليس موضوعا آخر ؛ بل هو علاقة (**Respectus**) تربط التمثيل بالموضوع (**Objet**)(...) إنه يمثل وضعية الشيء في ذاته حسب مبدأ التماهي **[en rationis=x]** حين يتم التفكير في الذات على أنها تتعين ذاتيا حسب الصيغة فقط بوصفها ظاهرة " [3]؛ هذا يعني أن " الشيء في ذاته " الذي تحدث عنه **كانط** "والمشابهة السابقة عن مشابهها " التي قال بها **نيتشة** تدل على الإمكان ولا تتعلق بأي تجسيد مادي لكنها تعتمد عنصر المشابهة بوصفه علاقة أساسة في التمثيل و هذا ما يحيل إلى الأيقونة في تصور **بورس** كونها تحيل إلى موضوعها مرتكزة في ذلك على المشابهة سواء حضر الموضوع في الوجود الواقعي أو غاب عنه، " فأيا كانت النوعية أو الفرد أو الموجود أو القانون، إذا كانت أيقونة لشيء آخر وجب أن تكون مشابهة لهذا الشيء "[4]؛ وأن تكون علامة له.

---

[1] . G. Agemben, la puissance de la pensée. Essais et conférences, tr. J. Gayraud & M.Rueff, paris, éd Payot & Rivage, 2006, P.283.
[2] . M. Heidegger, Nietzsche, T. II, tr. P. Klowski, paris, éd. Gallimard, 1971, P.231.
[3] . E . Kant, Opus. postumum paris, éd. P.U.F, 1986, P.144.
[4] . G. Deledalle, Théorie et pratique du signe, paris, éd. Du Seuil, 1979, P.74.

في فترة أحدث صاغ **موريس** (**Charles William Morris**) تحديدا جاء فيه أن العلامة لا تكون أيقونة إلا إذا اكتسبت خصائص الموضوع الذي تعي ن مع العلم باستح الة إدراك علامات أيقونية بحتة و يمثل على ذلك برسم الس نطور[1]، و بهذا المعنى يقترب **موريس** في دعواه إلى حد كبير من **بورس.**

كان **موريس** يشعر بضرورة إجراء تصنيف جزئي، وذلك ما يعكسه مفهوم الدرجات الأيقونية الذي اقترحه، فأدنى الأيقونات درجة و أكثرها ضعفا هي تلك التي لا تشترك مع ما تعبن على خلاف الأيقونات الأسمى درجة وهي التي تماثل الموضوع الذي تعينه، ويبدو هذا الطرح في مجمله مناقضا لمعيار المشابهة الذي قال به؛ لأن **موريس** قد تحدث عن ضرورة المشابهة ليعقبها بمفهوم التدرج في التماثل [2]، و في المقابل أدرج العلامات في عدة مقولات مسندا لكل علامة معنى م حددا، لكنه لم يتطرق إلى إمكان تغيير الوظائف السيمائية فيما يتعلق بالعلامة كما فعل **بورس،** الذي تؤ دي العلامة في تصوره وظائف متغيرة يحكمها التدرج في الترتيب، ثم إن **موريس** يرى في العلامات كيانات ذات معاني مستقلة يمكن إدراجها ضمن مقولات متمايزة دون اهتمام بالسياق المعرفي الموجه للتصور الذي يمكن أن يغير من قيمة علامة معينة ؛ فالعلامات في مجملها علامات متعددة أو بالأحرى ذات وظائف متعددة.

لقد تصور **موريس** أبعادا للدلالة[3] يتم بفعلها تأمين استعمال العلامات لأنها تتضمن علاقة تربط بين العلامات، وتسمح بالإحالة إلى سيرورة الدلالات المفتوحة وإلى مدى فاعليتها، وليست الأيقونات إلا عناصر فاعلة في هذه السيرورة.

أخذ **إيكو** بتوجهي **بورس** و**موريس** ليؤكد أن" كل علامة يمكن أن تعتبر قرينة أو أيقونة أو رمزا تبعا للظروف التي تحكمها ووفقا للاستعمال الدلالي الذي أسند لها "[4]، وقد استدعى **إيكو** مسألة المشابهة في نقده لمسألة الأيقونة الذي ورد في كتابه " **إنتاج العلامة** "[5] ليتساءل عن مدى مشابهة العلامة لموضوعها؟

---

[1] .Ch. W. Morris, Signification and Significance .a study of the relation of signs and values, Massachusetts, Cambridge, M.I.T Press, 1964, P.68.

[2] Ibid., P. 68.

[3] . Ibid. PP. 03-06.

[4] . U. Eco, Le signe. Histoire et analyse d'un concept, tr.T-M. Klinkenberg, Bruxelles, éd. Labor, P. 75.

[5] U. Eco, La production du signe, tr. Meryiem Bouzaher, éd. Librairie générale française, Livre de poche, 1992.

في مؤلف أصدره **إيكو** حديثا[1]، صرح عن تخليه عن الوضعية التي كان يتبنا ها فيما يتعلق بمسألة الأيقونة التي وردت في أعماله السابقة؛ وفي هذا المؤلف حاول تأسيس موازنة جدل دام قرابة العشرين سنة وتتعلق أسبابه بذلك التصور الساذج للمشابهة.

بعد مراجعة الأعمال النقدية التي استدعاها **إيكو** التي دارت في مجملها حول الأيقونة يلمح البحث قراءة لأهم النقاد الذين تناولوا الموضوع في تلك الفترة و من أبرزهم **مالدونادو (Maldonado)** و**غودمان (Goodman.N)**؛ بالإضافةإلى الحضور البارز لدعاوى **بورس** التي تعد علاقة الأيقونة بالتصور الدينامي للعلامة أحد أهم عناصرها.

في هذا السياق أكد إ **يكو** أن جزءا كبيرا من الحياة اليومية يقوم على المشابهة ؛ إذ يتم التعرف على الأشخاص بالاعتماد على المشابهة، كما يقوم استقرار الإدراك على الأشكال[2]؛ وبذلك أسند **إيكو** طبيعة أيقونية للإدراك ضمنها التعاقدات الخطية و القواعد المتعلقة بالنسبة ؛ كما ضمنها قواعد الإسقاط التي تتدخل في إنتاج الأيقونات الجزئية **(Hypoicones)** والتعرف عليها.

إثر ذلك يبدو أن الأمر يتعلق بمشابهة مفاهيمية أو استعارة تنتجها مثيرات إدراكية يثيرها المرجع الثقافي؛ مما يعني أن الأمر لا يتعلق بالمشابهة وحدها بل يتعداه إلى الاعتماد على تلك الرابطة الثقافية التي تنتج عن طريق المواضعة أو الاصطلاح ، و مثل ذلك تلك العلامات التي تبقى عصية على الفهم على الرغم من أنها تعكس علاقة أيقونية مع الواقع؛ وذلك مرده أنها تحتاج إلى عنصر آخر يساعد على فك الإبهام المتعلق بها ؛ فالكتابات القديمة التي اعتمد المختصون في تفسيرها على التقارب التصويري بغية الربط بين خصائصها؛ أثبتت التغيرات الخطية في صيغها المختلفة أنها تعكس بعدا ثقافيا يساعد في فهم المعنى وتأويله، وبذا أثبتت قدرة العلامات على تلبس معاني متمايزة لا يتم إدراكها إلا بفعل المشابهة التصويرية التي تحيل إلى مرجعيات ثقافية مختلفة.

تشكل أعمال جماعة μ مرتكزا هاما في السيميائيات ؛ فمن خلال أعمالهم يمكن فهم الأيقونة وتحديدها بوصفها نصا لنسق معين ، ويعود هذا التصور إلى تصور آخر فحواه أن الأيقونة ظاهرة سيميائية حركية ؛ لذلك تم التركيز في هذا المشروع على العلاقة التي تربط

[1]U. Eco, Kant et l'ornithorynque, tr. Julien. Gayrard, Paris, éd. Grasset, 1999.
[2]Ibid .P.474.

علامة معينة بالموضوع الذي تمثله، سواء كان هذا الموضوع ذو طبيعة مادية أو عقلية أو ذو طبيعة مغايرة.

لقد بدت العلامة في تصور ال بعض* وحدة يمكن تجزئتها إلى قسمين لكن أعضاء جماعة μ آثروا المقاربة الثلاثية التي صاغها **بورس**؛ لأنهم رأوا أنها تقدم فهما أفضل لمختلف وظائف العلامات وتسمح بربط مختلف النظريات التي جاءت بعد البنوية، فأجمعوا بذلك على أن العلامة وحدة ثلاثية الأبعاد مكونة من دال **(Signifiant)** ومرجع **(Référent)** ونمط **(Type)**، وكان تحديدهم لكل بعد من هذه الأبعاد بمثابة مقاربة جديدة للعلا مة الأيقونية التي تقف على مأزقين نظريين أولهما ذلك الذي صرح به **إيكو** حينما أقر أن أفضل أيقونة لأنفهي أنفه ذاته، و المأزق الثاني هو ذاك الذي يسمح بتأكيد أن كل موضوع يمكن أن يعد أيقونة لموضوع آخر وذلك ما يبرره اختلاف أوجه الشبه.

انتقد أعضاء جماعة μ سذاجة التحديدات ، فقالوا بسذاجة "فكرة الواقعي" ومن ثم بسذاجة "صورة الواقعي" ودعوا إلى وجوب ارتكاز النقد على مفهوم الموضوع والعلامة[1]؛ مما يدل على أن أعضاء الجماعة كانوا يرون في الأيقونة موضوعا متعلقا بالثقافة ، لذلك اقترحوا أنموذجا قابلوا فيه بين القدرة على وصف استقبال العلامات وإنتاجها وبين تأسيس مفهوم التحول **(Transformation)** الذي يعد في الوقت ذاته إبدالا لفكرة النسخ التي تتضمنها تحديدات المشابهة.

تستدعي فكرة إعادة البناء أو التحول فكرة أخرى هي التمثيل، و على هذا الأساس يتم التمييز بين العلامة الأيقونية و العلامة التشكيلية، حيث يتعلق دال العلامة التشكيلية بالمرجع ويرتبط به من خلال علاقة تسمى علاقة التحول، لأن "الدال والمرجع متطابقان نمطيا "[2]، وتبعا لهذا التحديد تتجلى ثلاثة عناصر مسؤولة بمجملها عن تحويل هذه العلاقات ولا يمكن أن يؤدي أي عنصر من هذه العناصر عملية التحويل بمعزل عن بقية العناصر لأن عملية التحويل تقتضي حضور العناصر الثلاثة معا، حيث إن أعضاء جماعة μ ينظرون إلى المرجع بوصفه مجموعة موضوعات، أما النمط **(Type)**؛ فهو تمثيل عقلي يعزز وجود هذه

---

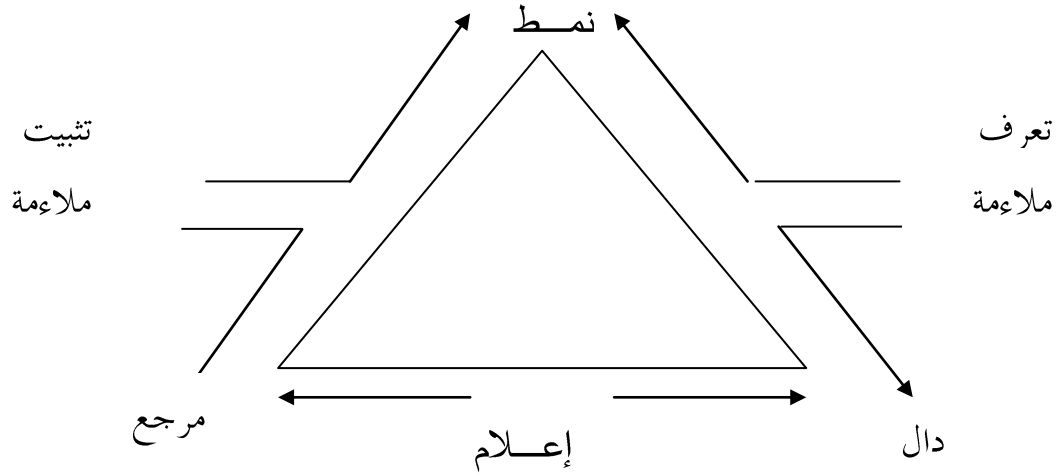
*. في إشارة إلى أولئك الذين اعتمدوا البعد الثنائي للعلامة و هم ينعتون بأصحاب النزعة الثنائية، وقد ذكر " **لورات**" " Lerat" أن الثنائية لا تبدو ناجعة في عدة ممارسات، منها الترجمة.

Cf. P. Lerat ,Les langues spécialisées, Paris, éd. P.U.F, 1995, P.37.

[1]. Groupe μ, Traité du signe visuel, Paris, éd. Du .Seuil, 1992, P.129.

[2] . Ibid., P. 121.

الموضوعات، إنه قسم مفاهيمي مجرد، و الدال يمثل مجموعة المحفزات البصرية التي تمثل نمطا ثابتا و ترتبط بالمرجع لتمارس علاقات التحويل.



Groupe μ (1992), P.136

من أكثر الإسهامات راهنية فيما بتعلق بموضوع الأيقونة تلك التي تعزى إلى السيميائي السويدي **سونسون**[1] **(Sonesson.G)** الذي أخضع مسألة الأيقونة لإطار دراسة دقيق؛ حيث استهل عمله بالاعتماد على سيميائيات **بورس** وأعمال **إيكو**؛ كما استثمر إسهامات الظاهراتية وعلم النفس الإدراكي وكذا العلوم المعرفية.

لاحظ سونسون أن **بورس** لم يذكر ما إذا كانت الأيقونة شرطا كافيا لتأمين وظيفة سيميائية في علاقة أيقونية معينة بين موضوع هو التع بير و آخر هو المحتوى، فهل يجب أن تضاف الوظيفة السيميائية بمعنى آخر إلى الأيقونة لتنتج علامة أيقونية ؟

من خلل تصنيف الأيقونات إلى أولية و ثانوية أجاب **سونسون** عن هذا السؤال؛ فالأيقونة الأولية هي تلك التي تستبق فيها علاقة المشابهة وظيفة العلامة و تبررها، أما الأيقونة الثانوية فهي التي يتم فيها التعرف على وظيفة العلامة سلفا، أي قبل إدراك مشابهة بين التعبير والمحتوى، وهذا يعني أن العلامة الأولية هي علامة يكون فيها إدراك المشابهة بين التعبير والمحتوى سببا جزئيا لتحديد ذلك التعبير بوصفه تعبيرا للمحتوى، فتكون الأيقونة بذلك سببا أو أساسا يسمح باقتراح وظيفة العلامة.

[1].G.Sonesson, « De l'iconicité de l'image à l'iconicité des gestes », in. Oralité et gestualité. interaction et comportements multimodaux dans la communication, Ch. Cavé. I. Guitelle- S. Sart (éds), Actes du colloque ORAGE, Aix-en- Provence, Paris, éd. L'harmattan, 2001, PP.47-55.
Disponible On line. Www. Arthist.lu.Se/ Kutsem/ Sonesson

أما العلامة الثانوية فهي علامة تكون فيها معرفة تعبير معين بوصفه تعبيرا لمحتوى معين سببا جزئيا في عملية إدراك المشابهة بين التعبير والمحتوى خلافا للعلامة الأولية فتكون بذلك علاقة العلامة مسئولة جزئيا عن علاقة الأيقونة أو مسئولة عنها نسبيا.

انتقد **سونسون** أولانية **بورس** لأنه رأى أنها تتيح للأيقونة بعدا واحدا وحسب، وذلك ما ينفي كونها علاقة، فالأيقونة علامة تتضمن كيانين هما التعبير والمحتوى يمكن استدعاؤهما في علاقات قرينية أو رمزية، سواء كانت متبادلة فيما بينها أو مرتبطة مع كيانات أخرى ويفسر **سونسون** هذا الانتقال من رتبة الأولانية إلى رتبة الثانيانية من خلل اع تماده **الأساس**[1] **(Ground)**؛ بوصفه الزمن الذي تتحول فيه الأيقونة إلى علاقة فتلج بذلك الرتبة الثانيانية، ويقترح من ثم تمييزا آخر بين نمطين من الأسس هما الأسس القرينية والأسس الأيقونية يعكس تبعا له نسبة معيار المشابهة الذي يعد في تصوره جزء ا من العوالم الأنثروبولوجية ويخضع بدوره لتدرج السنن الثقافية.

2.4.3- الصورة والإدراك:

أدرك التمثيل التصويري منذ العصور الكلاسيكية ضمن إطار الإسناد المحاكي، حيث كان التمثيل يقتضي إعادة تقديم الشيء مع مراعاة المشابهة في ذلك، فكان النجاح الفني في الحقبة الكلاسيكية يتعلق بكون اللوحة مماثلة للموضوع الممثل؛ إذ يتوجب على العمل الفني أن يكون على قدر كبير من الشبه بالموضوع الممثل، فيكون بذلك ملائما له أو معادلا.

باختصار كان التمثيل مدرجا في إطار العرض، لكن إذا كان التمثيل كذلك، فكيف يمكن ميز الصورة من الموضوع، أليس التفكي ر في التمثيل بوصفه مشابها يعني إقصاء كل الأعمال التي لا تحاكي موضوعاتها؟

أجاب **غودمان** عن هذا السؤال من خلل اقتراح إسناد التجريد للمشابهة معتمدا في ذلك على قاعدة فحواها " أن كل شيء يمكن أن يمثل أي شيء"[2] مما يعني أن السبب هو المواضعة أو الاصطلاح، لكن **برو (Ch. P. Pru)** لا يستسيغ هذا الرأي؛ بل يرى أن التجريد لا يحيل

---

[1] .C.S. Peirce, CP.(2.228), P. 135.

الأساس **(Ground)**، حد استعمله " **بورس**" للدلالة على وجهة النظر التي تبعا لها تمثل علامة معينة بوصفها موضوعا ديناميا لعلامة أخرى هي الموضوع المباشر.

[2] N. Goodman, Langage de l'art, Op.cit, P 35

إلا على ذاته فهو لا خطاطة و لا علامة [1]، لكن ألا يعني ارتكاز النسق التصويري على الاصطلاح أن المشابهات ناشئة عن المواضعة أو الاصطلاح ؟

اعتمد **ماغريت** (**Magritte.R**) الفصل بين المشابهة و التمثيل؛ فرسم الغليون مثلا لا يشبه الغليون، وما يجمع بينهما ليس سوى تلك المماثلات (**Similitudes**) التي تنتمي إلى رتبة التمييز (**Distinction**)، فالمماثلة كما يرى **ماغريت** " تنشأ عن فعل الفكر الذي يعاين و يثمن و يقارن، في حين أن المشابهة تنتمي إلى رتبة اللاتمييز "[2]؛ وهذا ما يجعل المشابهة التي قال بها **ماغريت** مقاربة لمفهوم الأولانية لدى **بورس** لأنها سيرورة تعكس عدم التمييز، إنها بمعنى آخر سيرورة انفتاح على ال كيف (**Qualité**) والممكن (**Possible**)، إنها سيرورة يتم من خللها تقويض المماثلات والفروق التي نشأت عن المواضعة.

هذا يعني أن التمثيل التصويري ينظر إليه أحيانا على أنه تناظري (**Analogique**) كونه يرتكز على المماثلات، لكن التمثيل قد يكون أحيانا غير تصويري ؛ حينما يكتسي طابعا تجريديا نعته **جينيت** بالتجريد التصويري[3] (**Abstraction Figuratif**) لكنه رغم ذلك يحمل دلالة معينة، ومثل ذلك لوحة **بيكاسو** (**P. Picasso**) الشهيرة الموسومة بـــ " **Guernica**" التي قد يرى فيها أي شخص عادي عملا فنيا تشكيليا مبهما، على خلاف من اعتاد التعامل مع الفن الذي ستحمل هذه اللوحة بالنسبة له كمًا من المعاني والدلالات، ومثل ذلك قراءة " **ديريدا** " (**J. Derrida**) لهذا العمل الفني الشهير، و هي قراءة تجمع بين الحس الجمالي و الوعي الإدراكي إذ إن " **Guernica** " كما يرى " هي اسم لمدينة ولجهنم؛ وكذا اسم لعمل فني يكشف البربرية المتحضرة (..) و يعارض العنصرية [4]، وكذلك هو الحال بالنسبة للوحة **مالفيتش** (**Malvitche**) الشهيرة التي تبدو" أشبه بظل مستطيل أو إطار في حين أنها مستطيل رسم ضمن إطار مستطيل يشاكله لونا ويكبره فيحتويه"[5]، مما يعني أن هذه الصور المجردة تحمل معاني، وهذا ما يشير إلى أن "العمل الفني يحتاج إلى سيرورة خاصة من التدليل(السيميوزيس) لا تقيم وزنا لما هو صريح ومحدود حتى وإ ن انطلقت اللوحة الفنية من ثيمة ذات حمولة مرجعية وثقافية أو تاريخية "[6]؛ فالصور الفنية تمثل موضوعات نابعة من

[1] C-P. Pru, Esthétique de l'Abstraction. Essai sur le problème actuel de la peinture, P.43
[2] R. Magritte, Ecrits complètes, édition établit et annotée par. A. Blavier, P. Margrite, Paris, éd. Flammarion, 1979, P. 529.
[3] G. Genette, "Les deux abstractions ", Figures IV, Paris, éd. Du seuil, 1999, P 298
[4] J. Derrida, Psyché. Invention de l'autre, T.1, Paris, éd. Galilée, 1998, P.394
[5] Ibid, P. 304.
[6] الطاهر روابنية، سيميائيات التواصل الفني، ضمن مجلة عالم الفكر، الكويت، ع.03، المجلد.35، يناير-مارس، 2007، ص.275.

الخيال لكنها موحية وإن لم تكن ثلاثية الأبعاد كما كان يحلم **بيكاسو** الذي كان يأمل "بتجسيد أعماله الفنية من قبل مهندس كفؤ "[1] لتلج هذه الأعمال مجال التم ثيل الواقعي الذي تعد موضوعاته محققة.

يحث التمثيل على منح صورة عقلية للمرئي بغية تمث يلها على الوجه اللائق لإبراز اللامرئي، فالصورة " لا تعمل من أجل أن يسهل فهم معناها بل تعمل على خلق إدراك متميز للشيء"[2]، وتلك كانت وجهة نظر **دوبراي (Régis Debray)** الذي " لم يعثر في التصوير المرئي إلا على منفعة واحدة هي إبراز اللامرئي "[2]؛ لأن الصورة تحفز على البحث في المعارف بغية إدراكها .

بناء على ما سبق يتبين أن التمثيل علاقة منطقية على خلاف المشابهة التي تعد علاقة إدراكية تقوم على المماثلة، ففي التمثيل تتجلى ا لقدرة على استعمال أنساق سيميائية يحققها مجموع الاصطلاحات أو المواضعات التي يجمع عليها أعضاء جماعة ثقافية معينة، أما في المشابهة فتتجلى آليات معرفية تتيح إمكان التعرف على المماثلات و إدراكها، لكن هذا قد يثير عدة تساؤلات أهمها ذاك الذي يتعلق بموقع اللامرئي في إدراك العلامات البصرية وفهمها فما موقع اللامرئي إذن في السيرورة التي تمتد من الإدراك البصري إلى المعرفة ؟

3.4.3- الأيقوني والبصري :

غالبا ما تفرز محاولة التوليف بين مشاريع مختلفة غموضا أو عدم دقة في التحديد وذلك ما حدث حينما حاول **إيكو (U.Eco)** مقارنة العلامات اللسانية بالعلامات البصرية على أرضية مشتركة تجمع بين سيميائيات **بورس** التي لا تقبل البتة بحصر الأيقونة التي تعد خاصية أساسية للعلامة في إطار البصري لأن الأيقونة يمكن أن تكون صورة أو صوتا أو ذوقا أو رائحة، و بين سيميائيات **يالمسليف** القائمة على الفرضية السوسيرية التي فحواها تأسيس مبدأ لتصنيف العلامات على قاعدة الرمز و التي لا تول أي مكانة لمفهوم الأيقونة.

يقود اللبس الذي يتضمنه طرح **إيكو** إلى تلك المقاربة بين العلامات الأيقونية والعلامات البصرية، فانطلاقا من تحديده للعلامة الأ يقونية تبدو هذه الأخيرة على قدر كبير من الشمولية التي تكفل لها الإحاطة بالعلامة البصرية، وقد اقترح **إيكو** أن العلامة الأيقونية لا يمكن الإحاطة بها إلا من خلال صيغ إنتاجها بمعزل عن أبعادها و عن تركيبها على الرغم

[1] J. Gris, Confessions esthétiques, Paris, éd. Gallimard, 1963, P. 212.
[2] R. Debray, Vie et mort de l'image, Paris, éd. Gallimard, 1992, P.31.

من أن مشروعها واضح و بيـنٌ يقتضي الوصول إلى نمط ية للعلامات بالإضافة إلى تطبيق تحديد العلامة على كل نمط ربط مسؤول عن خلق علاقة معينة بين صعيدين [1] وبذلك يتجلى غموض يحيط بهذا التصور الذي يعكس ترددا واضحا إزاء مسألتين نظريتين متباينتين هما طرح **بورس** الذي يتناول العلامة بوصفها مجالا لحركة الدلالات المفتوحة ، وطرح **يامسليف** الذي يتوخى التعرف على قواعد الربط بين صعيدين هما في التعبير والمحتوى .

في ظل هذه الشروط ليس غريبا أن تتمنع العلامة الأيقونية عن الإدراك، إذ يبدو الأساس النظري لهذا الانعكاس هشا بعض الشيء ؛ ففي موضع يحدد **إيكو** الأيقونة بوصفها نصا أيقونيا مؤسسا لسيرورة السنن وفي موضع آخر يرى فيها وحدة تنتمي إلى سنن ضعيف و غير مميز، و في كلتا الحالتين يتجلى قصور العلامات الأيقونية، ففي الحالة الأولى يسند **إيكو** لهذا النوع من العلامات دور تشكيل السنن فيحصر بذلك وظيفتها في خدمة السنن اللساني مغفلا الجانب الأيقوني، أما في الحالة الثانية فإن إدراج العلامات الأيقونية في إطار السنن الضعيف قد يدل على فقر هذه العلامات من حيث نسبة التسنين التي ستؤثر في معرفة طبيعتها.

هذه الوضعية جعلت **إيكو** يعتمد طرحا آخر يتمثل في إسناد دور العلامات الأيقونية التواصلي إلى البنية الإدراكية؛ فالتواصل لم يتمخض عن العلاقة بين الرسالة والسنن؛ بل نشأ عن آليات الإدراك التي تؤسس صيغ إنتاج العلامات ، وهذا يشير إلى أن العلامة الأيقونية إذا كانت تحمل خصائص مشتركة مع موضوع معين فإنها تشترك مع الأنموذج الإدراكي له؛ لأن "العلامة تؤسسها الع مليات العقلية التي يتم تحقيقها لإنشاء المدرك بمعزل عن المادة التي تتحقق فيها هذه العلاقات و تعرف تبعا لهذه العمليات العقلية أيضا "[2]؛ فالبنية الإدراكية " تقوم على قاعدة السنن الإدراكية للتجربة المكتسبة"[3]، مما يعني أن العلاقة التناظرية لا تتموضع بين العلامة الأيقونية والموضوع بل تتوسط الأيقونة والنماذج الإدراكية.

شكلت إسهامات **إيكو** فيما يتعلق بالعلامات البصرية مرتكزا هاما استندت إليه بعض الاتجاهات التي كانت تسعى لدراسة السيميائيات البصرية مثل جماعة μ ؛ كما استندت إليه تلك الاتجاهات التي لم تقتنع بإسناد البعد البصري للأيقونة و مثل ذلك ما جاء به **سونسون**

[1] U. Eco, La production du signe, Op.cit, PP. 63-66.
[2] U. Eco, Sémiologie des messages visuels, in. Communication. N.15, Paris, 1970, P. 21.
[3] Ibid, P. 14.

الذي لم يستسغ القول بالأيقونات البصرية مستندا في ذلك إلى تصور **بورس** فيما يتعلق بالأيقونة الرياضية و إلى أيقونية اللغة التي أشار إليها **جاكوبسن (R. Jakobson)**؛ فالأيقونة كما تصورها **سونسون** تناقض التصور الذي تبناه كل من **قريماس (A.J. Greimas)** و**كورتيس (Joseph Courtès)** وهو تصور يربط بين الأيقونة و السيميائيات الأدبية؛ حيث يجد النشاط الأيقوني في الوهم المرجعي معادلا له[1]؛ وهذا ما يحيل إلى أن **قريماس** و**كورتيس** يناقضان تصورات أعضاء جماعة μ الذين اهتموا بالسيميائيات البصرية في مسألة الإدراك.

لا تحيل الأيقونة – في تصور **سونسن** – إلى الصورة؛ بل لا تتحدد على مستوى التمثيل الواقعي، فالصورة ليست إلا تدرجا افتراضيا بين أشياء العالم يخضع للسنن الثقافية في تغيراته، والبيئة السيميائية **(Ecologie Sémiotique)**[2] التي اقترحها **سونسن** هي المسؤولة في تصوره عن تأمين انتقاء الدرجة المفضلة لهذا التدرج.

في الاتجاه ذاته تتبلور رؤى **هوبرمان (George-Didi Huberman)** الذي استدعى علما متقدما لدراسة الأيقونة هو هندسة الكوارث التي "لا تبحث عن نماذج الوصف الدقيق بقدر ما تبحث عن تلك النماذج التي تصير بفعلها صيغة معينة دالة خلال سيرورة زمنية معينة"[3]، لأنه نفى عن الأيقونة كونها مرتسمة مصنعة**(Imagerie Stéréotypée)**[4] وحجته في ذلك كانت قوله بوجود موضوعات لا يفضي وصفها الدقيق إلى أي حقيقة.

خلافا لهؤلاء كانت جهود أعضاء جماعة μ تمتح من م عين سيميائيات **بورس** و **إيكو** في محاولة لصوغ الأسس الإدراكية للسيميائيات البصرية التي تقوم في مجملها على مبدأ التناظر **(Analogie)**، فنزعوا إلى تحليل الحسي في مقابل الإ دراك و المعرفة ليخلصوا إلى تأسيس أنموذج شامل لفك السنن البصري.

يقوم أنموذج فك السنن البصري الذي اقترحه أعضاء جماعة μ على المزاوجة بين السيميائيات ونظرية الإدراك؛ حيث نزعوا نحو انتقاء بعض التصورات واستعارتها من مجالي السيميائيات ونظرية الإدراك ابتغاء استثمارها في بناء أنموذج عام و شامل يكون بمثابة أداة فاعلة لتفسير الصور على مستوى الإدراك.

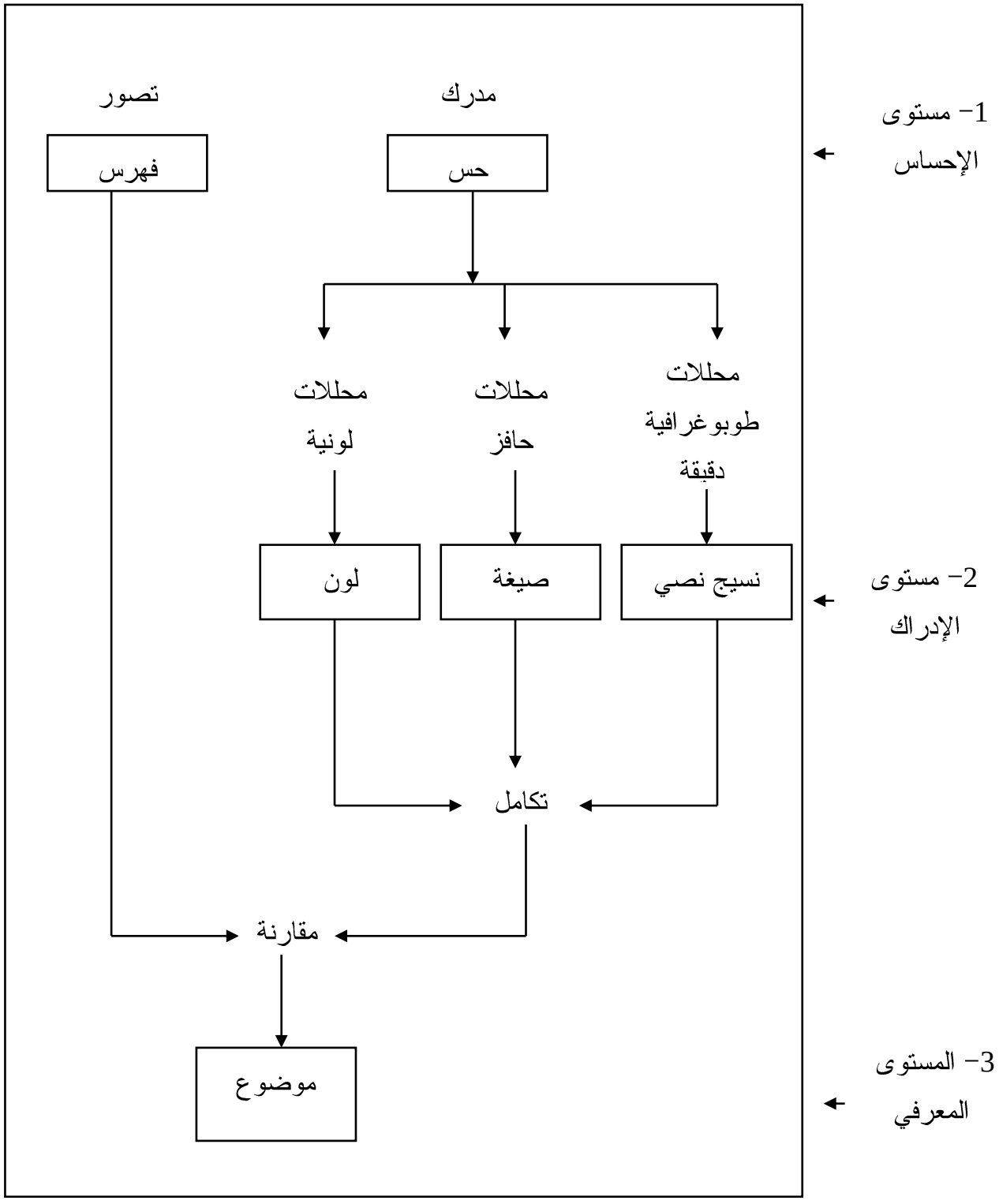
---

[1] A-J. Greimas & Courtés, Sémiotique .Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, éd. Hachette, 1979, P. 177.

[2] G. Sonesson, " De l'iconicité de l'image à l'iconicité des gestes", Op.cit.

[3] R. Thom, Esquisse d'une sémiophysique, Paris, éd. Inter édition, 1988, P. 11.

[4] G-D. Huber man, Devant l'image. Questions posées aux fins d'une histoire de l'art, Paris, éd. Minuit, 1990, P. 43.



- أنموذج فك السنن -

Groupe μ (1992), P 91

يتبين من خ لل هذا الأنموذج العام أن النسق البصري ينتج على مستو يات الصيغة و النسيج النصي و اللون بنى لمدركات مبدئية تنظم المحفزات انطلاقا من بنى مخ تصة تتمثل في ثلاثة أنماط من المحللات ا لتي تختص على الترتيب بالنماذج والاتجاهات و التكاثف وعلى هذا الأساس يتم الإنتاج على ثلاثة مستويات يختص أولها بالصيغ، أما الثاني فيختص بالموضوعات ليعتمد المستوى الثالث إنتاج الأشكال **(Figures)** التي تعد " نتاج سيرورة حسية تؤمن موازنة مناطق اعتدال التحفيز "[1]، وبذلك فإن الانتقال إلى الموضوع يتيحه انضمام خصائص بصرية تستدعي صيغا حسية أخرى متى تشعبت الصيغة أو الشكل **(Forme)** بخصائص دائمة و هذا ما يقارب بين مفهومي الموضوع و العلامة، فيما أن الموضوعات تمثل مجموعة من الخصائص التي تتسم بالاستمرارية وبقدرتها على تسيير النشاط.

يمكن القول أن مفهوم الموضوع شبيه بمفهوم العلامة، و بناء عليه فإن العلامة هي مظهر ثابت **(Configuration stable)** ينحصر دوره التداولي في إتاحة توقعات واستحضارات وإبدالات انطلاقا من وضعيات معينة، ثم إن العلامة تؤدي وظيفة الإحاطة التي لا تكون ممكنة إلا من خلل تأسيس نسق معين "[2]؛ وبهذا المعنى تبدو الوظيفة السيميائية جزءا متممما للوظيفة الإدراكية لأن "مفهوم الموضوع لا ينفصل تماما عن مفهوم العلامة"[3] وهذا ما قد حدا بأعضاء جماعة μ إلى إسناد فعل تحويل الموضوعات إلى علامات **(Sémiotisation)** للإدراك ونفي الموضوعية عن مفهوم الموضوع .

من هذا المنطلق تؤدي العلامة في تصور جماعة μ دورا فاعلا في بناء الأنموذج المماثل للموضوع من خلل سيرورة التحفيز التي تؤدي إلى تعيين الصيغ و من ثم تعيين خصائص الموضوع لتليها مبا شرة مرحلة تعيين الموضوع ذاته، و قد يستدعي هذا الدور الوقوف و لو لبرهة على العلاقة القائمة بين التمثيلات الخارجية والتمثيلات الداخلية.

ربما كان لهذه العلاقة دور فعال في إبراز نظرية التسنين المزدوج [4] حيث تخضع نشاطات المعالجة المعرفية لنسقي تسنين مختلفين أو بالأحرى لصيغتي تم ثيل تتكاملان لتشكلا

---

[1] Groupe μ, Traité du signe visuel, pour une rhétorique de l'image, Op.cit, P. 68.
[2] Ibid., P. 81 .
[3] Ibid., P. 81 .
[4] Cf. S. M Kosslyn, Image and mind, Cambridge, H.A, Harvard University Press, 1980.

نسق تسنين وحيد و غير صيغي **(A modal)** على مستوى تخزين التمثيلات "[1]، وهذا يعني أن هناك صيغتان للتمثيل، أولاهما تمثيل مجرد ذو طبيعة قضوية **(Propositionnel)** مرتبط بتجربة اللغة و الآخر نسق تمثيلي تصويري **(Figuratif)** يقوم على "دلالة المشابهة"[2] التي ترتبط بالتجربة الإدراكية للمحيط.

5.3- التمثيل العقلي :

يقع التمثيل في فكر **فريج (G. Frege)** و**رسل (B. Russell)** بمقابل التصور **(Concept)**؛ لأنهما كان يحاولان تأسيس علم للحساب **(Arithmétique)** قائم على قوانين المنطق؛ لذا بدا هذان المقومان متناقضان من وج هة نظر منطقية، ثم إن الغاية المعرفية من هذا التمييز كانت إقصاء النفسي و عزله عن كل كشف علمي، لأن العلم مستقل عن موضوعه مقارنة مع السيرورات التي يتم بفعلها إعمال الفكر ؛ لذلك اعتمدت التصورات في ه ذا الاتجاه بوصفها وحدات مجردة وموضوعية، وبناء عليه يكون التمثيل صورة عقلية ذاتية لأنه فردي؛ إذ لا يمكن أن يكون مشتركا.

لقد كان الفصل بين المنطقي والنفسي الذي نشأ عن النزعة المنطقية **(Logicisme)** يهدف إلى رهانات معرفية بحتة أهمها استحالة تأسيس علم قائم على قاعدة نفسية ؛ فالفكر في اصطلاح **فريج** صادق بمعزل عن كيفية التفكير فيه، إنه نواة المنطق، أما العناصر النفسية فيمكن أن تشكل عائقا على مستوى الاستدلال، مما يعني أن السيرورات النفسية ليست شروطا لإمكانية الفكر في حد ذاته؛ بل هي تشكل شروط إمكانية الإحاطة به فقط، و على هذا الأساس يمكن القول أن الح جة التي تبرر الفصل بين التصو ر والتمثيل هي شرط إمكان الحقيقة التي فحواها التعذر في مقابل الخصوصية ، مما يعني أن الحقيقة لن تكون ممكنة أبدا إذا كان لكل تصوره الخاص لأن الجميع في هذه الحالة سيقولون الحقيقة وهو أمر غير وارد البتة وهذا يعني أن الحقيقة ليست ذاتية ولا تتعلق بالفرد.

في مؤلفه " أسس الحساب " [3] عد **فريج** ميز المفهوم من التمثيل مبدأ ضمنه تحليل العدد الترتيبي و بيـنَ من خلله ضرورة تمييز ثلاثة مفاهيم أساسية هي التصور و التمثيل

[1] M. Betrancourt, Facteurs spatiaux et temporels dans le traitement cognitif des complexes texte- Figure, Thèse de doctorat en sciences cognitives, Grenoble, Institut National Polytechnique de Grenoble INPG, 18 Oc 1996, on line : www. Inria.fr/rrrt/tu- 0430. Html- 3K, P. 50.

[2] M. Denis & M. de Vega, Modèles mentaux et imagerie mentale dans M.F. Eurleich & al, les modèles mentaux. Approches cognitives des représentations, Paris, éd. Masson, 1993, P .89.

[3] G. Frege, Les Fondements de l'arithmétique, tr. Cl. Imbert, Paris, éd. Du seuil, 1969.

والشيء وكذا تمييز مقولاتها المتمثلة في الموضوعي والذاتي والواقعي، و هذا يعني القول بتفاوت المفاهيم واختلافها من حيث الطبيعة و المقولات على سبيل الحصر، ذلك أن التصور والشيء يختلفان عن بعضهما كما يختلفان عن التمثيل الذي يحمل خصائص لا تتعلق بمميزات التصور العامة .

أجمع المناطقة **فريج** و**كارناب** (Rudolf Carnap) و**بوتنام** (Hilary Putnam) على أن غايات التصور ليست كليات عقلية و التمثيل العقلي "لا يكفي لتثبيت المراجع"[1] وقد اقترح **بوتنام** في مناهضته للنزعة العقلية تجربة فكرية سماها "الأرض التوأم"[2] (**Terre Jumelle**)؛ وهي أرض شبيهة بالأرض، سكانها يفكرون مثل سكان الأرض إلا أن الفرق الوحيد بينهما هو الماء، فالسائل الذي يمثل الماء (H_2O) في الأرض مكون من جزيئات مختلفة في الأرض التوأم و هي على سبيل الافتراض (**HYZ**)، مع العلم أن **بوتنام** يشترط في هذه التجربة تخيل الأرض التوأم قبل اكتشاف كيمياء **دالتون** (**Dalton**)، و هذا يعني أن الماء في الأ رض ليس الماء في الأرض التوأم و الحد ماء سيحمل دلالتين متباينتين فإذا كان القصد من المفهوم ماء هو م صدر مؤلف من جزيئات الهيدروجين و الأكسجين فإنه لن يتقبل مصدرا من النوع **HYZ** بوصفه ما صدق و هذا يعني أن خاصية التصور يجب أن تحدد خاصية الموضوع الموجود في إطار التصور، لكن مع ذلك قد لا يظهر التباين ببساطة خاصة إذا كانت الخصائص السطحية متجانسة و ذلك ما يثبت ضرورة ميز التصور من التمثيل وفق مسعى علمي وقد تبدو وجهة النظر هذه شبيهة إلى حد ما بدعوى **بورس** لاعتماد التفاسير العلمية .

ذكر **بوتنام** أن الماء التوأم لا يمكن أن يكون الماء؛ حيث إن دلالة الماء التوأم تختلف عن دلالة الماء، لكن ما الذي كان يعينه الحد "ماء" قبل اكتشاف التكوين الجزئي (H_2O)؛ وبمعنى آخر ما الذي كانت تعنيه جمله مثل "أريد ماء" قبل اكتشاف **دالتون؟**

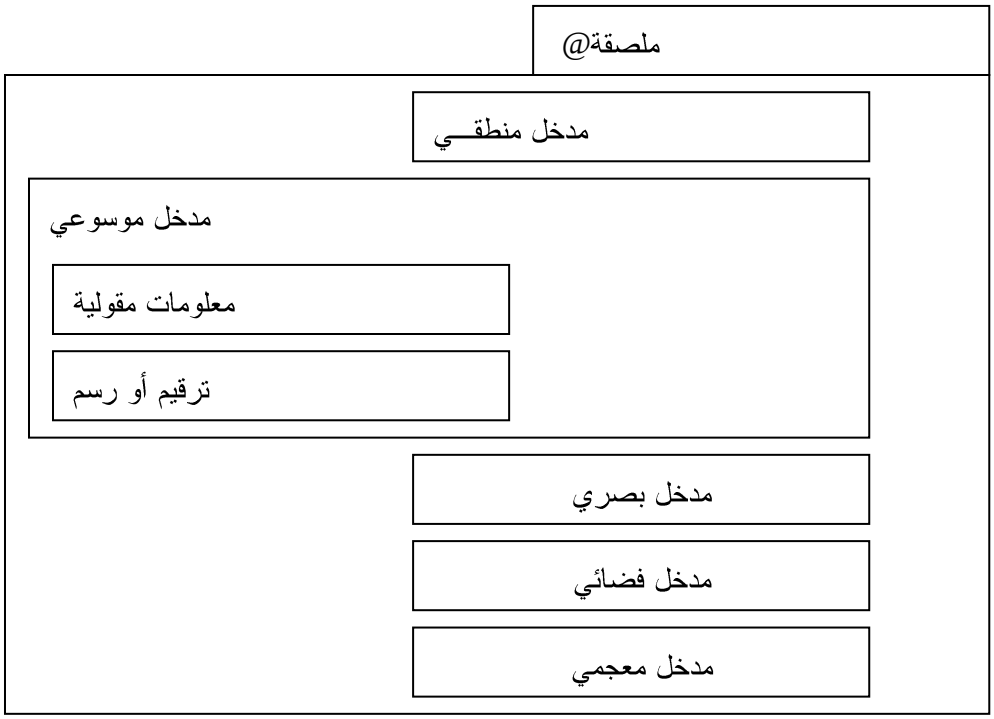
يقود التساؤل إلى فرضيتين إحداهما تشير إلى تعثر **بوتنام** فيما يتعلق بتبنيه القول بأن دلالة الماء لطالما تعلقت بدلالة تكوينه الجزئي، و الفرضية الثانية هي احتمال استعمال عدة تصورات دون معرفة بدلالاتها الواقعية، فمن وجهة نظر **تداولية** يمكن القول أن التصورات

[1] H. Putnam, Représentation et réalité, tr. Cl. Tiercelin, Paris, éd. Gallimard. 1990, P. 65.
[2] Ibid, P. 65-70.

والتمثيلات تتداخل مما قد يشكل عائقا للمعرفة و مصدرا للارتياب، لكن هذا التداخل قد يشكل بالمقابل حافزا للتواصل .

تتألف اللغة من حدود تعد كيانات معقدة منطقيا، لكن قد يحد ث أحيانا أن يستعمل حد معين دون معرفة دقيقة بتحديده، مما يعني أن النقص المعرفي ليس عائقا تاما لأن تمثيل الأشياء سيكون ميلا لتصوير الخصائص المتجلية على الأقل وفقا للقدرات المعرفية، لكن قصور التمثيلات عن تحقيق الصدق لا يعني أنها لا تقدم فائدة للمعرفة، و ذلك ما أشارت إليه **روبول (Anne Reboul)** حينما ذكرت أن " التمثيل العقلي هو بمثابة نقطة وصل معرفي تجمع الواقع الذي إليه تنتمي المرجعيات باللغة التي تنتج عنها التعبيرات المرجعية "[1]، فإذا لم يكن تمثيل عقلي معين موضوعا لسانيا فإنه موضوع معرفي متعدد الأبعاد، يتيح تفاعل المعطيات غير المتجانسة سواء كانت بصرية أو فضائية أو معجمية أو غير ذلك، و هذا التفاعل هو الذي سيساهم في الإنتاج اللساني أو في خلق معتقدات عدة أكثر من مساهمته في التحديدات المعرفية للحدود المفاهيمية، وقد بينت **روبول** ذلك من خلال اقتراحها "تمثيلا عقليا"[2] يتضمن نسق العلب والتعليب .

[1] A. Reboul & J. Moeschler, Pragmatique du discours. De l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours, Paris, éd. Armand Colin, 1998, P. 134.
[2] Cf. Ibid, P. 135 .



A. Reboul J. Mœchler (1988), P 134

يتبين إذا تأكيد **روبول** على وجوب إسناد التحديد للتمثيل العقلي، فهذا الأخير يجب أن يسمح بعزل الموضوع المراد تعيينه ليجمع كل المعلومات التي تختص به، و هذا يعني أن الشرط الأساسي لاستعمال مفهوم معين دون معرفة لدلالته هو أن يقدم المحتوى القصدي للتمثيل العقلي الموضوع المراد استهدافه باستعمال حد معين ، مما يعني أن المحتوى القصدي لا تحدده الدلالة المعرفية؛ بل تلك مهمة الخبراء و المختصين أو بالأحرى تحدده دلالة معرفية خاصة جدا وهذا ما ينعته **بورس** بالمؤول المنطقي، وتبعا لذلك يمكن أن يعد التمثيل نقطة وصل تجمع الفكر واللغة والواقع، كما يمكن أن يسهل المعرفة ويؤمن التواصل.

لقد شكلت مسألة التمثيل العقلي نقطة هامة في مقاربة المرجع لدى **روبول** من خل ل إستراتيجية علمية مفتوحة، إذ خضعت نظرية المرجع لدراسة معمقة من خلال مشروع التواصل و المرجعية الموسوم بـــ **سارفيكال (Cervical)** [1] وهو مشروع كان يتطلع العاملون به إلى تأسيس أداة معلوماتية ذات تصميم آلي للمرجعية في خطاب الإنسان والآلة.

[1] مشروع **سارفيكال** استهل بإشراف من **آن روبول"** سنة 1996 واستمر إلى سنة 1998 ، وهو مشروع قائم على تطوير **تحليل دلالي تداولي لخطاب الإنسان والآلة**.

Voir. CERVICAL (Communication et Référence, vers une informatique collaborant avec la linguistique), Disponible on line, "http: // www. Loria. Fr/~ reboul/ "

Cf. aussi. A. Reboul, La référence in A. Reboul & J. Moeschler, Op.cit, PP. 123-144.

تتغير الدلالات تبعا لتغير الثقافات؛ إذ توجد حدود كانت تستعمل و لا زالت، لكن معناها لم يبق ثابتا؛ بل خضعت دلالاتها للتغيير، و هذا يعني أن الحد قد تغير معناه في حين بقيت الإحالة أو المرجعية ثابتة، لذلك يمكن القول أن ما يتغير هو المعرفة بالتصورا ت وليس ت التصورات ذاتها.

يمكن أن ينظر إلى التمثيل العقلي من زاوية معرفية قياسا إلى الدور المعرفي الذي يؤديه في إتاحة التفكير في شيء لم يحدد بعد، و ذلك ما يبرز الفرق بين استعمال التصورات والتمثيل العقلي، فإذا كانت التمثيلات العقلية تصاغ لاستعمال عدة مفاهيم، فإنها ليست الموضوع الذي تقوم عليه أفعال اللغة، بل إن ما يجمع بين الاستعمال و التمثيل العقلي هو ذلك التشابه من حيث غياب المحتوى الدلالي، فالأول نفسي والثاني منطقي–معرفي، لكن ألا يمكن التساؤل عما يتيحه الأنموذج العقلي من ضرورة ملحة لمقارنته مع الصورة العقلية؟

يبدو أن الاتجاهين السيميائي والنفسي متداخلان كونهما يشتركان في علاقات الإقصاء و التناقض المتبادلة، حيث كان **دوسوسير** أول من أحال كل ما لا ينتمي إلى المؤسسة الاجتماعية للسان إلى إطار علم النفس؛ فبإقصائه الكلام الذي رأى فيه ظاهرة فردية أقصى الذوات المتكلمة وأحكم بذلك سيطرته على اللسان و اللغة، ليخضعهما لنسق مغلق منقطع عن التفاعل الاجتماعي وبعيد عن التمثيلات السيميائية والواقع.

من ناحية أخرى تطرح دراسة العلاقات بين التمثيلات المادية والداخلية سؤالا عن الهيمنة المتوقعة لمجموع الأفعال المعرفية للفهم والاستدلال على سيرورة الدلالات المفتوحة "فبنية اللغة تتعلق ببنية التمثيلات المعرفية"[1]، وقد كتب **دوفال (R. Duvale)** حول التمثيلات الرياضيات قائلا أن الدلالات المفتوحة هي التي تحدد شروط إمكان ممارسة سيرورة المفاهيم المفتوحة **(Neosis)**، حيث لا وجود للثانية بمعزل عن الأولى[2]، و قد ذكر أن التمثيلات العقلية تتأسس على قاعدة التمثيلات السيميائية.

ثمة أبحاث ساهمت في صروغ نظرية عامة للتمثيل العقلي؛ فكانت بمثابة أول مرحلة لها لكنها رغم ذلك لم تخرج عن إطار التفاعل الاجتماعي بمعناه العام بل صارت "ممكنة تحديدا

[1] J-F Le ny, " Les représentations mentales " in- J-F le ny & MD. Ginesta, la psychologie, Paris, Coll. Textes essentiels, P. 270.

[2] R. Duval, «registres de représentation sémiotique et fonctionnement cognitif de la pensée», in Annales de didactique et de sciences cognitives, … internationale de didactique et de mathématiques, université, Louis Pasteur, Paris; éd. IREM de Strasbourg, vol. 05, PP. 37 -65.

بفعل بزوغ الأدوات السيميائية و بفعل تطور هذه الأدوات"[1]، ومن هذه الأعمال أبحاث **دنيس (M. Denis)** التي صيغت في مجملها لدراسة العلاقة بين الصورة والإدراك.

أكد **دنيس** أن التمثيلات المصورة تنشأ على المدى الطويل عن نمطين من تمثيلات الذاكرة هما التمثيلات الحرفية التي تختص بتسنين المظهر البنوي التخطيطي للموضوع **(Skeletal incoding)** والتمثيلات القضوية **(Propositional representation)** التي تختص وفق صيغة مجردة بقائمة الأجزاء المشكلة للموضوع و بتموضوعاتها و بعلاقتها بالموضوع [2] و هذا يعني أنه قد أقر بوجود مماثلة مزدو جة بين هذين النمطين من التمثيلات، وهي مماثلة ذات بعدين أحدهما وظيفي و الآخر بنوي؛ فمن حيث البعد الوظيفي بينت النتائج أن الآثار الناتجة عن التمثيل الإدراكي شبيهة بالآثار الناتجة ع ن إنشاء الصور العقلية البصرية و مثل ذلك " ما يحدث أثناء التعلم، حيث يبدو إدراك الرسوم شبيها بالاستدعاء العقلي للموضوعات المماثلة " [3]؛ وهذا يعني أن النشاطين الإدراكي والتصويري ينتجان الآثار ذاتها، أما بالنسبة للبعد البنوي فإن المشابهات البنوية بين الصور و المدركات تؤدي دورا فاعلا، حيث يسمح تحديد الخصائص التي تتقاسمها مختلف أنساق التمثيلات بتفسير تماثل الآليات الوظيفية وبناء عليه ثمة " تشاكل تقابلي **(Isomorphisne)** بنوي للتمثيلات المصورة في مقابل الحوادث الإدراكية التي تتشكل انطلاقا منها تلك التمثيلات "[4] و قد بينت عدة أبحاث حول التمثيل العقلي وجود بنية داخلية خاصة بالتمثيلات ذات النمط التناظري كما بينت وجود تشاكل تقابلي بين الصور و بين التمثيلات ذات الأصل الإدراكي، مما يعني أن الصورة العقلية أداة معرفية تتيح للفرد ممارسة الحسابات و المشابهات و الاستدلالات والمقارنات دون حاجة إلى الأنساق الحسابية الصورية و ذلك لما يميزها من خصائص بنوية اسقتها من الإدراك[5]، إنها بمعنى آخر نتاج مختلف السيرورات العقلية .

قد تكون اللغة فاتحة للنشاط التصويري، وبذلك لن تخرج التمثيلات الفعلية و **الفكر الرقمي** عن الإطار الأيقوني، وهو ما تناولته نظرية النماذج **(Theories des models)** التي ترى أن الملفوظات الفعلية ه ي موضوع دراسة، تحوله المعالجة إلى أنموذج عقلي يناظر

---

[1] J-P Bronkart, Activité langagière. Textes et discours, Pour une interaction Socio discursif, Lausanne, éd. Delanchaux & Niestlé, 1997, P. 19.
[2] M. Denis, Image et cognition, Paris, éd. PUF, 1989, P .54.
[3] Ibid, P. 67.
[4] Ibid, P. 22.
[5] M. Denis " Forme imagée de la perception cognitive " in. Bulletin de psychologie, T.XLI, Paris, PP. 710-715.

الوضعية التي يصفها الخطاب، فالأفراد " يتأملون العالم ثم يكونون من خلال تأملاتهم نماذجا وبعد ذلك يصدرون أحكاما على العالم المدرك استنادا إلى تلك النماذج و كذا على الأشياء المجردة (...) كما يمكن أن ينتجوا سلوكات رمزية أو عبارات لسانية بغرض بثها للآخرين وستمثل نماذج للخطاب، والفرد الذي يتلقى هذه النماذج سيكون أنموذجا يشاكل العالم الذي عرفه المحاور و أراد أن يبلغه إياه "[1]، وهذا يعني أن التلفظ الفعلي هو ارتباط أنموذج عقلي ذو خاصة أيقونية باللسان الذي يكون مجم وعة أدوات لخدمة التركيب التناظري، لكن هل هذا يعني أن الفعلي يندرج في إطار السيرورة التي تمتد من الإدراك البصري إلى المعرفة ؟

مما لا شك فيه أن ترابط الفعلي والبصري وتفاعلهما قد يحفز الباحثين إلى تطوير تداوليات للصورة في مقابل تداوليات الفعل؛ إذ يتعلق الأمر بإظهار العلاقات الداخلية أو بإبراز العلاقات القائمة بين المعطى البصري وما يتضمنه هذا المعطى البصري.

لقد أثبت التمثيل الأيقوني أنه على درجة غير قليلة من التعقيد؛ على الرغم من أن **بورس** يضع الأيقونة في المرتبة الأكثر يسرا من حيث الإدراك، فهل هذا يعني أ ن دراسة العلامات تقتضي تمرسا استدلاليا خاصا؟ أم أن هذا العسر في الإدراك يتمخض عن تطور العلوم المعرفية وتأثيرها في الفنون والآداب؟ ثم كيف يمكن أن يدرس الخطاب الأدبي في ظل هذه التطورات؟

[1] J. Laird, L'ordinateur et l'esprit, Paris, éd. Odile Jacobs, 1994, P. xxx.

تمثل سيميائيات **بورس** الركيزة الأولى لمعرفة الاتجاهات التداولية، و الأساس الذي تنطلق منه، و قد تطرق البحث إلى عرض بعض جوانب هذه السيميائيات ، فأفضى بعد لأي إلى الاقتناع بقراءة الأسس الفلسفية التي تتجاوز الفروق التقليدية بين الاختصاصات في العلوم المادية و الإنسانية، وذلك ما تعكسه سيمائيات **بورس** التي بينت أن مثل هذه الفروق صارت عديمة الفائدة، وأن الأبحاث التي اعتمدت إستراتيجيتي الحصر والانتقاء، إنما كانت تحاول تأسيس قواعد ثابتة تتيح مقاربة المعنى ما أمكن إلى ذلك سبيلا.

لقد كان **بورس** على وعي بأن المعنى لا قرار له، لذل ك دعا إلى "**منطق تآزري**" يتجاوز حدود البناء النظري لمنطق **أرسطو** الذي أشاد به **كانط**؛ ويتجدد تجددا مستمرا ليفتح الأفاق نحو بحث مستمر يتيح الإمساك بالمعنى ولو جزئيا، وقد عودنا الفكر على تقديم نماذج لنظريات ورؤى ما فتئت تتطور تطورا ملحوظا؛ فكان ما يتهاوى منها هو النظريات بحصر المعنى، ليتبقى ما يمهد السبيل لظهور رؤى أخرى تتلاءم مع التغيرات التي يقتضيها الواقع المتجدد.

إن الحاجة إلى الإمساك بالمعنى دفعت **بورس** إلى تبني اعتقاد فحواه أن المعنى لا ينظر إليه من الناحية العقلية وحسب؛ بل يجب أن **يكتسب بعدا أخلاقيا**، لأن طبيعة معرفتنا التي تتسم بالجزئية تقتضي أن يتم البحث في نطاق المحيط الاجتماعي الذي يضع معايير للمعنى، وعلى هذا الأساس يتبين أن حل مشكلة المعرفة لدى **بورس** يقوم على تصور يربط المعنى بالسلوك الذي أ فرزه، حيث إن الأفكار تقودنا إلى سلوكات معينة، وذلك ما يجعلنا نتغلب على الجانب الذاتي من المعرفة، ومن ثم فإن الأفكار تؤدي إلى أفعال تتعامل مع الظواهر كما هي موجودة في الواقع، و إن كانت معرفة الظاهرة تظل ناقصة؛ فإن ذلك يقتضي الانفتاح على اختصاصات أخرى من أجل استكشاف آلياتها ورصد مظانها، بل و يجب على كل باحث أن يخضع أعماله إلى المساءلة النقدية والفلسفية خضوعا صارما.

قد يتعذر على الباحث إجمال القول في الآفاق التداولية التي يمكن أن تفتح المسائل المستجدة المختلفة سواء أكان منها تلك التي استحدثت في ميدان الخطاب؛ أم تلك التي تمخضت عن تحولات المناهج وتبدل الأساليب التقنية و الأدوات الراصدة، لكن ذلك سيبقى متاحا خاصة إذا اتضح أن المعنى ليس مترسخا و ثابتا؛ بل يبنى على التفاعل مع الواقع، مما

يجيز القول : إن السيمائيات التداولية قد تغدو تمهيدا لتقويم النزعات الفكرية و الاختيارات المنهجية المستجدة، ولبحث التحولات العميقة التي ما فتئ التقدم ان العلمي و التقني يحدثها على مستويي الفكر والواقع، و قد انتهت هذه القراءة المتواضعة و الجزئية إلى بعض النتائج التي نجملها فيما يأتي:

– تستمد سيميائيات **بورس** مسلماتها من العلم الطبيعي ومن الرياضيات، وفيهما تبني عملياتها، وتربط قواعدها؛ وذلك ما جعل **بورس** يخصصها بصفات تداولية ومنطقية متفردة تقود آلياتها المتمثلة في العلامات إلى الانفتاح على أنواع الخطابات المختلفة أيا كانت لغتها أو مستوياتها أو مجالاتها. وقد يتيح هذا الانفتاح لهذا الضرب من السيمائيات أن يكون منهجا طيعا للتطبيق، لأن السيمائيات التداولية تتجلى بمثابة رحم جامعة للظواهر المتباينة بما فيها الخطابات اللغوية وغير اللغوية.

– اختصت سيمائيات **بورس** بدراسة العلامات من حيث تعدد وظائفها و انفتاحها المستمر وتوجهها العلمي. وهذا ما قد يثبت أن **بورس** قد وفق إلى حد ما في إبداع طريقة خاصة لرصد المعنى؛وقد تجاوز المأزق الذي وقعت فيه اللسانيات ، والبنوية، والسيميائيات المحايثة، التي اتخذت سبيلا للإمساك بالمعنى لا يخرج عن نطاق حدود البنية وسلطة النسق.

– إن معالجة **بورس** للتمثيل في سياق عرضه لمسألة علاقة العلامات الأيقونية بالواقع ليست ضربا من البحث العقيم، وليست بحثا صوريا يوغل في التجريد، وإنما هي تناول يتسم بمميزات منطقية و دقائق معنوية تتطلب قدرة عقلية خاصة، و تمرسا استدلاليا راقيا لا يتوافر إلا لمن ضبط مناهج التحليل المنطقي ضبطا كافيا، و هذا ما قد قادنا إلى الشعور بالقول بضرورة تطعيم الأبحاث اللغوية والأدبية على حد سواء بمثل هذه المناهج، خاصة إذا علمنا أن الخطاب الأدبي المعاصر قد أفاد من إنجازات البلاغة البصرية وحتى الثقافة الرقمية، ليجد لنفسه مرتكزا في التشكلات الأيقونية والتحليل السيميائي البصري.

– إن المشابهة أصناف ومراتب، كل منها له تعريفاته وقوانينه ومسائله؛ أما قضايا الإدراك والصورة والتمثيل العقلي فهي مباحث معرفية تستحق جهدا أوفر، ودراسات جادة كتلك التي صاغتها **جماعةμ** ، أو تلك الأبحاث التي تمتح من معين سيميائيات **بورس** لمقاربة المعنى ودراسة التواصل بين الإنسان والآلة على غرار ما ترسخه العلوم المعرفية.

– يبدو أن من أقوى أسباب الإقصاء الذي وقعت فيه التداوليات من لدن بعض الباحثين من أمثال **دوسوسير** و**تشومسكي**، هو عدم أخذهم بالقويم من أدلة المنطق ، وعدم اهتمامهم بالمسائل الفلسفية التي تتعلق باللغة ، لذلك لا بد من استر جاع بعض محتويات المنطق القديم والفلسفة، و استعادة بعض الجوانب المنهجية فيهما، لأ ن ذلك قمين بإثراء قدرتنا على تمثل المعرفة، و بتمكيننا من تحصيل عدة نظريۃ كافية لتجديد العطاء الفكري، وقد نلمح حضورا قويا للفلسفة و المنطق في مقاربة المعنى من حيث التأويل أو التفسير في بعض الدراسات الإسلامية القديمة التي نذكر منها أب حاث **أبي حامد الغزالي** ، و **ابن سينا** ، و **الفارابي**، و **ابن الحاجب**، كما نعثر على مثل هذا التوليف بين الدراسات اللغوية والمنطق في إسهامات جادة لبعض المفكرين العرب المحدثين من أمثال: **طه عبد الرحمن** ، و**محمد مفتاح**، و**عبد الملك مرتاض**، و**أحمد يوسف**، و**عادل فاخوري**.

– ليس رجما بالغيب القول بأن تحديد **بورس** للتداوليات كان قائما على صفتي التفاعل و الاستعمال، فقد كان تصوره للعلا مة يجعلها تعتمل في نطاق واسع و مفتوح يمنح التأويل حرية لا تحدها إلا الضوابط العقلية التجريبية التي تختص بالواقع. وقد يكون هذا التصور باعثا على الأمل في العثور على منهج توليفي يجري تطبيقه على أنواع الخطابات المختلفة؛ لكن نتيجة كهذه ستبقى فرضية تقتضي وجوب تمحيصها؛ كما يتطلب ذلك تعميق استثمار البعد التداولي ابتغاء إتمام تنظيره ليكون أ حد مقومات دراسة الخطاب تعميما، والخطاب الأدبي تحديدا. فهل يمكن العثور على مثل هذا المنهج؟

ومن ثم، هل يمكن أن تقدم سيميائيات **بورس** عدة نظرية دقيقة لدراسة الخطاب الأدبي العربي؟

إنجليزي	فرنسي	عربـــي
-A-		
Abduction	Abduction	افتراض
Absolute	Absolu	مطلق
Abstract	Abstrait	مجرد
Abstraction	Abstraction	تجريد
Absurdity	Absurdité	غموض
Achille and tortoise	Achille et la tortue	أخيل و السلحفاة
Acoustic	Acoustique	سمعي
Actant	Actant	عامل
Action	Action	فعل
Activity	Activité	نشاط
Actuality	Actualité	راهنية
Addition	Addition	إضافة
Affirmation	Affirmation	توكيد
Agapism	Agapisme	الحب الموجه (يختص بالخالق)
Agnosticim	Agnosticime	اللاأدرية
Aim	But	هدف ، غاية
Analogy	Analogie	تناظر
Analysis	Analyse	تحليل
Anthropology (pragmatic)	Anthropologie (pragmatique)	الأنثروبولوجيا التداولية
Anthropomorphism	Anthropomorphisme	حب الناس
Anxiety	Anxiété	قلق
Apparition	Apparition	ظهور ، تجلي
Appearence	Apparence	مظهر ، هيئة
Apriori	Apriori	قبلي
Arbitrary	Arbitraire	اعتباطي
Argument	Argument	حجة
Argumentation	Argumentation	حجاج
Art	Art	فن
Assertion	Assertion	إثبات
Association	Association	ترابط
Attraction	Attraction	تجاذب
Authentic	Authentique	أصلي

-B-

Beauty	Beauté	جمال
Behavior	Comportement	سلوك
Being	Existence	وجود
Beliefs	Croyances	اعتقادات
Boolean logic	Logique de boole	جبر بوول

-C-

Cartesianism	Cartésianisme	النزعة الديكارتية
Categories	Catégories	مقولات
Certainty	Certitude	اليقين
Chance	Hasard	الصدفة
Chaose	Chaos	الكاوس ، العماء
Classes	Classes	الأصناف
Classification	Classification	صنافة
Clearness of Idea	Idées claires	وضوح الأفكار
Cogito ergo sum	Cagito (je pense donc je suis)	كوجيطو (أنا أفكر ،إذا أنا موجود)
Cognition	Cognition	المعرفة
Common sens	Sens commun	المعنى المشترك
Community	Communeté	الجماعة
Comparison	Comparaison	الموازنة
Complexity	Complexité	اعتياص
Conceiving	Concevoir	أدرك
Concepts	Concepts	المفلهيم ، التصورات
Concrete	Concrêt	ملموس ، واقعي
Conduct	Conduite	تصرف ، سلوك
Conjunction	Conjonction	وصل
Connotation	Connotation	إيحاء
Consciousenss	Conscience	إدراك ، وعي
Consequences	Conséquences	نتائج
Contexte	Contexte	سياق
Contiguity	Contiguïté	مجاورة
Continuity	Continuité	استمرارية
Continum	Continue	المتصل

Contradition	Contradition	تناقض
Copula	Copule	رابطة
Correlate	Corrélat	الرابط
Criterion	Critère	معيار
-D-		
Deduction	Déduction	استنباط
Denotation	Dénotation	تقرير
Denotatum	Dénotatum	المقرر
Designatum	Designation	معين
Definition	Definition	تحديد
Diagram	Diagramme	الرسم البياني
Dialectics	Dialectique	الجدل
Dicisign	Dicisigne	علامة مقولية
Dichotomy	Dichotomie	تفريع ثنائي
Discovery	Découvrete	استكشاف
Dissociation	Dissociation	التفكك
Distinction	Distinction	التمييز
Doutot	Doute	الشك
Duality	Dualité	ثلاثية
Dynamic	Dynamique	حركي ، دينامي
Effets	Effets	أثار
Effort	Effort	جهد
Emotion	Emotion	شعور
Emotionel interpretant	Interprétant affectif	مسؤول عاطفي
Energy	Energie	طاقة
Energitic interpretant	Interprétant énergétique	مسؤول طاقوي
Experiment	Expérimental	تجريبي
Extension	Extension	الماصدق
-F-		
Facts	Faits	أفعال
Faculty	Faculté	ملكة
Faith	Foi	إيمان

Fallacy	Fallaçieux	مخاتل
Firstness	Priméité	أولانية
Formulae	Formule	صيغة
-G-		
Generality	Généralité	عموم
Generalization	Généralisation	تعميم
Ground	Fondement	أساس
-H-		
Habit	Habitude	عادة
Hard	Dure	صلب
Harmony	Harmonie	انسجام
Hypothesis	Hypothèse	فرضية
Hypoicon	Hypoicone	أيقونة جزئية
-I-		
Icon	Icone	أيقونة
Idealism	Idéalisme	النزعة المثالية
Ideoscopy	Idéoscopie	علم الأفكار
Image	Image	صورة
Imagining	Imaginaire	تخلي
Immediacy	Immediateté	المباشرة
Imitation	Imitation	محاكاة
Impressions	Impressions	انطباعات
Implication	Implication	تضمين
Incognizabel	Inconnaissable	الممتنع عن المعرفة
Index	Indice	قرينة
Individual	Individuel	فردي
Induction	Induction	استنباط
Inference	Inference	استقراء
Infinitesimals	Infinitésimales	الإمتناهيات الصغر
Infinity	Infinité	اللانهاية ، الانفتاح
Inquiry	Enquête	البحث
Intelligibility	Intélligibilité	المعقولية
Interest	Intérêt	منافع

Intermediaries	Intermediaires	وسائط
Interpretant	Interprétant	مؤول
Introspection	Introspection	استبطان
Intuition	Intuition	حدس
-J-		
Judgement	Jugement	حكم
-K-		
Knowledge	Connaissance	معرفة
-L-		
Language	Langage	لغة
Law	Loi	قانون
Laws of thought	Lois de la pensée	قوانين الفكر
Legisign	Légisigne	علامة شرعية
Likenss	Ressemblance	مشابهة
Limit	Limite	تخم
Logic	Logique	منطق
Logic of relatives	Logique des relations	منطق العلاقات
Logic interpretant	Interprétant logique	مؤول منطقي
-M-		
Mathematics	Mathématique	رياضيات
Mediation	Médiation	وساطة
Method	Méthode	طريقة ، منهج
Mind	Esprit	تفكير
Morality	Moralité	علم الأخلاق
Morals	Mœurs	أخلاق
Motive	Motif	حافز
-N-		
Nature	Nature	طبيعة
Necessity	Nécéssite	ضرورة
Nominalism	Nominalisme	نزعة إسمية
Numbres	Nombres	أعداد
-O-		
Objet	Objet	موضوع
Observation	Observation	ملاحظة

Ockham’s razor	Rasior d’occam	نصل أوكام
Ontology	Ontologie	علم الوجود (أنطولوجيا)
Paradoxe	Paradoxes	مفارقات
Phaneroscopy	Phanéroscopie	ظاهراتية
Phenomena	Phénomène	ظاهرة
Phenomenology	Phénoménologie	علم الظواهر
Platonism	Platonisme	النزعة الأفلاطونية
Platonic forms	Formes platoniques	الأشكال العذرية
Possibility	Possibilité	إمكان
Practice	Pratique	تطبيق ، ممارسة
Pragmatics	Pragmatique	تداولي
Pragmatics	Pragmatique	تداوليات
Pragmatism, pragmaticism	Pragmatisme, pragmaticisme	ذرائعية
Predicate	Prédicat	محمول
Prescision	Préscision	الانتزاع
Presentness	Présence	الحضور
Presupposition	Présupposition	افتراض قبلي
Probability	Probabilité	إحتمال
Proof	Preuve	حجة
Proposition	Proposition	قضية

-Q-

Qualisign	Qualisigne	علامة كيفية
Quality	Qualité	الكيف
Quasi	Quasi	شبه
Quantifiers	Quantificateurs	المكممات

-R-

Ratio	Raison	عقل
Real	Réel	واقعي
Realism	Réalisme	واقعية
Reality	Réalité	الواقع
Reason	Raison	عقل
Reasoning	Raisonnement	استدلال
Rhema	Rhème	خبر
Rhetoric	Rhétorique	بلاغة

Relation	Relation	علاقة
Replica	Réplique	نسخة
Représentatamen	Représentement	ممثل
Representation	Représentation	تمثيل
Resistance	Résistance	مقاومة
-S-		
Schemata	Schéma	خطاطة
Schematism	Schématisme	نزعة خطاطية
Scholasticism	Scholastique	المدرسية
Seconduess	Secondéité	ثانيانية
Semiosis	Sémiosis	الدلالات المفتوحة
Semiotics	Sémiotique	سيميائيات
Signification	Signification	دلالة
Signs	Signes	علامات
Simi larity	Similarité	مماثلة
Sinsign	Sinsigne	علامة فردية
Speculativ	Spéculatif	نظري
Stoics	Stoiciens	رواقيون
Struggle	Lutte	صراع ، مقاومة
Subdivision	Subdivision	تفريع
Substance	Substance	جوهر
Syllogism	Syllogisme	قياس
Symbols	Symboles	رموز
Synechism	Synéchisme	الاستمرارية
Synthesis	Synthèse	تركيب ، توليف
-S-		
Tenacity	Vérification	تحقيق
Thirdness	Tierceité	ثالثانية
Thought	Pensée	فكر
Trichotomy	Trichotomie	تفريع ثلاثي
Truth	Vérité	الحقيقة

-U-

Ultimat interpretant	Interprétant final	مؤول نهائي
Unit	Unité	وحدة
Universals	Universaux	الكليات
Useful	Utile	مفيد ، نافع
Utilitariansim	Utilitarisme	النفعية

-V-

Vague	Vague	غامض ،
Validity	Validité	صدق
Value	Valeur	قيمة
Vision	Vision	رؤية

-W-

Words	Mots	ألفاظ
World	Monde	عالم

مؤلفات "تشارلز سندرس بورس"

- C. S. Peirce, On a new list of categories, Proceeding of American academy of science 7(1868), 287-298.

http: //www.peirce.org/writings/p32.html

- C. S. Peirce, Collected papers of Charles Sanders Peirce, Edited by. Hartshorne.Ch & Weiss.P, Cambridge University Press, 1960.

  - ✓ Volume I, Principles of Philosophy.
  - ✓ Volume II, Elements of logic.
  - ✓ Volume III, Exact logic (Published Papers).
  - ✓ Volume IV, The simplest mathematics.
  - ✓ Volume V, Pragmatisme and pragmaticisme.
  - ✓ Volume VI, Scientific metaphysics.

- C. S. Peirce, *New elements of mathematics*, Hague, Moutn Publishers, Eisler. C (Ed), Volume. IV, Mathematical philosophys, 1976.

- C. S. Peirce, *How to make our idea clear*, Popular Science Monthly, 12(January 1878), 286-302.

File://A:\How to make our idea clear.htm

- C. S. Peirce, *Ecrits sur le signe*, tr. Deledalle.G, Paris, ed. du. Seuil, 1978.

- C. S. Peirce, Writings of Charles Sanders Peirce. A chronological edition, Fisch. M-Kloesel. C- Moore. E. C, Robert. D. D (eds), Volume. I, edited by. Fisch. M, Bloomington, Indiana University Press, 1982.

- C. S. Peirce, Textes anticartésien, tr. J. Chenu, Paris, ed. Aubier Montaigne, 1984.

- C. S. Peirce, Textes fondamentaux de sémiotique, tr. note. Fouchier-Axelsen. B, ed. Meridien-Klinckieck.

- C. S. Peirce, Le raisonnement et la logique des choses, tr.Chauviré.Ch & Tiercelin. Cl., Paris, ed.du Cerf, 1995.

- C. S. Peirce, Pragmatisme et pragmaticism, Œuvre philosophiques, Volume.I, tr. Tiercelin. Cl & Thibaud. P, Paris, ed. du. Cerf, 2002.

- C. S. Peirce, Pragmatique et sciences normatives, Œuvre philosophiques, Volume.II, tr. Tiercelin. Cl & Thibaud. P, Paris, ed. du. Cerf, 2003.

- C. S. Peirce, 76 définitions du signe relevées dans les écrits de C.S.Peirce, tr. Marty.R.

ftp://gala.Univ-perp.fr/pub/semiotics/marty/76-fr.Zip

- C. S. Peirce,in. Transaction of Charles Sanders Peirce society.

www.c.s.peirce.com/menu/library/about c s p/about c.s.p.htm

قائمة المراجع العربية والمترجمة:

-أدهم. سامي، إبستيمولوجيا المعنى والوجود . نقد التطورية، بيروت، مركز الإنماء القومي، تاريخ النشر غير مدون.

-أرسطو، المقولات. الأقوال المختلفة ضمن منطق أرسطو، تحقيق . عبد الرحمن بدوي الكويت، وكالة المطبوعات، الجزء الأول، 1980.

-أرمينكو. فرانسواز، المقاربة التداولية، ترجمة . سعيد علوش، بيروت، مركز الإنماء القومي، تاريخ النشر غير مدون.

-أمين. عثمان، الفلسفة الرواقية، القاهرة، مكتبة الأنجلومصرية، 1971.

-إيخنباوم. موريس، نظرية المنهج الشكلي، ترجمة . إبراهيم الخطيب، الطبعة الأولى بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1982.

-إيكو. أمبرتو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة . سعيد بنكراد، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2006.

-بدوي. عبد الرحمن، فلسفة العصور الوسطى، الكويت، لبنان، دار القلم، 1979.

-بدوي. عبد الرحمن، أرسطو، الكويت، وكالة المطبوعات، 1980.

-باركلي. جورج، المحاورات الثلاث بين هيلاس وفيلونيوس، ترجمة وتعليق . يحي هويدي، القاهرة، دار الثقافة، 1976.

-برهييه. إميل، الفلسفة الهلنستية والرومانية، ترجمة . جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، 1988.

-بلانشي. روبير، المنطق وتاريخه. من أرسطو حتى راسل، ترجمة . خليل أحمد خليل الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1980.

-بنكراد. سعيد، السيميائيات. مفاهيمها وتطبيقاتها، الرباط، منشورات الزمن، 2002.

-تشومسكي. نعوم، اللغة ومشكلات المعرفة، ترجمة . حمزة بن قبلان المزيني، لبدار البيضاء، دار توبقال للنشر، 1990.

-تشومسكي. نعوم، البنى النحوية، ترجمة . يوئيل يوسف عزيز، مراجعة . عزيز الماشطة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1987.

-الحداوي. طائع، سيميائيات التأويل، الانتاج ومنطق الدلائل، بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2006.
-جوستينيان، مدونة جوستينيان في الفقه الروماني، ترجمة. عبد العزيز فهمي، إشراف. جابر عصفور، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2005.
-حرب. علي، الماهية والعلاقة. نحو منطق تحويلي، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر 1987.
-ديورانت. ول، قصة الفلسفة . من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة . فتح الله محمد المشعشع، بيروت، مكتبة المعارف، تاريخ النشر غير مدون.
-ابن رشد. أبو الوليد، تلخيص كتاب المقولات، تحقيق . محمود قاسم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.
-ريكور. بول، من النص إلى الفعل . أبحاث التأويل، ترجمة . محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2001.
-زكريا. ميشال، مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1983.
-فاخوري. عادل، تيارات في السيمياء، بيروت، دار الطليعة، 1990.
-عبد الرحمن. طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدار البيضاء، دار الخطابي تاريخ النشر غير مدون.
-الغزالي، أبو حامد، معيار العلم في فن المنطق، تصنيف الإمام أبي حامد بن محمد الغزالي، بيروت، دار الأندلس، تاريخ الطبع غير مدون.
-الفارابي. أبو النصر (محمد بن طرخان بن أوزلغ)، كتاب الألفاظ المستعملة في المنطق، تحقيق. حسن مهدي، بيروت، دار المشرق، 1985.
-الفارابي. أبو النصر(محمد بن طرخان بن أوزلغ)، نص التوطئة أو الرسالة التي صدر بها المنطق عند الفارابي، تحقيق وتعليق. رفيق العجم، بيروت، دار المشرق، 1985.
-كانط، أسس ميتافيزيقا الأخلاق، ترجمة . عبد الغفار مكاوي، مرا جعة. عبد الرحمن بدوي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1985.

-كانط عمانوئيل، نقد العقل المحض، ترجمة . موسى وهبة، بيروت، مركز الانماء القومي، 1998.
-كريون. أندريه، تيارات الفكر الفلسفي، ترجمة . نهاد رضا، بيروت، منشورات عويدات، 1962.
-الماكري. محمد، الشكل والخطاب، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1991.
-نقادي. السيد، معيار الصدق والمعنى في العلوم الوضعية، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1991.
-يوسف. أحمد، سيميائيات التواصل وفعالية الحوار . المفاهيم والآليات، الجزائر منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات بجامعة وهران، 2004.
-يوسف. أحمد، السيميائيات الواصفة . المنطق السيميائي وجبر العلامات، الجزائر منشورات الاختلاف، المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار العربية للعلوم 2005.
-يوسف. أحمد، الدلالات المفتوحة . مقاربة في فلسفة العلامة، الجزائر، منشورات الاختلاف، المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2005.
-يوسف. أحمد، القراءة النسقية . سلطة البنية ووهم المحايثة، الجزائر، منشورات الاختلاف، بيروت، الدار العربية للعلوم، 2007.

قائمة المراجع الأجنبية:

- **Agamben.G** ; La puissance de La pensée. Essais et Conférences, tr.Gayraud.T., Rueff.M., Paris, éd. Payot , Rivage, 2006.
- **Althusser. L**., Lire Le Capitale, T.1, Paris, éd. Maspero, 1968.
- **Angel. K-M**., Les Racines philosophiques de la science moderne, Bruxelles, éd. Pierre Mardago, 1997.
- **Anscombre. J-Cl, Ducrot. O**., L'argumentation dans La langue, Bruxelles, éd. Pierre Mardaga, 1997.
- **Aristote**, La métaphysique, tr. Tricot. J., Paris, éd. J. Vrin, T1. 1981, T.2. 1986.
- **Aristote**, Premiers Analytique, tr. Tricot. J., Paris, éd. J. Vrin, 1983.
- **Aristote**, Secondes Analytique, tr. Tricot. J., Paris, éd. J. Vrin, 1987.
- **Aristote**, Catégories, de L'interprétation, tr. Tricot. J., Paris, éd. J. Vrin, 1989.
- **Aristote**, Topiques, tr. Tricot. J., Paris, éd. J. Vrin, 1990.
- **Aristote**, Rhétorique, tr.Dufour. M., Paris, éd. Les belles lettres, T.1. 1991, T.2. 1991.
- **Aristote**, Poétique, tr. Harday. J., Paris, éd. Les belles lettres, 1995.
- **Aristote**, Poétique, tr. Dupont-Roc.R., Lallot. J., Paris, éd. Du. Seuil, 1980.
- Aristote, La phisique, livre III, tr. Couturat. H., Paris, éd. Les belles lettres, 2002.
- **Arvon. H**., La philosophie Allemande, Paris, éd. Seghers, 1970.
- **Aubenque. P**., Aristote et le lycée, Paris, éd. Gallimard, 1969.
- **Augustin. A**., Le magistére Chrétien, Paris, Bibliothéque Augustinienne, vol. 11, 1949.
- **Auzias. J-M**., Clefs pour le Structuralisme, Paris, éd. Seghers, 1967.
- **Bacon. R.**, Les Signes, tr. Rosier. I, in. La parole comme acte. Sur la grammaire et la sémantique au XIIIe siécle, Paris, éd. J. Vrin, 1994.
- **Benveniste. E**., Problèmes de Linguistique Générale, Paris, éd. Gallimard, T1. 1966, T2. 1974.
- **Berkeley. G**., Oeuvres I, (dir). Bryckman. G., collab. Berlioz- Letellier. D., et al., Paris, éd. Puf , 1985.
- **Berkeley. G**., Œuvres II, (dir). Bryckman. G., collab. Berlioz- Letellier. D., et al., Paris, éd. Puf , 1987.
- **Berkeley. G.,** Œuvres III, (dir). Bryckman. G., collab. Berlioz- Letellier. D., et al., Paris, éd. Puf , 1992.

- **Biard. J.,** Guillaume D'ockham. Logique et philosophie, Paris, éd. Puf, 1997.
- **Biard. J.,** Logique et Physique de L'infini au XIVe siècle, in. Infini des mathématiciens. Infini des philosophes, Ouvrage collectif, (dir.). Monnoyeur. F, Paris, éd. Belin, 1992, pp.17-36.
- **Bouscaréne.** J. et al. Langue et Langage. Problèmes et raisonnement linguistique, Paris, éd. Puf, 1995.
- **Bouveresse. J.,** Le Mythe de L'intériorité. Expérience, signification et language privé chez wittgenstein, Paris, éd. Minuit, 1976.
- **Bronkart. J-P.,** Activité Langagière. Textes et discours, Lausanne, éd.Delachaux, Nies thé, 1997.
- **Bru. C-P.,** Esthétique de L'abstraction. Essai sur le problème actuel de la peinture, Paris, éd. Minuit, 1972.
- **Cassirer. E.,** La philosophie des formes symboliques, T1. le langage, tr. Laconte, Paris, éd.Minuit, 1972.
- **Cassirer. E.,** La philosophie des formes symboliques, T3. la phénoménologie de la connaissance, Paris, éd.Minuit, 1972.
- **Centre de Royaument**, Théorie du Langage. Théorie de l'apprentissage, le débat entre Jean Piaget et Noam Chomsky, organisé et receuilli par. Biatelli-Palmarini. M., Paris, éd. Du Seuil, 1979.
- **Chevalier. J.,** Histoire de la Pensée, T.1, pensée antique, Paris, éd. Flammarion, 1955.
- **Chomsky. N.,** Le Langage et la Pensée, tr. Calvet. J-L., Paris, Payot, 1969.
- **Chomsky. N.,** La Linguistique Cartésienne. Suivie de la nature formelle du langage, tr. Delouroe. E, Sperber. D, Paris, éd. Seuil, 1969.
- **Condillac. E-B. de**., Traité des Sensations, Paris, éd. Arthéme-Fayard, 1984.
- **Condillac. E-B. de**. Essai sur L'origine des connaissances Humaines, Paris, éd. Poret, ch., 1973.
- **Davy. M-M**., Initiation à La Symbolique Romaine, Paris, éd. Flammarion, 1977.
- **Debray. R**., Vie et Mort de L'image, Paris éd. Gallimard, 1992.
- **De gauldt**, Newton. La Justification des infiniment Petits et L'intuition du Mouvement, in. Infini des mathématiciens. Infini des philosophes, ouvrage collectif, (dir.). Monnoyeur. F, Paris, éd. Belin, 1992, pp.17-36.
- **Deledalle. G**., La Philosophie Américaine, Bruxelle, éd. De boeck-Wesmail, 1976.
- **Deledalle. G**., Commentaire, in. Ecrits sur Le Signe, par. C.S.Peirce, Paris, éd. Du Seuil, 1978.

- **Deledalle. G**., Théorie et Pratique du Signe. introduction à la Sémiotique de Charles. S. Peirce, collab. Rhéthoré. J., Paris, éd. Payot, 1979.
- **Delibera**. **A, Rosier. I**, La Pensée Linguistique Médiévale, in. Histoire des idées Linguistiques, T.2, Bruxelles, éd.Auroux, 1992.
- **Denis. M**, Image et Cognition, Paris, éd. Puf, 1989.
- **Deragon. S.,** Condillac et Le Sensualisme Radical, in. Les Grandes Figures du Monde Moderne, collection dirigé par. Boulad-Ayoub. J, Blanchard. F., Presse de L'université Laval, Paris, L'harmattan, 2001.
- **Derrida.J.,** De La Grammatologie, Paris, éd. Minuit, 1967.
- **Descartes.R.,** Œuvres et Lettres, édités par. Bridoux. A, Encyclopédie de la Peiade, Paris, éd.Gallimard, 1953.
- **Descartes.R.,** Entretien avec Burman, Textes.39, Textes établis par. Tannery.A., T.V, Paris, éd.Puf, 1981.
- **Descartes.R**., Œuvres Philosophiques, T.1 (1618-1637), Textes établis et présentés par. Alquié. F, Paris, éd.Garnier-Bbordas, 1988.
- **Descartes.R.,** Œuvres de Descartes, Paris, éd.J.Vrin, 1989.
- **Desson.G.,** Introduction à la Poétique, Paris, éd. du Seuil, 1978.
- **Eco. U.,** L'Oeuvre Ouverte, tr. Brézieux. Ch.R.de., éd.du Seuil, 1965.
- **Eco. U.,** Sémiotique et Philosophie du Language, tr. Bouzaher. M., Paris, éd.Puf, 1988.
- **Eco. U.,** Le Signe. Histoire et analyse d'un concept, Bruxelles, éd. Labor, 1988.
- **Eco. U**., La Production du Signe, tr. Bouzaher. M., Paris, Librairie Générale Francaise, 1992.
- **Eco. U.**, Interprétation et Surinterprétation, Paris, éd. Puf, 1996.
- **Eco. U.,** Kant et L'ornithorynque, tr. Gayraud. T., Paris, éd. Grasset, 1999.
- **Eluerd. R.,** La Pragmatique Linguistique, Paris, éd. Fernand nathan, 1985.
- **Epicréte. M-A.,** Les Stoiciens, tr. Brelier. E., Paris, éd. Gallimard, 1962.
- **Eurleich** & **al**. Les Modèles Mentaux. Approches cognitives des représentations, Paris, éd. Masson, 1993.
- **Everaert-Desmedt. N**., Le Processus Interprétatif. Introduction à la sémiotique de Ch.S.Peirce, Bruxelle, éd. Pierre Mardaga, 2000.
- **Fagaro. F.,** Le Langage, Paris, éd. Armand-Colin, 1999.
- **Fisette, J.,** L'icône. L'hypoicone et La Métaphore. Introdution à quelques éléments fondamentaux de la sémiotique de peirce, in. Atelier de Sémiotique Visuelle, sous la direction de Henault. A, Beyaert. A., Paris, éd. Puf, 2004, pp.101-120.

- **Fodor. J-A, Katz. J-J.,** The Structure of Language. Reading in the philosophy of language, Englwood Cliffs, Prentic Halle, 1964.
- **Foucault.M.,** Les Mots et Les Choses. Une archéologie des sciences humaines, Paris, éd. Gallimard, 1966.
- **Goodman. N.,** Langage de L'art. une approche de la théorie des symboles, tr. Morizot. J., Nîmes, éd. Jacqueline Chambon, 1990.
- **Group µ.,** Traité du Signe Visuel, Paris, éd. Du Seuil, 1992.
- **Group µ.,** Voir, Percevoir, Concevoir. Du sensoriel au catégoriel, in. Atelier de Sémiotique Visuelle, sous la direction de Hénault. A, Beyaert. A., Paris, éd. Puf, 2004, pp.65-82.
- **Guenancia. P.,** Descartes, Paris, éd. Bordas, 1986.
- **Gusdorf. G.,** La Parole, Paris, éd. Puf , 1990.
- **Hamelin. O.,** Le Systéme D'Aristote, Paris, éd. J. Vrin, 1985.
- **Habermas. G-D.,** Devant L'image. Question pries aux fins d'une histoire de l'art, Paris, éd. Minuit, 1990.
- **Habermas. G-D.,** Connaissance et Intéret, Paris, éd. Gallimard, 1976.
- **Hegel. F-W.,** Science de La Logique, tr. Labarriére. J-P, Jarzyk. G., T.1, Paris, éd. Aubier-Montaigne, 1972.
- **Heidegger. M.,** Traité des Catégories et de La Signification chez Duns Scott, Paris, éd. Gallimard, 1970.
- **Heidegger. M.,** Nietzche, T.2, Paris, éd. Gallimard, 1971.
- **Hénault. A.,** Questions de Sémiotique, Paris, éd. Puf, 2002.
- **Hjelmsléve. L.,** Nouveaux Essais, Paris, éd. Puf, 1966.
- **Hookway. C.,** Metaphysics. Science and self-control: a response to apel, in. Peirce and contemporary thought, ketner. K (Eds), New York, Fordham University Press, 1995, pp.398-415.
- **Husserl. E.,** Idées directrices pour une phénoménologie, Paris, éd. Gallimard, 1985.
- **Husserl. E.,** L'idée de la phénoménologie, Paris, éd. P. U. F, 1993.
- **Jackobson. R.,** Essais de Linguistique Générale, T.1, Paris, éd. Minuit, 1963.
- **Jackobson. R.,** Questions de Poétique, Paris, éd. Du Seuil, 1973.
- **Jacob. A.,** Genèse de La Pensée Linguistique, tr. Celvet. J-L., Paris, éd. Payot, Rivage, 2001.
- **Jolivet. J.,** Peter Abelard, in. Comparaison des Théories du Langage chez Abélard et chez les Nominalistes du XIV éme siècle, Louvain, éd. Buytaert. E-M. 1973.

- **Jorion. P**., La Linguistique d'Aristote, Fisette. J, Riall. V.(eds), penser l'ésprit. Des sciences à une philosophie cognitive, Grenoble, éd. Presses Universitaires de Grenoble, 1966.
- **Kant. E.,** Critique de la Raison Pure, tr. Barni. J., correction. Archambault. P., Paris, éd. Ernest Flammarion, T.1, T.2, 1934.
- **Kant. E.,** Fondement de la Métaphysique des Meurs, tr. Delbós. v., Paris, éd. Delagrave, 1960.
- **Kant. E.,** Logique, Paris, éd. J. Vrin, 1966.
- **Kant. E.,** Opus Postumum, Paris, éd. Puf, 1986.
- **Kant. E**., Anthropologie du Point de Vue Pragmatique, Paris, éd. J. Vrin, 1994.
- **Kristéva. J**., Le Langage cet Inconnu. Une initiation à la linguistique, Paris, éd. du. Seuil, 1981.
- **Kosslyn. S-M.,** Image and Mind, Cambridge. H.A., Harvard University Press, 1980.
- **Leech. G**., Principles of pragmatics, London, Longman, 1983.
- **Laird. J.,** L'ordinateur et L'esprit, Paris, éd. Odil Jacobs, 1994.
- **Lefévre. R.,** Condillac ou La Joie de Vivre, Paris, éd. Séghers, 1966.
- **Leibniz. G.W**., Nouveau Essais sur L'entendement Humain, Intr. Brushwig. J., Paris, éd. Garnier-Flammarion, 1966.
- **Leibniz. G.W.,** Les Deux Labyrinthes, textes choisis par. Chauve. M., Paris, éd. Puf, 1973.
- **Leibniz. G.W.,** Recherches Principes de La Nature et de La Gracefond en Raison. Principes de la philosophie ou. Monadologie, publiés par. Robert. A., éd. Puf, 2002.
- **Le Ny. J-F., Ginesta. M-D**., La Psychologie, Paris, éd. Larousse, 1995.
- **Lerat. P.,** Les Langues Spécialisée, Paris, éd. Puf, 1995.
- **Levinson.S.C.** , Pragmatics, Cambridge, Cambridge Univercity Press, 1938.
- **Magritte. R.,** Ecrits Complètes, textes établis par. Blavier. A., Paris, éd. Flammarion, 1979.
- **Makovelski.A**, Histoire de La Logique, tr. Dupont. G., U.R.S.S., Moscou, éd. Du Progrés, 1978.
- **Malmberg. B**., Histoire de La Linguistique. De summer à saussure, Paris, éd. Puf, 1998.
- **Marcus. L**., La Philosophie Américaine. Tr. Bohler. D., Paris, éd. Gallimard, 1967.
- **Martinet. A.,** La Linguistique Synchronique, Paris, éd. Puf, 1965.
- **Martinet. A.,** Clefs pour La Sémiologie, Paris, éd. Séghers, 1973.

- **Marty. F.,** La Bénédiction de Babel. Vérité et communication, Paris, éd. Du Cerf., 1990.
- **Meunier. J-P.,** Peraya. D., Introduction aux Théories de La Communication, Bruxelles, éd. Deboeck, 2007.
- **Meyer. M.,** Logique. Langage et argumentation, Paris, éd. Hachette, 1982.
- **Meschonnic. H**., Pour La Poétique : épistémologie de l'écriture. Poétique de la traduction, T.2, Paris, éd. Gallimard, 1973.
- **Milner. J-CL.,** Le Périple Structurel. Figures et paradigmes, Paris, éd. Du Seuil, 2002.
- **Momogliano. A**., Problèmes D'Historiographie Ancienne et Moderne, tr. Tachet. A. et al. Paris, éd. Gallimard, 1983.
- **Morrin. E.,** La Méthode. Connaissance de la connaissance, Paris, éd. Du. Seuil, 1986.
- **Morris. CH. W.,** Foundation of theory of Signs. International encyclopedia of unified Science, Vol.1, n.2, Chicago, University of Chicago Press, 1938.
- **Morris. CH. W.,** Signification and Significance. A study of the relation of signs and values, Cambridge-Massachusett, the MII Press, 1964.
- **Panaccio. C**., Les Mots. Les concepts et les choses: la sémantique de Guillaume D'Occam et le nominalisme, Paris, éd. J. Vrin, 1992.
- **Pascal. G-B**., Descartes, Paris, éd. Bordas, 1986.
- **Platon**, Œuvres Complètes, tr. Méridien. L., T.V., Paris, éd. Les Belles Lettres, 1931.
- **Platon**, Œuvres Complètes, tr. Chambry. E., T.IV., Intr. Dièse. A., Paris, éd. Les Belles Lettres, 1996.
- **Putnam. H.,** Représentation et Réalité, tr. Tiercelin. CL., Paris, éd. Gallimard, 1990.
- **Récanati. F**., La Transparence et L'Enonciation. Pour introduire à la pragmatique, Paris, éd. Du Seuil, 1979.
- **Rey. A.,** Théorie du Signe et du Sens, lecture I, Paris, éd. Klincksièck, 1973.
- **Rey. A.,** Théorie du Signe et du Sens, lecture II, Paris, éd. Klincksièck, 1976.
- **Robin. L.,** La Pensée Grecque et Les Origines de L'esprit Scientifique, Paris, éd. Flammarion, 1955.
- **Rosier. I.,** La grammaire des Modistes, Lille, éd. Presses Universitaires de Lille, 1983.
- **Saussure. F.de.,** Cours de Linguistique Générale, 5éme édition, Paris, éd. Payot, 1962.
- **Saussure. F.de.,** Cours de Linguistique Générale, édition préparé par. Mauro. T. de., Paris, éd. Payot, 1962.

- **Saussure. F.de.,** Ecrits de Linguistique Générale, édités par. Bouquet. S, Engler. R., Paris, éd. Gallimard, 2001.
- **Tesniére. L.,** Eléments de Syntaxe Structurale, préface de. Fousquet. J., Paris, éd. Klincksiéck, 1969.
- **Tiercelin. CL.,** Peirce et Le Pragmatisme, éd. Puf
- **Trabant. J.,** Traduction de Humboldt, préface de. Méschonnic. H., tr. Rocher-Jacquin. M., Paris, Maison des Sciences de L'homme, 1999.
- **Vicco. G.,** La Science Nouvelle (1725), tr. Trivulzio. CH., préface de. Raymond. P., Paris, éd. Gallimard, 1993.
- **Weber. A., Huisman. D**., Histoire de La Philosophie Européene : tableau de la philosophie moderne. De la renaissance à 1850, Paris, éd. Fischbacher, 1965.
- **Wittgenstein. L.,** Le Cahier Bleu et Le Cahier Brun, suivi de. Ludvig Wittgensttein par. Maeom. N., tr. Durand. G., préface de. Wahl. T, Paris, éd. Gallimard, 1965.
- **Wittgenstein. L.,** Tractatos Logico-philosophicus, suivi de. Investigation philosophiques, tr. Klossowski. P., introduction de. Russel. B., Paris, éd. Gallimard, 1961.

-**Wittgenstein. L.,**Grammaire philosophique, édition posthume due aux soins de. R. Rhees, Tr. M-A.Lescouret, Gallimard, 1980,P.49.

- **Yule.G**., Pragmatics, Oxford, Oxford Univercity Press, 1996.
- **Zumthor. P.,** Essai de Poétique Médiévale, Paris, éd. Du. Seuil, 1972.

قائمة المقالات العربية والمترجمة:-

- بغورة. الزواوي، العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة . التأسيس والتجديد، مجلة . عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد .03، المجلد .35، يناير-مارس.2007، صص.97-132.

- بنكراد. سعيد، السيميائيات . النشأة والموضوع، مجلة . عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد.03، المجلد.35، يناير-مارس.2007، صص.07-46.

- الشيباني. عبد القادر فهيم، السيميائيات وآفاقها الواصفة، مجلة . سيميائيات، وهران، مختبر السيميائيات وتحليل الخطابات، العدد.01، خريف. 2005، صص. 165-174.

- غنايم. محمد، النحو التوليدي ومقاربة اللغة . دراسات مغاربية، المغرب، مجلة . البحث والبيبليوغرافيا المغاربية، العدد.09، 1999.

- فياض. علي حسين، نظرية النحو التوليدي والتحويلي واكتساب اللغة، الأردن، مجلة . المعلم/الطالب، العدد.01-02،حزيران-كانون الأول. 2001.

- قوتال. فضيلة، العلامة والسيرورة الدلالية، مجلة . سيميائيات، وهران، مختبر السيميائيات وتحليل الحطابات، العدد.01، خريف.2005، صص.175-184.

- روابنية. الطاهر، سيميائيات التواصل الفني، مجلة . عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والآداب، العدد.03، المجلد.35، يناير-مارس.2007، صص.249-286.

- مفتاح. محمد، أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية، مجلة . عالم الفكر، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والآداب، العدد .03، المجلد .35، يناير- مارس.2007، صص.133-182.

- يوسف. أحمد، السيميائيات الكانطية بين المنطق المتعالي والنزعة التجريبية، مجلة . سيميائيات، وهران، مختبر السيميائيات وتحليل الحطابات، العدد .01، خريف .2005، صص.13-26.

- يوسف. أحمد، السيميائيات ومرتكزاتها الإبستيمولوجية، مجلة . سيميائيات، وهران، مختبر السيميائيات وتحليل الحطابات، العدد.02، خريف.2006، صص.31-42.

قائمة المقـــــالات الأجنبـــية:

- Denis. M., Formes Imagées de La Représentation Cognitive, in. Bulletin de juin-aout, 1988,13-16, pp.710-715.
- Diller. A-M., Récanati. F., Présentation du n.42 de la revue langue française : « la pragmatique », 1979, pp.3-5.
- Duval. R., Registres de Représentation Sémiotique et Fonctionnement Cognitif de la Pensée, in. Annuales de didactique et de sciences cognitives, in. Revue internationale de didactique et de mathématique, Université Louis Pasteur, Paris, éd. Irem de Strasbourg..
- Ohler, Is a Transcendantal Fondation of Semiotics Possible? In Transaction of The Peirce Society, 1987, XXIII, n.01, pp.45-62.
- sémio linguistique, langage, n58, Paris, juin 1980, pp.05-07.
- Reboul. A & Moeschler. J., voir Moeschler. J., 1995.
- Récanati. F& Diller. A-M., voir. Diller. A-M., 1979.
- Reiss. T-J., Peirce. Frege, La Vérité : le tiers inclus et le champ pratiqué, in. Langage, n.58, Paris, éd. Larousse, juin. 1980, pp.103-127.
- Rethoré. J., La Sémiotique Triadique de C.S.Peirce, in. Langage, n.58, éd. Larousse, juin. 1980, pp.37-39.
- Savan. D., La Sémiotique de Peirce, tr. Péraldi. F., in. Langage, n.58, éd. Larousse, juin. 1980, pp.09-24.
- Sonesson. G., De L'iconicité de L'image à L'iconicité des Gestes, in. Actes du Colloque ORAGE, AIX en Provence, Paris, éd. L'harmattan, 2001, pp. 47-55., disponible ou line : www. Arthist. Lu. Se/ Kutsum/Sonesson.

قائمة الرســـــــائـــــل الجـــــامـــــعية:

رســـــائل الدكـــــتوراه:

-يوسف أحمد، السيميائيات وفلسفة المعنى، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، جامعة وهران، كلية العلوم الإجتماعية، قسم الفلسفة، 2003-2004.

- Betrancourt. M., Facteurs Spatiaux et Temporels dans le Traitement Cognitif des Complexes. Texte-figure, thése de doctorat en sciences cognitives, Grenoble, institut polytecknique de Grenoble INPG, 18 oct 1996.

On line : http : www.Inria. Fr/r r r/t u-0430.html-3k

- Imbert. Cl, logique et langage dans l'ancien stoïcisme, Éssai sur le dévelopment de la logique grecque, thèse dactylographiée pour l'obtention de doctorat d'état, Paris, Université de paris I, 1975.

رســـــائل المـــــاجـــــستير:

-تشيكو نعيمة، الدلالات المفتوحة والسيرورة التأويلية في فكر "أمبرتو إيكو"، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، مشروع السيميائيات وتحليل الخطاب الأدبي، جامعة وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، 2007-2008.

-الشيباني عبد القادر فهيم، معالم السيميائيات العامة . أسسها ومفاهيمها، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، مشروع السيميائيات وتحليل الخطاب الأدبي، جامعة وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، 2005-2006.

-قوتال فضيلة، معالم السيميائيات المحايثة وحدودها . دراسة نقدية في نظرية "غريماس" الدلالية، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، مشروع السيميائيات وتحليل الخطاب الأدبي، جامعة وهران، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، 2003-2004.

قائمة الموسوعات والمعاجم

* جميل صليبا، المعلم الفلسفي، ج1-2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982.

* الموسوعة الفلسفية المختصرة، نقلها عن الإنجليزية . فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، مراجعة و إشراف . زكي نجيب محمود، بيروت، دار القلم، تاريخ النشر غير مدون.

- Chatelet. F., Dictionnaire de la philosophie, Paris, ed. Hachette, 1972.
- Eisler. R., Kant_ Lexicon, textes établis par. Balèmes.A-D & Osmo.P., ed. Gallimard, 1994.
- Equipe rédactionnelle de Garzentre, Encyclopédie de la philosophie, sous la direction de. Vattimo.G., Paris, Librairie Générale française, 2003.
- Greimas.A-G. & Courtès.J., Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris,ed. Hachette, 1979.
- Hegel.G.W., Encyclopédie des sciences philosophiques en abrégé, tr. Guandillac.M.de., Textes établis par.Nicolin .F& Poggler.O.,Paris ,ed.Gallimard, 1970.
- Kristeva.J., Sémiologie, in.Encyclopedia Universalis, Paris, ed. Frace.S.A., 1997.
- Leppley.Ch. Polybe,in. Encyclopedia Universalis, Corpus 16, Paris, ed. Frace.S.A., 1992.
- Quillet.J, Polybe,in. Encyclopedia Universalis, Corpus 16, Paris, ed. Frace.S.A., 1990.
- Reboule.A. & Moeschler.J., Dictionnaire encyclopédique de la pragmatique, Paris, ed. du. Seuil.
- Rey-Debove.J., Léxique-sémiotique, Paris, ed. P.U.F., 1979.
- Todorov.T. & Dubois.J., Dictionnaire encyclopedique des sciences du langage, Paris, ed.du.Seuil, 1972.

قائمة المحتويات

إهداء

شكر وعرفان

مسرد ألفبائي للرموز الواردة في البحث

مقدمة أ

مدخل

I الوضعية الإبستيمولوجية للسانيات **2**

II مفارقة الإقصاء الإجرائي للكلام. **7**

الفصل الأول: أصول سيميائيات بورس التداولية المرجعية الفلسفية والمرتكزات المنطقية

1.1 أفلاطون، بورس والأفكار **25**

2.1 المنطق الأرسطي واللغة **27**

3.1 الرواقيون وعالم العلامات **38**

4.1 بورس والمنطق القروسطي **50**

5.1 تجليات المثلية..... **59**

1.5.1 مثالية بركلي..... **60**

2.5.1 منطق هيجل **66**

3.5.1 كانط المنطق والنزعة الخطاطية **70**

1.3.5.1 نقد العقل **70**

2.3.5.1 نظرية المعرفة **73**

3.3.5.1 الصور القبلية للفهم **73**

4.3.5.1 النزعة الخطاطية **76**

الفصل الثاني: السيميائيات التداولية ورهانات التاويل

1.2 الاحتمال والمعنى **81**

2.2 المبدأ الذرائعي والممارسة التداولية **84**

3.2 نقد الحدس الديكارتي 87
4.2 بلاغة الوضوح 89
1.4.2 الفكر والعلامات 90
2.4.2 التداوليات. تفاعل وإجماع 91
5.2 منطق العلامات ومقولات الوجود 93
1.5.2 قوانين الفكر 94
2.5.2 منطق العلاقات وبناء المقولات 97
3.5.2 التجريد بين الافتراض والانتزاع 99
4.5.2 العلاقة – العلامة 101
6.2 النظرية العامة للعلامات 105
1.6.2 الظاهراتية 105
2.6.2 نظرية المقولات 107
3.6.2 التصور الثلاثي للعلامة 110
4.6.2 العلامة 111
5.6.2 التداوليات وسيرورة التأويل 113
7.2 جدل اللامتناهي 118
1.7.2 اللامتناهي في تصور أرسطو 118
2.7.2 الثورة الكوبرنية وجدل اللامتناهي 119
3.7.2 اللامتناهي واللامحدود 121
4.7.2 اللامتناهي ونشوء الكون 122
8.2 من اللامتناهي إلى المفتوح 123
1.8.2 الدلالات المفتوحة وإنتاج المعنى 125
2.8.2 التأويل وفهم الذات 128
9.2 التأويل والاستعمال 129

الفصل الثالث: الأبعاد التداولية للتمثيل. قراءة في البعد الأيقوني

1.3 الأيقونة بوصفها انعكاسا للتمثيل 136
2.3 التمثيل والمحاكاة 137

3.3 المشابهة وتداولية الصورة **143**
4.3 موقع التمثيل في سيميائيات "**ش.س. بورس**" **149**
1.4.3 المشابهة والجدل الأيقوني **151**
2.4.3 الصورة والإدراك **157**
3.4.3 الأيقوني والبصري **159**
5.3 التمثيل العقلي **164**
خاتمة **172**
ملحق المصطلحات **175**
ملحق الأعمال الفنية الواردة في البحث **184**
قائمة المصادر والمراجع **188**
قائمة المحتويات **205**